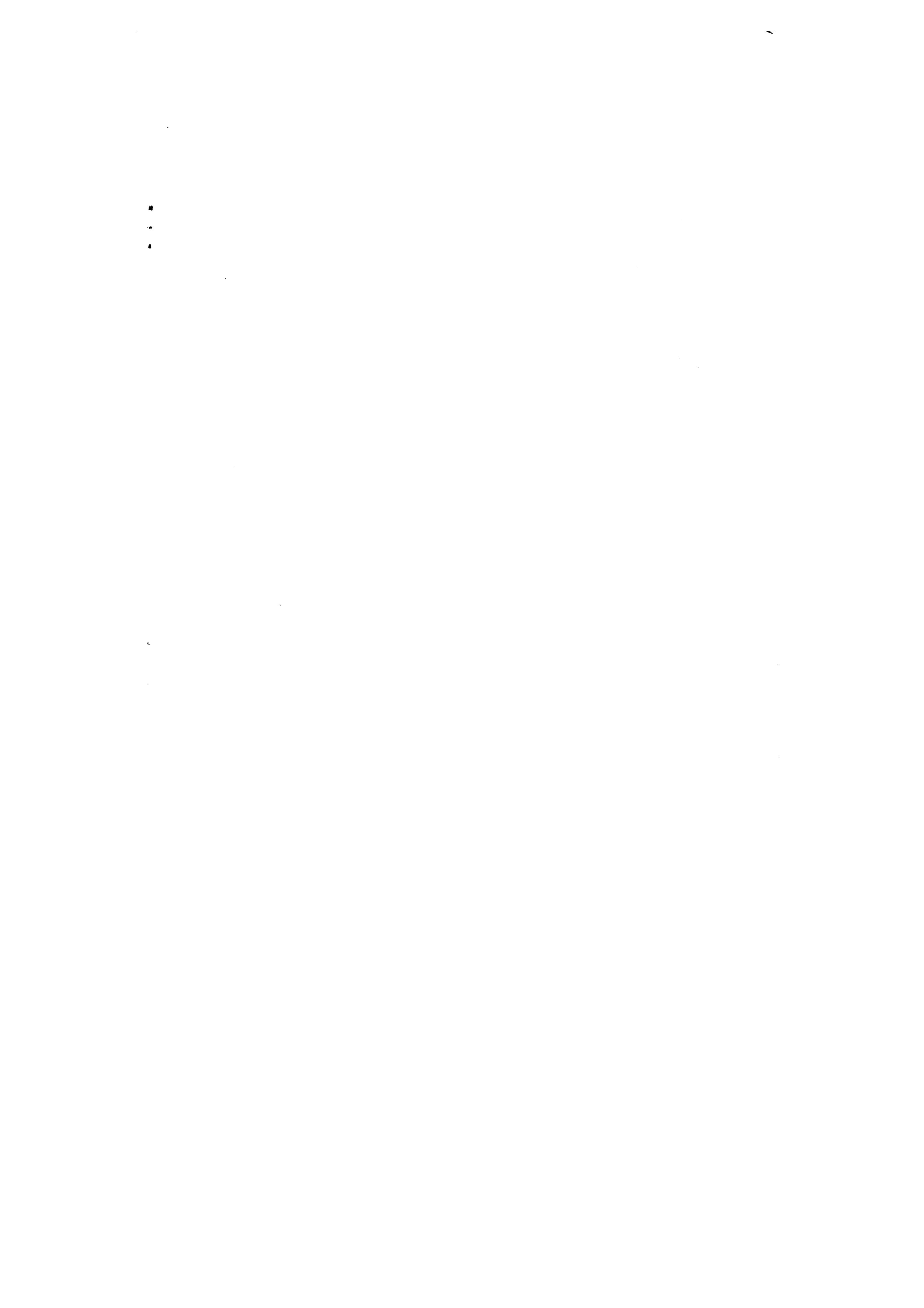


لبـــاب المعـــانى

دكتـور

محمد حسن شرشر

الجـزء الثانـــى



مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين ، سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

"وبعد"

فيسعدنى أن أقدم هذه الدراسات فى علم المعانى «القسم الثانى» توخيت فيها عذوبة اللفظ ، وشرف المعنى ، وإلى جانب الحفاظ على القواعد والأصول البلاغية ، فقد تجملت بالأساليب الأدبية الرفيعة ، وتحلت بالشواهد الناصعة ، والبراهين الساطعة من كتاب رب العالمين ، وحديث سيد المرسلين ، والأدب العربى الرفيع حتى تكون عونا على تذوق البلاغة التى هى أشرف علوم العربية ، وأجلها نفعا ، وأعلاها مكانة ، وأرفعها درجة .

والله أسأل أن تؤتى ثمارها المرجوة ، وأن تكون لى ذخرا يوم الدين.

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإلية أنيب . ،

د/ محمد حسن شرشر

المعادى الجديدة فى غرة جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

١٠ ديسمبر ١٩٨٨م

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين. سيدنا محمد الذى أرسله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

«وبعد»

فيسعدنى أن أقدم الطبعة الثانية فى علم المعانى «الجزء الثانى» بعد أن نفدت طبعته الأولى» استجابة لرغبة طلاب العلم فى كل مكان من وطننا العربى العزيز بعد إضافات وتحريرات.

أدعو الله سبحانه أن ينفع بها ، وأن تكون فى صحيفتى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.،

د/ محمد حسن شرشر

المعادى الجديدة فى غرة رجب ١٤٢٣ هـ

٨ ديسمبر ٢٠٠٢م

القصـــــر

الأصل في الجملة ، أن تؤدى حكما واحدا مقصودا ، وقد تؤدى الجملة الواحدة حكمين مقصودين مختلفين ، إيجابا وسلبا ، من طريق الوضع ، أو من طريق العقل والذوق ، ومثل هذا الأسلوب ، يسمى القصر . كقولك : ما شوقي إلا شاعر .

فالقصر لغة : الحبس، قال تعالى : «حـــور مقصـــــرات فـــى الخيام »[١] أى محبوسات مستورات فى الخيام[٢] لسن بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس[٣] .

وقال الفراء : قصرن على أزواجهن ، أى حبسن ، فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم[٤] .

وقيـــل : هو في اللغة : عدم المجاوزة إلى الغير ، فهو من قصر الشئ على كذا ، إذا لم يتجاوز به إلى غيره ، لا من قصرت الشئ إذا حبسته بدليل التعبير بـ «على»[٥] .

---

(١) الرحمن ٧٢ .

(٢) المراد بالخيام : الحجال : جمع حجلة ، وهى ساتر كالقبة ، يزين بالثياب ، يضرب للعروس في جوف البيت .

(٣) تفسير القرطبى ٦٣٥٨ طبعة دار الشعب .

(٤) لسان العرب مادة «قصر» .

(٥) حاشية الدسوقي ، ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٦ .

وسواء أكان معنى القصر في اللغة الحبس، أم عدم المجاوزة إلى الغير، فهو يفيد معنى الحصر[١] على كلا الإطلاقين.

واصطلاحا : تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص[٢].

ومعنى تخصيص شئ بشئ، إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره.

والمراد بالشئ الأول : المقصور، وبالثاني : المقصور عليه، وبالطريق المخصوص طرق القصر المصطلح عليها عند البلاغيين.

ويخرج بالطريق المخصوص، قولك : «زيد مقصور على القيام، فلا يسمى قصرا اصطلاحا، وقولك خصصت زيدا بالعلم، فلا يسمى تخصيصا اصطلاحا[٣].

يقول ابن يعقوب : تخصيص شئ بشئ، أى تخصيص موصوف بصفة، أو صفة بموصوف، بطريق من الطرق الأربعة[٤].

---

(١) الحصر في اللغة : إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، ويعرف أيضا بالقصر.

(٢) مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص جـ ٢ / ١٦٦ .

(٣) حاشية الدسوقي، ومواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٦ .

(٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٦ - والمقصود بالطرق الأربعة: العطف، والنفي، والاستثناء، وإنما، والتقديم.

المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى

لما كان حاصل معنى القصر الاصطلاحى راجعا إلى انحصار الموصوف فى صفة، لا يتعداها إلى غيرها من الصفات، أو انحصار الصفة فى موصوف لا تتعداه إلى غيره من الموصوفين، كانت المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى للقصر واضحة جلية.

وذلك لأن المادة اللغوية، وثيقة الصلة بالمضمون الاصطلاحى حتى يكاد المعنى اللغوى حين تتأمله يكشف لك جوانب المعنى الاصطلاحى.

ففى قولهم: «امرأة قاصرة الطرف لا تمده إلى غير بعلها» نرى فيه المعنى الاصطلاحى، لأنها مادامت لا تمده إلى غير بعلها، فقد قصرته عليه، بحيث لا يتجاوزها إلى غيره» (١).

هذا . ولما كان القصر يفيد الإثبات والنفى، **كان من أهم أسراره البلاغية :**

١- تأكيد المعنى، وتقريره فى الذهن، ليكون أوقع فى النفس، وأدفع للإنكار والشك.

٢- لما كانت جملة القصر فى قوة جملتين ، لأنك إذا قلت

---

(١) دلالات التراكيب ١٧ .

«ماشوقى إلا شاعر» فالمعنى : شوقى شاعر، شوقى ليس بخطيب مثلا كان القصر طريقا من طرق الإيجاز .

٣- تصحيح الخطأ الذى يقع فيه المخاطب، من اعتقاد الشركة، أو العكس أو التردد فى تعيين أحد الأمريين.

٤- القصر الأدعائى . يفيد المبالغة ، لأن فيه تنزيل ما عدا المقصور عليه منزلة العدم.

٥- قد يأتى لغرض التعريض، كقوله تعالى : «إنما يتذكر أولو الألباب»[١] فالمراد : التعريض بذم الكفار، وأنهم من فرط جهلهم، وغلبه الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل[٢].

---

(١) الرعد ١٩ .

(٢) دلائل الإعجاز ٣٥٤ .

الحقيقى والإضافى

ينقسم القصر باعتبار غرض المتكلم ، والحقيقة والواقع ، إلى قصر حقيقى وإضافى .

والمراد بالحقيقى : أن يختص المقصور بالمقصور عليه ، فى الحقيقة والواقع بألا يتجاوز المقصور المقصور عليه إلى غيره أصلا .

كقوله تعالى «ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ، وما يكفر بها إلا الفاسقون»[١] فصفة الكفر منفية عن كل أصناف الناس إلا هذا النوع .

وقوله تعالى : «وما يعلم جنود ربك إلا هو»[٢] فقد قصرت صفة العلم بجنود الله عليه سبحانه ، لا تتعداه إلى غيره مطلقا .

وقوله تعالى : «وما من إله إلا الله» [٣] .

أى لا معبود بحق إلا الله ، فقد قصرت صفة الألوهية ، على الله عز وجل لا تتعداه إلى غيره .

وكقولك : ما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد صلى الله عليه

---

(١) البقرة ٩٩ .
(٢) المدثر ٣١ .
(٣) آل عمران ٦٢ .

وسلم، فالغرض تخصيص ختم الأنبياء والرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقصر الصفة عليه بحيث لا تتجاوزه إلى غيره أصلا.

وسمى هذا القصر حقيقيا، لأن التخصيص هنا بالنسبة لجميع ما عدا المقصور عليه.

والإضافى : أن يختص المقصور بالمقصور عليه، بالإضافة إلى شئ آخر معين. بأن لا يتجاوز المقصور المقصور عليه، إلى ذلك الشئ المعنى، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شئ آخر.

كقولك : ما زهير إلا شاعر، فإن الغرض تخصيص زهير بالشعر، وقصره عليه، بحيث لا يتجاوزه إلى شئ آخر معين، كالخطابة مثلا، وهذا لا ينافى أن يتجاوز الشعر إلى صفات أخرى، كالتجارة أو الصناعة، أو الزراعة، مثلا فالقصر إنما هو بالإضافة إلى الخطابة فقط.

وقولك : ما الحجاج إلا خطيب، فالغرض تخصيص الحجاج بالخطابة، وقصره عليها، بحيث لا يتجاوزها إلى شئ آخر معين، هو الشعر مثلا، وهذا لا ينافى أن يتجاوز الخطابة إلى صفات أخرى، ومن ثم سمى قصرا إضافيا.

يقول صاحب المطول : لأن تخصيص الشئ بالشئ، إما أن يكون بحسب الحقيقة ونفس الأمر، بألا يتجاوزه إلى غيره أصلا،

وهو الحقيقى، أو بحسب الإضافة والنسبة إلى شئ آخر، بألا يتجاوزه إليه، وهو غير حقيقى، بل إضافى، لأن تخصيصه بالمذكور ليس على الإطلاق، بل بالإضافة إلى معين آخر، كقولك ما زيد إلا قائم، بمعنى أنه لا يجاوز القيام إلى القعود، ونحوه، لا بمعنى أنه لا يتجاوزه إلى صفة أخرى أصلا(١).

-« قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف »-

ينقسم القصر باعتبار طرفية «المقصور والمقصور عليه» إلى قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف.

والمراد بقصر الموصوف على الصفة: ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، إذا كان القصر حقيقيا، أو إلى صفة أخرى معينة، إذا كان القصر إضافيا، ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر(٢).

وقصر الموصوف على الصفة، قصرا حقيقيا تحقيقا، لا يكاد يوجد، لأنه يتعذر على المتكلم إحاطته بصفات الشئ، حتى يمكن إثبات صفة منها، ونفى ما عداها جميعا، ولأن العاقل المفكر، لا يحيط بأوصاف نفسه الظاهريه والباطنية فكيف يحيط بأوصاف

(١) المطول ٢٠٤.

(٢) قد يمتنع أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر، كما فى «إنما الله إله واحد»، حاشية الدسوقى جـ٢ / ١٦٩.

غيره ، ولأنه يترتب على القصر أن تنفى صفات وتنفى كذلك معها نقائض ، ومن المقرر بالضرورة امتناع ارتفاع النقيضين .

يقول صاحب المطول : ما من مقصور إلا وله صفات يتعذر إحاطة المتكلم بها ، فكيف يصح منه قصره على صفة ، ونفى ما عداها بالكلية ، بل نقول إن هذا النوع من القصر مفض إلى المحال ، لأن للصفة المنفية نقيضا البتة وهو أيضا من الصفات ، فإذا نفيت جميع الصفات ، لزم ارتفاع النقيضين .

مثلا : إذا قلت : «ما زيد إلا كاتب ، على معنى أنه لا يتصف بغيرها ، لزم أن لا يتصف ، بالشاعرية ولا بعدمها ، وهو محال»[١] .

هذا . وقد تكلفوا هذا المثال : إنما الله متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص لقصر الموصوف على الصفة ، قصرا حقيقيا صادقا .[٢] وفى هذا الرأى نظر[٣] .

---

(١) المطول ٢٥ .

(٢) بغية الإيضاح جـ ٢ / ٦ .

(٣) قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا ، ممكن الوجود ، كقول : محمد ابن سليمان بن عبد الله بن عباس : «أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويتبع رضوانه ، ويتجنب سخطه ، فإنما نحن له وبه» فقول سليمان : فإنما نحن له وبه» فيه قصر الجماعة على كونها لله ، وكونها بالله ، يعنى لسنا إلا لله ، ولسنا إلا بالله ، أى أن وجودنا وحركتنا وملكنا وعزنا=

وقصر الموصوف على الصفة - فى القصر الإضافى - كثير، كقولك : «ما عبد الحميد إلا كاتب» تريد قصره على الكتابة، لا يتعداها إلى شئ بعينه، كالشعر مثلا وإن صح أن تكون تلك الصفة- الكتابة- لموصوف آخر.

وقولك : «ما المتنبى إلا شاعر، فقد قصر المتنبى على صفة «الشاعرية» لا يتجاوزها إلى غيرها من الصفات، كالخطابة والكتابة، وإن كانت صفة الشاعرية، تتجاوز المتنبى إلى غيره من الناس.

يقول ابن يعقوب : تقول : ما زيد إلا شاعر، فتقصره على

= وسمعنا وبصرنا، وكل ما لنا من صفات هى لله، فهو مالك منا كل شئ، متى شاء القبض قبض، ومتى شاء البسط بسط، ولسنا إلا به، فكل مالنا وما فينا، هو به، وهذا قصر موصوف على صفة، قصرا حقيقيا، لأن المراد بيان أن كل ما فينا لله، فهو ملكه، وبالله فهو من عطائه، ثم هو تحقيقى، لأن الواقع كذلك، والنفى هنا عام- دلالات التراكيب ٨٠ .

هذا. وبإنعام النظر فى كلام الإمام عبد القاهر، نجد ما يشير إلى هذا الغرض فى اللسان العربى بالدلالة اللغوية التى يحكمها عرف بيانى- يقول الإمام : «واعلم أن قولنا فى الخبر إذا أخر، نحو مازيد إلا قائم، أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التى يتوهم كون زيد عليها، ونفيت ما عدا القيام عنه، فإنما نعنى أنك نفيت عنه الأوصاف التى تنافى القيام، نحو أن يكون جالسا، أو مضطجعا، أو متكئا، أو ما شاكل ذلك.

ولم ترد أنك نفيت ماليس من القيام بسبيل، إذ لسنا ننفى عنه بقولنا : ما هو إلا قائم أن يكون أسود، أو أبيض، أو طويلا، أو قصيرا، أو عالما أو جاهلا» دلائل الإعجاز ٣٤٦ .

الشعر فقط ، بحيث لا يتعداه إلى الكتابة ، وإن كان الشعر ، وهو الوصف يتعدى زيدا إلى عمرو[١] .

والمراد بقصر الصفة على الموصوف ، ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلا- إذا كان القصر حقيقيا- أو إلى موصوف آخر معين-إذا كان القصر إضافيا- وإن جاز أن يكون له صفة أخرى- كقوله تعالى :«وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم»[٢] . ففى الآية الكريمة ، قصر صفة الألوهية ، على موصوف هو الله سبحانة وتعالى .

وقوله تعالى : «قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله»[٣] . فقد قصرت صفة علم الغيب على الله عز وجل قصرا حقيقيا تحقيقيا .

- وكما تعلم- فإن لله صفات أخرى غير الألوهية ، وعلم الغيب .

يقول ابن يعقوب : فى قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا- أن يحكم بأن هذه الصفة ، لا تتجاوز هذا الموصوف إلى موصوف آخر مطلقا ، وإن كان الموصوف يتجاوزها إلى غيره ، كقولنا

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٨ .

(٢) البقرة ١٦٣ . (٣) النمل ٦٥ .

«لا إله إلا الله» فإن الألوهية، حكمنا بأنها لا تتجاوز مصدوق الجلالة إلى غيره، كما أنها كذلك في نفس الأمر، وهذاموجود كثيرا(١).

وقصر الصفة على الموصوف - قصرا إضافيا- كقولك : ما خطيب إلا زياد فقد قصرت صفة الخطابة على زياد، قصرا إضافيا، لأن الخطابة لا تتعداه إلى رجل آخر بعينه، كحسان مثلا، وقولك : ما شاعر إلا شوقي، فقد قصرت صفة الشعر على شوقي قصرا إضافيا، لأن الشعر لا يتعداه، إلى رجل بعينه كالرافعي مثلا.

وقول المتنبي :

لا يُدركُ المجدَ إلا سَيّدٌ فَطِنٌ ::: لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ(٢) يريد أبو الطيب : لا ينال السؤدد والشرف إلا السيد الذكي، الذي يطلع بعظائم الأمور، ويفعل ما يشق على الكرماء الفضلاء.

وكما ترى- فقد قصرت صفة "إدراك المجد" على السيد الفطن، قصر صفة على موصوف.

يقول ابن يعقوب : في قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا، أن يحكم بأن هذه الصفة ، لا تتجاوز هذا الموصوف إلى موصوف آخر معين، وإن كانت هي تتجاوز إلى غير ذلك المعين، كان

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٩ .

(٢) يشق : يصعب، والسادات جمع ساده .

يعتقد المخاطب أن الشعر وصف لعمرو فقط أوله، ولزيد ، فتقول : ما شاعر إلا زيد ، فقصر الشعر على زيد ، بحيث لا يتعداه إلى عمرو فقط ، وإن كان يتعداه إلى غير عمرو[١].

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٩ .

قولك : إنما يدافع عن الوطن الشباب ، أبلغ فى مدح الشباب ، من قولك : إنما الشباب يدافع عن الوطن.

وذلك ، لأن المقصور عليه فى «إنما» هو المؤخر ، فالمثال الأول : المقصور عليه الشباب ، وفى المثال الثانى ، المقصور عليه ، المدافعة عن الوطن.

والمثال الأول : يعد قصر صفة علي موصوف ، والمثال الثانى : قصر موصوف على صفة.

وفى المثال الأول ، يؤكد المتكلم لمخاطبه استقلال الشباب وحدهم ، بالدفاع عن الوطن ، لا يشترك معهم غيرهم ، فى ذلك الواجب ، وذلك لا يمنع أن يكون للشباب صفات أخرى ، غير هذه الصفة.

وفى المثال الثانى : المقصور عليه ، المدافعة عن الوطن ، فالشباب لا يقومون بسواها من الأعمال ، على أنه من الجائز ، أن يشترك معهم فى الدفاع عن الوطن سواهم.

ومن ثم ، فالجملة الأولي ، أبلغ فى المدح من وجهين :

الأول : أنهـا تفيـد استقلال الشباب بالدفاع ، وعدم اشتراك أحد معهم فيـه.

والثانى : أنها لا تنفى أن يكون للشباب صفات أخرى غير هذه الصفة.

(٢) شرح وتعليق د / محمد عبد المنعم خفاجى جـ٣ / ٨ ، على الإيضاح.

المراد بالصفة والموصوف :

والمراد بالصفة هنا : الصفة المعنوية، وهى المعنى القائم بغيره، كالكرم والإخلاص والشجاعة، وقد تكون اسما مشتقا، مثل : قائم ومفهوم، وقد تكون متعلق الظرف والجار والمجرور، أو فعلا.

فإذا قلت : ما محمد إلا كريم، وما على إلا مخلص، وما القائد إلا شجاع، وما خالد إلا قائم، وما الدرس إلا مفهوم، وإنما علاء عندك، وياسر فى المسجد لا فى المنزل، وما طارق إلا يقرأ كان من قبيل قصر الموصوف على الصفة.

وإذا قلت : ما كريم إلا محمد ، وما مخلص إلا على ، وما شجاع إلا القائد، وما قائم إلا خالد، وما مفهوم إلا الدرس، وإنما عندك علاء، وياسر فى المسجد لا إبراهيم، وما يقرأ إلا طارق، كان من قبيل قصر الصفة على الموصوف.

وإنما كان المقصود- هنا - بالصفة، الصفة المعنوية، لا النعت النحوى المعروف، وهو التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه، كقولك : جاءنى رجل فاضل فقولك «فاضل» وصف للرجل، وتابع له، يدل على معنى فيه، لأنه لا يقع قصر بين النعت ومنعوته، حيث إن القصر يقتضى الفصل بإلا لفظا، فى «ما و إلا» أو معنى كما فى «إنما» والصفة لا تنفصل عن موصوفها.

والمراد بالموصوف هنا، كل ما يقوم به غيره، والغالب أن يكون دلا على ذات وقد يدل فى نفسه على معنى قائم بغيره، كقوله تعالى : «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»(١) فقد قصرت «العبادة» على التقريب، قصر موصوف على صفة، وإن كانت العبادة فى ذاتها صفة قائمة بالغير، وقوله صلى الله عليه وسلم : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» أى ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة .

يقول صاحب المطول : «وأما نحو قولك : ما هو إلا زيد، وما زيد إلا أخوك، وما الباب إلا ساج، وغير ذلك، مما وقع فيه الخبر جامدا، فمن قصر الموصوف على الصفة، إذ المعنى أنه المقصور على الكون زيدا، أو أخاك، أو ساجا»(٢) .

فقد أول الخبر ليصبح صفة، وكقولك : إنما خالد أسد، أى شجاع هذا . وإذا كان القصر فى الفاعل- بمعنى أن يكون الفاعل هو المقصور عليه- يكون من قصر الصفة على الموصوف- كقوله تعالى : «ومن يغفر الذنوب إلا الله»(٣) .

وقولك : ما نجح إلا المجتهد .

والقصر فى الخبر - بمعنى أن يكون الخبر مقصورا عليه- يكون

---

(١) الزمر ٣ . (٢) المطول ٢٠٥ .

(٣) آل عمران ١٣٥ .

من قصر الموصوف على الصفة- كقوله تعالى : «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[١] وقوله تعالى : «إنما هو إله واحد»[٢] وقولك : إنما محمد كاتب.

والقصر فى المبتدأ - أعنى وقوع المبتدأ مقصورا عليه- يكون من قصر الصفة على الموصوف، كقوله تعالى : «فاعلم أنه لا إله إلا الله»[٣] ، وقولك : إنما فصيح سحبان. وإذا كان المبتدأ أو الخبر معرفا بأل الجنسية فالمعرف هو المقصور تقدم أو تأخر.

والقصر فى المفعول - أى وقوع المفعول به مقصورا عليه، كقوله تعالى «وإن يهلكون إلا أنفسهم»[٤] وقوله تعالى : «إن يتبعون إلا الظن»[٥].

وقوله تعالى : «وما يخدعون إلا أنفسهم»[٦] يكون من قصر الصفة على الموصوف، على معنى قصر الفعل المسند إلى الفاعل على المفعول- أو من قصر الموصوف على الصفة، على معنى قصر الفاعل على الفعل المتعلق بالمفعول.

وإذا كان المقصور عليه حالا، كان من قصر الموصوف على

(١) آل عمران ١٨٥ .
(٢) الأنعام ١٩ .
(٣) محمد ١٩ .
(٤) الأنعام ٢٦ .
(٥) الأنعام ١١٦ .
(٦) البقرة ٩ .

الصفة، لأنه يلاحظ قصر صاحب الحال على الحال- كقولك : ما جاء محمد إلا راكبا، والمراد قصر محمد على المجئ حال الركوب.

القصر الادعائى(١)

قد ينزل ما عدا المقصور عليه - منزلة العدم- عند قصد الادعاء والمبالغة، فيكون قصرا ادعائيا، وهذا اللون من القصر، يأتى فى القصر الحقيقى بنوعيه- قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف، فيكون قصرا حقيقيا ادعائيا.

فمن قصر الموصوف على الصفة، قوله تعالى : «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان» (٢)، فقد قصرت هذه الأشياء على صفة الرجس، لبيان أن ما عداها من الصفات لا يعتد به.

وقول الشاعر :

هل الجودُ إلا أن تجودَ بِأَنْفُسٍ : عَلَى كُلِّ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ(٣)

---

(١) أرى أن الأولى أن يسمى "القصر المجازى" تحاشيا من وصف آى القرآن الكريم بالادعاء والمبالغة .

(٢) المائدة ٩٠ .

(٣) الشفرتين : مثنى شفرة، وهى حد السيف، والصقيل : المجلو والاستفهام على معن النفى.

يصف الشاعر نفسه بالبسالة والإقدام، مبينا أن الجود، هو أن تضحى بنفسك وتعرضها فى سخاء على أسنة السيوف القواضب .

- وكما ترى - فقد قصر الجود على كونه بالنفس، مع أنه يكون بالمال وغيره لأن الجود بالنفس أعظم.

وقول لبيد :

وَمَا المالُ والأهلُونَ إلا وَدَائِعُ ∴ وَلابُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

فقد قصر المال والأهل على كونهما ودائع ، من قصر الموصوف على الصفة، قصرا حقيقيا ادعائيا، لأنه لم يعتد بصفة أخرى، فى المال والأهل غير كونهما وديعتين عند الإنسان، مع أن لهما صفات أخرى.

يقول ابن يعقوب : إذا كانت صفات فى شخص، وكان مشهورا بواحدة لكمالها فيه وأريد أن يبين أن غير تلك الصفة، فى ذلك الموصوف، ضعيف بالنسبة إليها، حتى كأنه لم يتصف إلا بتلك الصفة، حصر الموصوف فيها، فيقال : ما حاتم إلا جواد، أى لا يتصف بغير الجود من الصفات مبالغة فى كمال الجود فيه، فكان غيره عدم(١) .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٧٥ .

وفى قصر الصفة على الموصوف، قوله تعالى : «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (١).

فقد قصرت خشية الله على العلماء، وإن كان غير العلماء، قد يخشاه ولكن لا اعتداء بخشيته.

يقول الإمام عبد القاهر : إن تقديم اسم الله تعالى، إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين : الخاشون، من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة، دون غيرهم، ولو أخر ذكر اسم الله، وقدم العلماء ، فقيل : «إنما يخشى العلماء الله» لصار المعنى، على ضد ماهو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشى من هو ، والإخبار بأنه الله تعالى، دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى، مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها، كما هو الغرض فى الآية(٢).

وقول الشاعر :

لَا سَيْفَ إلَّا ذُو الفَقَارِ ∴ وَلَا فَتَى إلَّا عَلِيٌّ(٣)

أراد الشاعر : أن يثبت القوة والمضاء لذى الفقار، وأن ينفى ذلك عن كل ما عداه على سبيل المبالغة. لأن هناك سيوفا كثيرة غير ذى الفقار، قوية إلا أن الشاعر افترض أن المضاء والقوة موجودان فى

---

(١) فاطر ٢٨ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٣٣٩ .

(٣) ذو الفقار اسم سيف النبى صلى الله عليه وسلم، كما نبه على ذلك الرازى فى معجمه مختار الصحاح.

سيف «على» وحده، وادعى أن ما عداه فى حكم المعدوم مبالغة فى المدح، كما أراد الشاعر أن يثبت القوة والفتوة لعلى، فقصرهما عليه، وادعى نفيهما عمن عداه، مبالغة.

يقول ابن يعقوب : إذا وجد علماء فى البلد، وأريد المبالغة فى كمال صفة العلم فى زيد، فينزل غير زيد بمنزلة من انتفت عنه صفة العلم، لعدم كمالها فيه، فيقال : لا عالم فى البلد إلا زيد، حصرا للعلم فيه ، ونفيا له عن غيره، لعدم الاعتداد بالعلم فى ذلك الغير ، ويسمى هذا قصرا حقيقيا بالادعاء وذلك، لأن نفى العلم عن غير زيد الذى تضمنه الحصر، ليس كذلك فى نفس الأمر[١].

كما يثنى عليه، بهاء الدين السبكى إذ يقول : «وقد يقصد بالقصر الحقيقى المبالغة، لعدم الاعتداد بغير الصفة، عند قصر الموصوف عليها، أو بغير الموصوف عند قصر الصفة عليه، ويكون قصرا حقيقيا على سبيل الادعاء[٢].

وقد أشاد الإمام عبد القاهر بهذا النوع من القصر، يقول الإمام : «أن تقصر جنس المعنى على الخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك : «زيد هو الجواد» "وعمر هو الشجاع" تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام فى صورة تفهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره، لقصورة عن أن يبلغ الكمال[٣].

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٧٤ .

(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٦٩ .

(٣) دلائل الإعجاز ١٨٠ .

هذا. والفرق بين القصر الحقيقي حقيقة، والقصر الحقيقي ادعاء، أن ما عدا المقصور عليه، في القصر الحقيقي حقيقة، لا وجود له أصلا، أما ما عدا المقصور عليه في القصر الإدعائي، فمنزل منزلة المعدوم[١].

يقول صاحب المطول: القصر الحقيقي نوعان: أحدهما: الحقيقي تحقيقيا والثاني: الحقيقي مبالغة ... والفرق بين القصر الغير حقيقي[٢] والقصر الحقيقي مبالغة وادعاء دقيق[٣].

---

(١) يأتي القصر الإدعائي، في القصر الإضافي -أيضا- وهو أن ينزل فيه غير المقصور عليه- وهو ما يكون القصر بالإضافة إليه- منزلة المعدوم، كقولك: في قصر الموصوف على الصفة: «ما علي إلا خطيب» تريد أنه مقصور على صفة الخطابة، لا يتعداها إلى الكتابة- في حين أنه متصف بها أيضا- إلا أنك لم تعتد بها، لتفوقه في الخطابة، ونبوغه فيها.

وتقول في قصر الصفة على الموصوف، ما كريم إلا محمد، تريد أن الكرم مقصور على محمد، لا يتجاوزه إلى شخص بعينه، هو عمرو، مثلا، إلا أنك لم تعتد بوجوده، وكأنه غير موجود أصلا.

(٢) المراد بغير الحقيقي: القصر الإضافي.

(٣) المطول ٢٠٦.

الفرق بين الحقيقي ادعاء ومبالغة، والإضافي، أن الإضافي يعتبر بالإضافة إلى شئ معين، من غير اعتبار المبالغة والتنزيل، والحقيقي الإدعائي، مبني على المبالغة والتنزيل، فإذا قلت: ما في الدار إلا زيد، وأردت: لا غيره وكان فيها غيره، ونزلته منزله العدم، كان القصر حقيقيا ادعائيا، وإن أردت لا عمرو، وكان فيها بكر وخالد أيضا، كان إضافيا - حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٧٤.

قصر الإفراد والقلب والتعيين

ينقسم القصر باعتبار حال المخاطب، إلى قصر إفراد وقلب وتعيين .

والمراد بقصر الإفراد، تخصيص أمر بصفة دون أخرى- في قصر الموصوف على الصفة- أو - تخصيص صفة بأمر دون آخر - في قصر الصفة على الموصوف .

والمقصود بلفظ «أمر» في التعريف : الموصوف المقصور- في قصر الموصوف على الصفة- والموصوف المقصور عليه في قصر الصفة على الموصوف.

ويخاطب بقصر الإفراد من يعتقد الشركة، تقول في قصر الموصوف على الصفة «ما على إلا كاتب» لمن اعتقد أنه كاتب وشاعر، فهو تخصيص أمر هو على، بصفة هي الكتابة، دون صفة أخرى هي الشعر .

ومن ثم كان قوله تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»(١) من قبيل الإفراد لأن هذه الآية نزلت في غزوة أحد، حين أشيع أن النبي ﷺ قد مات فزلزل بعض من كان معه من الصحابة، فنزلت الآية الكريمة تنبههم إلى أن محمداً رسول فقط، وليس معصوما من الموت، وأن الرسل قد خلت من قبله،

---

(١) آل عمران ١٤٤ . .

أدوا رسالتهم وماتوا ، والصحابة لم يكونوا منكرين أن محمدا ﷺ سيموت ، ولا معتقدين أنه خالد ، لكنهم لما استعظموا موته نزلوا منزلة من يجمع بين الأمرين كونه رسولا ، وكونه لا يموت ، فجاءت الآية تقصر محمدا ﷺ على صفة الرسالة وتنفى عدم الموت .

ففى الآية الكريمة تخصيص أمر هو «محمد» بصفة هى «الرسالة» دون صفة أخرى هى الخلود .

يقول القرطبى : أعلم الله تعالى فى هذه الآية ، أن الرسل ليست بباقية فى قومها أبدا ، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل ، وإن فقد الرسول بموت أو قتل ، فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين ، أى لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد ، والنبوة لا تدرأ الموت ، والأديان لا تزول بموت الأنبياء(١) .

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف«ما كاتب إلا على» لمن اعتقد اشتراك غيره معه فى هذه الصفة كخالد .

فهو تخصيص صفة هى الكتابة ، بأمر هو على ، دون أمر آخر هو خالد مثلا .

يقول الشيخ الدسوقى : إذا اعتقد المخاطب أن زيدا شاعر وكاتب ومنجم مثلا ، قلت فى نفى ذلك الاعتقاد : ما زيد إلا شاعر ،

---

(١) تفسير القرطبى ط الشعب ١٤٦٤ .

هذا فى قصر الموصوف ، وإذا اعتقد أن زيدا وعمرا وخالدا اشتركوا فى صفة الشعر فإنك تقول فى نفى ذلك الاعتقاد ، ما شاعر إلا زيد وهذا فى قصر الصفة إذ المعنى أن الشعر مقصور على زيد ، لا يتصف به عمرو مثلا (١).

وسمى قصر إفراد ، لقطع الشركة التى كان يعتقدها المخاطب.

يقول ابن يعقوب : لأنك نفيت به الشركة المعتقدة، وأفردت موصوفا بصفة، أو صفة بموصوف(٢).

وقصر القلب : تخصيص أمر بصفة مكان أخرى- فى قصر الموصوف على الصفة، أو تخصيص، صفة بأمر مكان آخر- فى قصر الصفة على الموصوف.

والمخاطب بقصر القلب من يعتقد عكس الحكم الذى أثبته المتكلم.

تقول فى الموصوف على الصفة : ما علاء إلا ذكى، لمن اعتقد انصافه بالغباء لا الذكاء .

فهو تخصيص أمر هو «علاء» بصفة هى الذكاء، مكان صفة أخرى، هى الغباء ، وتقول فى قصر الصفة على الموصوف ما ذكى إلا

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٧٩ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٧٩ .

علاء، لمن اعتقد أن الذكى ابراهيم لا علاء.

فهو تخصيص صفة هى الذكاء، بأمر هو علاء، مكان أمر آخر هو إبراهيم .

يقول الشيخ الدسوقى : فى قصر الصفة إذا اعتقد المخاطب، أن القائم عمرو لا زيد، تقول نفيا لذلك الاعتقاد : ما قائم إلا زيد، حصرا للقيام فى زيد، ونفيا له عن عمرو، وفى قصر الموصوف إذا اعتقد أن زيدا قاعد لا قائم، تقول : مازيد إلا قائم أى لا قاعد(١).

ومن ثم كان قوله تعالى : «وإذا قيل لهم آمنوا كما أمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون» (٢).

قصر قلب، لأن المنافقين كانوا يعتقدون أن المؤمنين سفهاء دونهم فقلب الله عليهم اعتقادهم ، ففى الآية الكريمة قصر السفاهه على المنافقين ونفيها عن المؤمنين قصر صفة على موصوف بطريق ضمير الفصل.

يقول القرطبى : وهذا القول من المنافقين، إنما كانوا يقولونه فى خفاء واستهزاء، فأطلع الله نبيه والمؤمنين على ذلك، وقرر أن

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٨٠ .

(٢) البقرة ١٣ .

السفة ورقة الحلوم، وفساد البصائر، إنما هى فى حيزهم، وصفة لهم، وأخبر أنهم هم السفهاء، ولكن لا يعلمون للرين الذى على قلوبهم(١).

وسمى قصر قلب، لقلب الحكم على المخاطب، يقول الشيخ الدسوقى : لأن فيه قلبا وتبديلا لحكم المخاطب كله بغيره، بخلاف قصر الإفراد فإنه وإن كان فيه قلب وتبديل، لكن ليس لكل حكم المخاطب، بل فيه إثبات البعض ونفى البعض(٢).

وقصر التعيين : تخصيص أمر بصفة مكان أخرى- فى قصر الموصوف على الصفة، أو تخصيص صفة بأمر مكان آخر- فى قصر الصفة على الموصوف، والمخاطب بقصر التعيين من تردد فى الحكم وتساويا عنده.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة، ما طارق إلا قائم، خطابا لمن تردد بين قيامه وقعوده .

فهو تخصيص أمر هو «طارق» بصفة هى «القيام» مكان صفة أخرى هى القعود .

وتقول - فى قصر الصفة على الموصوف- ما قائم إلا طارق، خطابا لمن تردد بين قيامه وقيام علاء .

---

(١) تفسير القرطبى ط الشعب ص ١٧٨ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٨٠ .

يقول ابن يعقوب : فإذا تردد المخاطب، فى اتصاف زيد بقيام أو بغيره قلت : ما زيد إلا قائم، أو تردد فى اتصاف زيد بقيام أو اتصاف غيره به قلت : ما قائم إلا زيد، الأول قصر موصوف، الثانى قصر صفة (١).

وسمى قصر تعيين لتعيين ما هو غير معين عند المخاطب(٢) .

وهكذا . إذا قلنا : «إنما الحجاج خطيب، فى قصر الموصوف على الصفة ، فهذا المثال صالح لأن يكون قصر إفراد أو قلب أو تعيين، والمقام الذى يحدد القصر فيه، حال المخاطب، فإن كان المخاطب يعتقد أنه خطيب وكاتب، كان من قصر الإفراد، وإن كان يعتقد أنه كاتب لا خطيب كان من قصر القلب، وإن كان متردداً بين صفتى الخطابة والكتابة كان من قصر التعيين .

وإذا قلنا : إنما خطيب الحجاج- فى قصر الصفة على الموصوف- فهذا المثال- أيضا- يحدد القصر فيه حال المخاطب، فإن كان المخاطب يعتقد أن الحجاج وعلى خطيبان، كان من قصر الإفراد، وإن كان يعتقد أن الخطيب على وليس الحجاج، كان من قصر القلب، وإن كان مترددا، بين الحجاج وعلى، كان من قصر التعيين .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٨٠ .

(٢) المطول ٢٠٨ .

ويتضح مما سبق أن قصر القلب والتعيين، يشتركان فى التعريف فكل منهما، تخصيص شئ بشئ مكان شئ آخر، والفارق بينهما اعتقاد المخاطب، فإن كان يعتقد عكس الحكم، كان قصر قلب، وإن كان متردداً، فى الحكم، كان قصر تعيين.

يقول صاحب المطول : تخصيص شئ بشئ مكان آخر، إن اعتقد المخاطب فيه العكس، قصر قلب، وإن تساويا عنده قصر تعيين(١).

كذلك، فإن تقسم القصر باعتبار حال المخاطب، إلى قصر إفراد وقلب وتعيين، خاص بالقصر الإضافى، لأن ما عدا المقصود عليه- فى القصر الحقيقى- لا وجود له أصلا، ولا يعقل فى مثل هذا اعتقاد شركة أو عكس أو تردد .

يقول صاحب المطول : وهذا التقسيم، لا يجرى فى القصر الحقيقى إذ العاقل، لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات، ولا اتصافه بجميع الصفات غير صفة واحدة، ولا يردده أيضا بين ذلك، وكذا اشتراك صفة بين جميع الأمور (٢).

هذا . وقد اشترط الخطيب فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافى الوصفين، فإذا قلنا : ما حسان إلا شاعر، وجب أن تكون

---

(١) المطول ٢٠٨ .

(٢) المرجع السابق ٢٠٧ .

الصفة المنفية كونه كاتباً أو خطيباً، لا كونه مفحما لا يقول الشعر[١].

كما اشترط - أيضا- في قصر الموصوف على الصفة قلبا تنافي الوصفين فإذا قلنا : ما خالد إلا جالس، ينبغي أن تكون الصفة المنفية كونه قائما [٢].

ولكن أبا يعقوب يوسف السكاكي لم يشترط هذا الاشتراط في قصري الإفراد والقلب، لأنه من المعلوم بالضرورة أن المخاطب في قصر الإفراد من يعتقد الشركة، وهذا لا يتحقق إلا في وصفين غير متنافيين، ومن ثم فلا داعي لهذا الشرط.

كذلك فإن شرط التنافي في قصر القلب، يخرج نحو «ما زياد إلا خطيب» لمن يعتقده كاتبا لا خطيبا، من القصر الإضافي، مع أنه قصر قلب لاعتقاد المخاطب العكس[٣].

يقول صاحب المطول : وأيضا يخرج حينئذ قولنا : ما زيد إلا شاعر لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر، من أقسام القصر، لعدم التنافي بين الشعر والكتابة، على أنه لا شبهة لنا في كونه قصر قلب، على ما صرح به صاحب المفتاح، ولقد أحسن في عدم اشتراط هذا الشرط[٤].

---

(١) المفحم : العيي والعاجز أمام الحجة ومن لا يستطيع أن يقول شعراً

(٢) أنظر الإيضاح جـ٣ / ١٨ .

(٣) أنظر المفتاح ١٣٩ .

(٤) المطول ٢١٠ .

أما قصر التعيين، فلم يشترط أحد فيه شيئا، فلا مانع أن يكون الوصفان فيه متنافيين، أو غير متنافيين، فكل ما صلح لقصرى الإفراد والقلب، صالح لقصر التعيين دون عكس، فقد يصلح لقصر التعيين، مالا يصلح لقصر الإفراد، كما إذا قيل : ما خالد إلا ناجح، لمن تردد بين نجاحه وإخفاقه، ولا يصلح أن يكون هذا المثال من قصر الإفراد لعدم تحقق اعتقاد الشركة .

يقول الشيخ الدسوقى : لا يصدق الإفراد إلا عند اعتقاد المشاركة، ولا يصدق قصر القلب إلا عند اعتقاد العكس، ولا يصدق قصر التعيين إلا عند عدم الاعتقادين(١) .

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٨٦ .

طرق القصر

للقصر طرق اصطلاحية هي ست :

١- ضمير الفصل. ٢- تعريف ركني الإسناد.
٣- العطف . ٤- النفي والاستثناء.
٥- إنما . ٦- التقديم .

العطف

قدم العطف على الطرق الأخرى، لأنه أقوى دلالة على القصر، للتصريح فيه بالإثبات والنفي.

يقول الشيخ الدسوقي: إنما قدم العطف على بقية الطرق ، لأنه أقواها للتصريح فيه بالطرفين المثبت والمنفي، بخلاف غيره، فإن النفي هناك ضمني، ثم النفي والاستثناء، أصرح من إنما، وأخر التقديم عن الكل، لأن دلالته على القصر ذوقية، لا وضعية (١).

والمقصود بالعطف هنا ما يكون بـ «لا»، أو «بل»، أو «لكن»، لأن حكم المعطوف بها، يغاير حكم المعطوف عليه إثباتا أو نفيا .

والمقصور عليه في «لا» هو المقابل لما بعدها، فإذا قلت «محمد

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٨٦ .

شجاع لا جبان» ، كان المقصور عليه، صفة الشجاعة التى عطفت عليها بـ «لا» ويكون القصر من قبيل، قصر الموصوف على الصفة.

وإذا قلت : محمد شجاع لا إبراهيم، كان المقصور عليه «محمدا» الذى عطفت عليه بـ «لا» إبراهيم، ويكون القصر من قبيل قصر الصفة على الموصوف .

وهكذا إذا قلت : سحبان خطيب لا زهير، كان قصر صفة على موصوف، وإذا قلت سحبان خطيب لا شاعر، كان قصر موصوف على صفة وبمعنى آخر المعطوف عليه، هو المقصور عليه.

ومن قصر الموصوف على الصفة **قول ابن الرومى** :

أَموالُهُ فِي رِقَابِ الناسِ مِنْ مِنَنٍ   لَا فى الخزائنِ مِنْ عَيْنٍ وَلَا نَشَبِ(١)

فالمقصور «أمواله» والمقصور عليه «كونها فى رقاب الناس».

وقوله أيضاً :

مَعْرُوفُهُ فِي جميعِ النَّـاسِ مُقْتَسَمٌ

فَحَمْدُهُ فى جَمِيعِ الناسِ لَا العُصَبِ(٢)

فالمقصور : «الحمد» والمقصود عليه «كونه فى جميع الناس».

والمقصور عليه فى «بل ولكن» هو المثبت بعدهما، فإذا قلت ما

---

(١) العين : الذهب والفضة والنشب : المال .

(٢) العصب : الأقارب .

حسان كاتباً بل شاعر، أو لكن شاعر، كان من قصر الموصوف على الصفة، وإذا قلت : ما خالد خطيبا بل زياد، أو لكن زياد، كان من قصر الصفة على الموصوف.

ومن القصر بلكن قصر صفة على موصوف، **قول عروة بن الورد:**

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ
عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الوقَائِعُ

فقد قصر صفة التشييب على الوقائع، دون تعاقب السنين.

وقول الشاعر :

إنَّ الجَدِيدَينِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا
لَا يَفْسُدَانِ ولكنْ يَفْسُدُ النَّاسُ[١]

فقد قصر الفساد على الناس.

ومن القصر «ببل» قصر موصوف على صفة قوله تعالى : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات، بل أحياء ولكن لا تشعرون»[٢].

---

(١) الجديدان : الليل والنهار- يريد أنهما لا يفسدان مع طول وجودها ولكن الإنسان يعتريه الفساد.

(٢) البقرة ١٥٤ .

فقد قصر الشهداء على الحياة دون الموت .

هذا . والقصر من طريق العطف ، يكون حقيقيا وإضافيا ، والمدار فـي ذلك علـى المعطوف ، فإن كان عاما ، كان القصر حقيقيا ، كقولك : «زهير شاعر لا غير زهير » ، فى قصر الصفة على الموصوف ، وقولك : «المنفلوطى كاتب لا غير كاتب» فى قصر الموصوف على الصفة[١] .

يقول ابن يعقوب : المشهور عندهم أن القصر الحاصل بالعطف ، لا يكون إلا إضافيا ، لأن الإثبات إنما هو باعتبار ما نفى بالعطف ، والحق أنه اكثرى لا كلى ، لصحة كونه من الحقيقى ، إذا كان المنفى هو جميع ماسوى المذكور ، كقولك : زيد عالم البلد لا غيره ، إذا فرض أن لا عالم فى البلد سواه ، وكقولنا : محمد ﷺ خاتم الأنبياء لا غيره[٢] .

ويكون القصر بالعطف ، قصر قلب ، أو إفراد ، أو تعيين ، تبعاً لحال المخاطب ، فإن كان يعتقد الشركة كان قصر إفراد ، وإن كان يعتقد عكس الحكم كان قصر قلب ، وإن كان متردداً كان قصر تعيين[٣] .

---

(١) القصر الحقيقى فى مثل هذين المثالين على سبيل الادعاء والمبالغة .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٩١ - والمثالان من قصر الصفة على الموصوف .

٣) يرى الإمام عبد القاهر ، أن «لا» العاطفة ، مثل «إنما» لا تستعمل فى الكلام البليغ =

ومن الواضح أن «بل» تفيد القصر إذا وقعت بعد النفى، لأنها حينئذ تفيد إثبات الحكم للتابع، فيتأتى القصر، أما بعد الإثبات فلا ترفع الحكم عن المتبوع بل تجعله فى حكم المسكوت عنه، فلا تفيد بعده القصر.

يقول الشيخ الدسوقى :

فنحو ما زيد كاتبا بل شاعر، معناه نفى الكتابة عن زيد وإثبات الشعر له ونحو زيد كاتب بل شاعر معناه ثبوت الشعر له مع السكوت عن نفى الكتابة وإثباتها لزيد(١) .

أما لكن فلا تقع إلا بعد النفى.

- إلا فى قصر القلب.

يقول الإمام : لا تقول «جاءنى زيد لا عمرو» حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان مجئ إليك من جاء، إلا أنه ظن أنه كان من عمرو فأعلمته أنه لم يكن من «عمرو» ولكن من «زيد» الدلائل ٣٣٦ والحق أنها تستعمل فى الأنواع كلها.

أنظر شرح التلخيص جـ/ ١٨٨ والمطول ٢١١ .

(١) حاشية الدسوقى جـ ٢ / ١٨٧ .

النفى والاستثناء

طريق النفى والاستثناء أوضح طرق القصر فى الدلالة عليه، ومن ثم استخدمه البلاغيون، فى توضيح الدلالة على القصر فى بعض طرقه التى لا توجد فيها أداة نفى صريحة، وقالوا عبارتهم المشهور : «يفيد القصر لأنه يتضمن معنى ما وإلا (١).

والمراد بالنفى : مطلق أداة نفى مثل : ما، وليس، وإنْ، ولا ولم، ولن .

والمراد بالاستثناء أيضا : مطلق أداة استثناء ، مثل إلا ، وغير وسوى .

ويشترط فى هذا الطريق – النفى والاستثناء– أن يسبق الاستثناء بنفى، ليفيد معنى القصر، لأن قولك : سافر الطلاب إلا محمدا، لا يفيد إلا مجرد استثناء أحد من الأفراد من الحكم، دون أن يكون فيه المعنى المقصود من القصر، وهو إفادة التوكيد .

يقول الشيخ الدسوقى : إن الاستثناء من الإثبات، كقولك : جاء القوم إلا زيدا، لا يفيد القصر، لأن الغرض منه الإثبات، والاستثناء قيد مصحح له، فكأنك قلت : جاء القوم المغايرون لزيد(٢) .

---

(١) أنظر شروح التلخيص جـ٢ / ١٩٤ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٩١ .

والمقصور عليه في النفي والاستثناء - هو مايلي أداة الاستثناء، تقول في قصر الموصوف على الصفة : ما حسان إلا شاعر، وفي قصر الصفة على الموصوف، ما شاعر إلا حسان ويكون القصر إفراد أو قلبا أو تعيينا حسب حال المخاطب، فإن كان يعتقد الشركة كان قصر إفراد، وإن كان يعتقد العكس، كان قصر قلب، وإن كان متردداً ، كان قصر تعيين.

ومن قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : «إن أنت إلا نذير»(١) .

والمقصور «أنت»، والمقصور عليه «نذير» .

ومن البين أن الرسول ﷺ، يعلم أنه مقصور على الإنذار، وليس جامعا بين الإنذار والهداية، ولكنه لما كان شديد الحرص هلى هداية الناس، كما كان يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان، ولا يرجع عنها، أخذ حكم من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار صفة الهداية، والسر البلاغي بيان شدة حرصه عليه الصلاة والسلام على هدايتهم(٢) .

يقول القرطبي : ليس عليك إلا التبليغ، ليس لك من الهدى شئ، إنما الهدى بيد الله تبارك وتعالى(٣) .

---

(١) فاطر ٢٣ .

(٢) أنظر دلائل الإعجاز، تحقيق الأستاذ محمود شاكر ٣٣٤ .

(٣) تفسير القرطبي ٥٤٢٢ ط دار الشعب .

ومن قصر الموصوف على الصفة- أيضا- قوله تعالى : «إن هذا إلا ملك كريم»(١) .

يقول القرطبى : أى ما هذا إلا ملك ، مبالغة فى تفضيله فى جنس الملائكة تعظيما لشأنه(٢) .

فالمقصور «هذا» والمقصور عليه «ملك كريم» .

قول لبيد :

وَمَا المرءُ إلاَّ كالهلالِ وَضَوْئه

يُوافِي تَمَامَ الشهرِ ثُمَّ يَغيبُ

فالمقصور «المرء» والمقصور عليه «كونه كالهلال» فالهلال يظهر طول الشهر ثم يغيب آخر الشهر فكذلك الإنسان يظهر فى الحياة فترة معينة ثم ينقضى أجله .

وقول ابن المعتز :

وَمَا العيشُ إلا مدةٌ سَوفَ تَنْقَضِى

ومـا المالُ إلا هـالكٌ وابـنُ هالكِ

فالمقصور «العيش» والمقصور عليه «مدة» والمقصور فى الشطر الثانى من البيت «المال» والمقصور عليه «هالك» قصر موصوف على صفة .

---

(١) يوسف ٣١ .

(٢) تفسير القرطبى ٣٤١٢ ط دار الشعب

ومن قصر الصفة على الموصوف، قوله تعالى : «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو»(١) ، فقد قصرت صفة علم الغيب على الله سبحانه.

وقوله تعالى : « وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »(٢) فقد قصر الجحود على الظالمين.

وقوله تعالى : «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله»(٣) فقد قصرت العبادة على الله سبحانه ونفيت عن غيره.

وقول عمرو بن معديكرب :

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا

مَا قطَّرَ الفَارِسَ إِلَّا أَنَا(٤)

فقد قصرت صفة «التقطير» على ضمير المتكلم، والمعنى أنه هو الذى صرعه لا أحد غيره من الناس.

هذا. وقد أفاد «النفى والاستثناء » القصر، لأنك إذا قلت - فى قصر الموصوف على الصفة- مايوسف إلا صادق، توجه النفى إلى صفة يوسف- لا إلى ذاته- لأن الذوات لا تنفى، وإنما تنفى صفاتها، ولما كان الخلاف فى كونه، صادقاً أو كاذباً. فقد تناولهما النفى، فإذا قيل : إلا صادق فقد جاء القصر.

---

(١) الأنعام ٥٩ .

(٢) العنكبوت ٤٩ .

(٣) آل عمران ٦٤ .

(٤) قطر الفارس : صرعه صرعة شديدة.

كذلك إذا قلت - فى قصر الصفة على الموصوف- ما صادق إلا يوسف- توجه النفى أيضاً إلى الصفة، ولما كانت الصفة- وهى الصدق- لا خلاف فى ثبوتها، وإنما الخلاف فى الموصوف بها، هل هو يوسف أم على مثلا، توجه النفى إليهما، فإذا قلت : إلا يوسف فقد جاء القصر.

يقول صاحب الإيضاح : تحقيق وجه القصر فى الأول[١] : أنه متى قيل - مازيد- توجه النفى إلى صفته لا ذاته، لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنما تنفى صفاتها، كما بين ذلك فى غير هذا العلم، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره، وما شاكل ذلك، وإنما النزاع فى كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفى، فإذا قيل- إلا شاعر- جاء القصر.

وفى الثانى[٢] أنه متى قيل- ما شاعر- فأدخل النفى على الوصف المسلم ثبوته- أعنى الشعر- لغير من الكلام فيهما، كزيد وعمرو ومثلا، توجه النفى إليهما، فإذا قيل إلا زيد- جاء القصر[٣].

---

(١) قصر الموصوف على الصفة.

(٢) قصر الصفة على الموصوف.

(٣) الإيضاح جـ ٣ / ٣٣.

إنمـــــا

أفادت «إنما» القصر، لتضمنها معنى : «ما وإلا» والدليل على ذلك :

قول المفسرين فى قوله تعالى : «إنما حرم عليكم الميتة»(١) بنصب الميتة على أنها مفعول به لحرم- ما حرم عليكم إلا الميتة .

وهذه القراءة، موافقة فى المعنى، لقراءة : رفع الميتة-على أنها خبر لإن، وما موصولة بمعنى الذى اسم «إن» والتقدير : إن الذى حرمه الله عليكم الميتة .

والقراءة الثانية ، تفيد القصر أيضا بتعريف الطرفين، وعلى ذلك فإن الآية تفيد القصر على القراءتين، وإن اختلف طريقا القصر، لأن القصر على القراءة الأولى «نصب الميتة» جاء بإنما ، وعلى القراءة الثانية «رفع الميتة» جاء بتعريف الطرفين، وتوافق القراءات فى المعنى دليل على أن «إنما» متضمنه معنى «ما وإلا» .

يقول القرطبى : «إنما» كلمة موضوعة للحصر، تتضمن النفى والإثبات، فتثبت ما تناوله الخطاب وتنفى ما عداه وقد حصر ههنا التحريم(٢) .

---

(١) النحل : ١١٥ .
(٢) تفسير القرطبى ٥٩٥ .

كما يقول صاحب المطول : إذا فسروا قراءة النصب ، بما حرم عليكم إلا الميتة ، ثبت أن «إنما» متضمن بمعنى «ما وإلا» فطابقت هذه القراءة قراءة الرفع ، لأن «ما» فيها موصولة ، والعائد محذوف ، والميتة خبر إن تقديره ، إن الذى حرمه الله عليكم الميتة ، وهذا يفيد القصر (١) .

وأيضا ، لقول النحاة : «إنما» لإثبات ما يذكر بعدها ، ونفى ما سواه وهذا هو معنى القصر .

يقول الشيخ الدسوقى : فدلالتها على ذلك ، دليل على تضمنها معنى «ما» التى هى للنفى ، وعلى معنى «إلا» ، التى هى للإثبات ، والحاصل أنه لما كان مفاد «إنما» ومفاد «ما» و «إلا» واحداً ، دل على أنها بمعناهما . . وإنما صرح النحاة بذلك فى «إنما» لخفائهما فيها ، بخلاف العطف و «ما وإلا» (٢) .

وكذلك لصحة انفصال الضمير معها بدليل قول الفرزدق :

أَنَا الذَّائِدُ الحامِى الذمــارَ وإنَّمــا
يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِم أنا أَوْ مِثْلِى (٣)

---

(١) المطول ٢١٢ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٩٨ .

(٣) الذمار ما يلزمك حفظه وحمايته ، والأحساب جمع حسب وهو ما يعد من مفاخر الآباء- الذائد : المدافع .

وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت متضمنه معنى «ما وإلا».

يقول صاحب المطول : لما كان غرضه أن يخص المدافع، لا المدافع عنه فصل الضمير وأخره، إذ لو قال : «وإنما أدافع عن أحسابهم، لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم، لا عن أحساب غيرهم، كما إذا قيل : لا أدافع إلا عن أحسابهم، وليس ذلك معناه وإنما معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره، ولا يجوز أن يقال إنه محمول على الضرورة، لأنه كان يصح أن يقول .وإنما أدافع عن أحسابهم أنا، على أن «أنا» تأكيد(١).

كما يقول عبد القاهر : إن المعنى لما كان «ما يدافع إلا أنا» فصلت الضمير، كما تفصله مع المعنى، إذا ألحقت معه «إلا» حملا على المعنى(٢).

وما ذكره أبو يعقوب يوسف السكاكى من تعليل لطيف، أسنده إلى على بن عيسى الربعى، وهو من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو أن كلمة «إنّ» لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمنسد إليه، ثم اتصلت بها «ما» المؤكدة لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر، لأن قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد، ألا تراك متى قلت لمخاطب يردد المجئ الواقع بين زيد وعمرو،

---

(١) المطول ٢١٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ٣٢٨ .

زيد جاء لا عمرو، كيف يكون قولك : زيد جاء إثباتا للمجئ لزيد صريحا، وقولك : لا عمرو إثباتا ثانيا للمجئ لزيد ضمنا(١).

هذا وفي التعبير بلفظ التضمن إشعار بأنه ليست بمعنى «ما وإلا» حتى كأنها مرادفة لهما، وذلك بأن تضمن الشئ معنى شئ، لا يقتضى كونه هو من كل وجه، بخلاف كونه نفسه، ولهذا يقال إن «إنما» ولو شاركت «ما وإلا» في إفادة القصر، تختلف عنهما في أن «إنما» تستعمل مثلا، فيما من شأنه أنه لا ينكر، «وما وإلا»، بالعكس، ولو كانت نفس ما وإلا، كما في المترادفين، لم تختلف عنهما بإفادة غير مفادهما(٢).

يقول الإمام عبد القاهر : إنهم لم يعنوا بذلك، أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللفظين، يوضعان لمعنى واحد، وفرق بين أن يكون في الشئ، معنى الشئ وبين أن يكون الشئ الشئ- على الإطلاق(٣).

هذا. والمقصور عليه بإنما هو المؤخر- كقوله تعالى - في قصر الموصوف على الصفة : «إنما المؤمنون أخوة»(٤) فالمقصور المؤمنون،

---

(١) المفتاح ١٤٠ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ١٩٥ .

(٣) دلائل الإعجاز ٣٢٩ .

(٤) الحجرات : ١٠ .

والمقصور عليه إخوة ، **وقول شوقي :**

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخلاقُ مَا بَقِيَتْ ∴ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهمْ ذَهَبُوا

فالأمم مقصور ، والأخلاق مقصور عليه .

وقول ابن دريد :

وَإِنَّمَا المرءُ حديثٌ بَعْدَهُ ∴ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

يريد : أن المرء لا يلبث أن يفنى ويندثر ، ويصبح حديثا يروى ، وإذا فخط لنفسك صحيفة عطره فى حياتك لتكون لك ذكراً طيباً بعد مماتك ، فقد قصر المرء على أنه سيكون خبرا يروى ، قصر موصوف على صفة .

وقول ابن المعتز :

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا بَلاغٌ لغايةٍ ∴ فإمَّا إلى غَيٍّ وإمَّا إلى رُشْدِ

فالمقصور : الدنيا ، والمقصور عليه : بلاغ لغاية .

وفى قصر الصفة على الموصوف ، كقوله تعالى « إنما حرم عليكم الميتة والدم والحم الخنزير وما أهل لغير الله به» (١)

فقد قصر التحريم على الميتة وما عطف عليها قصر صفة على موصوف .

---

(١) النحل : ١١٥ .

وقولك : إنما أعز الإسلام عمر - فالمقصور أعز الإسلام والمقصور عليه عمر ويكون القصر قصر إفراد أو قلب أو تعيين حسب حال المخاطب.

ويرى عبد القاهر أن «إنما» لا تستعمل فى الكلام البليغ إلا فى قصر القلب.

يقول الإمام : أعلم أنها تفيد فى الكلام بعدها إيجاب الفعل لشئ ونفيه عن غيره، فإذا قلت : «إنما جاءنى زيد» عقل منه أنك أردت أن تنفى أن يكون الجائى غيره، فمعنى الكلام معها، شبيه بالمعنى فى قولك : «جاءنى زيد لا عمرو» إلا أن لها مزية، وهى أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشئ ونفيه عن غيره دفعة واحدة فى حال واحدة.

فإذا قلت : «إنما جاءنى زيد» لم يكن غرضك أن تنفى أن يكون قد جاء مع زيد غيره، ولكن أن تنفى أن يكون المجئ الذى قلت إنه كان منه كان عمرو، وكذلك لا تقول : «إنما جاءنى زيد» حتى يكون قد بلغ المخاطب أن قد جاءك جاء، ولكنه ظن أنه عمرو مثلا، فأعلمته أنه زيد.

ويعقب صاحب المطول : واعلم أن كلام الشيخ فى دلائل الإعجاز مشعر بأن «لا وإنما» يدلان على قصر القلب دون الإفراد(٢).

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٣٥ .

(٢) المطول ٢١١ .

والحق أنها تستعمل فيه وفي غيره، ومن قصر الإفراد فيها قوله تعالى : «إنما الصدقات للفقراء... الآية[١] إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة فلا يكون القصر في ذلك قصر قلب[٢].

والأصل الذى يعتمده عبد القاهر فى هذا التحديد، هو ما يسبق إلى القلب، والسبق إلى القلب، أصل يهتز باعتبار الأحوال والعوارض التى تعتور القلب من نشاط وفتور، وحدة وكلال، ولهذا لا نستطيع أن نعول عليه فى كل حال .

ولا نرى وجهاً لهذا التحديد، وهذه الصرامة، وكيف ونحن لا نجد هذا الذى يقول : إنه يسبق إلى القلب عند سماع مثل قولك «إنما جاءنى زيد» وإنما يقع فى نفوسنا أنك لم تخصه بالمجئ، وقد يكون ذلك إعلاما أوليا ، وقد يكون دافعا لمن ظن أأنهما جاءاك إلى آخر ما يرشد إليه السياق والقرائن، ثم كيف نقبل منه ذلك والكلام العربى الخالص ملئ بما يناقضه، ألم يذكر عبد القاهر قوله تعالى : «إنما يخشى الله من عبادة العلماء»[٢] هل يمكن أن يقال إنها ردا على من اعتقد أن غير العلماء يخشون الله، وأن العلماء لا يخشون؟ كما أن قولك إنما جاءنى زيد، يكون رداً على من اعتقد أنه لم يأت، وأن

---

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) بغية الإيضاح جـ٢ / ٣٤ .

(٣) فاطر : ٢٨ .

الذى أتى هو فلان، ثم ماذا يقول فى الشواهد الكثيرة التى ساقها قبل نصه هذا وبعده.

هذا. ولم يذهب أحد من البلاغيين، إلى ما ذهب اليه عبد القاهر وأكثرهم لم يناقشه فى هذا، وقرروا جميعاً أنها تأتى لكل صور القصر(١) .

---

(١) دلالات التراكيب ١٤٠ .

التقديـــم

المقصود بالتقديم : تقديم ما حقه التأخير[١] ، والمقصور عليه في هذا الطريق هو المقدم .

كقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين»[٢] أى نخصك بالعبادة والاستعانة ، فلا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، فقد قدم المفعول به «إياك» على الفعلين «نعبد ونستعين» ليفيد قصر العبادة والاستعانة على الله ، من قصر الصفة على الموصوف .

وقوله تعالى : « لإلى الله تحشرون»[٣] فقد قدم الجار والمجرور على الفعل ، ليفيد القصر ، قصر صفة الحشر على الله سبحانه وتعالى ، قصر صفة على موصوف .

وقول شوقى :

بِسَيْفِكَ يَعْلُو الحقُّ والحقُّ أَغْلَبُ

وَيُنْصَرُ دِينُ اللهِ أيان تَضْرِبُ [٤]

فقد قصر « علو الحق» وهو صفة على «السيف» وهو موصوف .

---

(١) كخبر المبتدأ ومعمولات الفعل ، المطول ٢١٤ .

(٢) الفاتحة : ٥ .

(٣) آل عمران : ١٥٨ .

(٤) يريد أن الحق لا يعلو إلا علي عاتق السيف وحده .

وقوله أيضا :

وَإِلَى اللهِ تَرْجِعُ النَّفْسُ يَوْماً ∴ صَدَقَ اللهُ والنبيونَ وَعْدَا

فقد قصر رجوع النفس على الله تعالى، قصر صفة على موصوف.

وقوله أيضا :

بِكَ ياابنَ عبدِ اللهِ قامتْ سَمْحَةٌ

بالحقِّ من مِلَلِ الهُدَى غـــــرَّاءُ(١)

فقد قصر قيام السمحة، على المصطفى ﷺ ، قصر صفة على موصوف .

وقول الشاعر :

إلى اللهِ أَشكُو أَنَّ فى النفسِ حَاجةً

تمرُّ بها الأيـامُ وَهْـــىَ كَمَـا هِيَـا

فقد قصر صفة الشكوى على الله تعالى، فهو المشكو اليه لا غيره.

وتقول فى قصر الموصوف على الصفة «مسلم أنا» فقد تقدم

---

(١) السمحة " مؤنث السمح، يقال : شريعة سمحة فيها يسر وسهولة .

الخبر على المبتدأ المعرفة ، وهذا يفيد قصر الضمير «أنا» على الإسلام لا يتعداه إلى الكفر .

يقول الشيخ الدسوقي في «تميمي أنا» تقديم الخبر على المبتدأ ، مفيد لقصر المتكلم على التميمية لا يتعداها للقيسية مثلا[١] .

وكقول شوقي :

عَلَمٌ أَنْتَ في المشارقِ مُفْرَدْ

لَكَ في العالمين ذِكْرٌ مُخَلَّدْ

فالمقصور عليه «علم» والمقصور «أنت» من قصر الموصوف على الصفة .

هذا . ويرى الإمام عبد القاهر أن المسند إليه إذا تقدم على المسند الفعلي يفيد القصر بشرط وقوع المسند إليه بعد النفي .

يقول الإمام : إذا قلت : «ما أنا قلت هذا» كنت نفيت أن تكون القائل له ، وكانت المناظرة في شئ ثبت أنه مقول .

وإذا قلت : «ما أنا ضربت زيدا» لم تقله إلا وزيد مضروب ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب .

ومما هو مثال بين في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل ،

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٠٢ .

قول المتنبى :

وَمَا أَنَا أَسْــقَمْتُ جِسْــمِي بِـــهِ

وَلا أَنَا أَضْرَمْتُ في القلبِ نَــاراً(١)

المعنى ، كما لا يخفى ، على أن السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفى إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه ومثله فى الوضوح **قول المتنبى :**

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كلـــه(٢)

الشعر مقول على القطع، والنفى لأن يكون هو وحده القائل له(٣).

---

(١) أضرمت : أشعلت ، يعنى نار الحب

(٢) تتمة البيت :

ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

(٣) دلائل الإعجاز ١٢٤ - يريد أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر ولكن شعرى أعاننى على مدحك لأنه أراد مدحك كما أردته.

ضمير الفصل

والمراد به : أن يعقب المسند إليه بضمير الفصل(١). لتخصيصه بالمسند بمعنى جعل المسند مقصورا على المسند إليه، وسمى ضمير الفصل لأنه يتوسط بين المسند والمسند إليه، ويفصل بينهما، والمقصور عليه فى هذا الطريق هو المسند إليه(٢).

يقول ابن يعقوب المغربى: فى قولنا :« زيد هو الساعى فى حاجتك» ذكر ضمير الفصل ليفيد أن المسند، وهو الساعى، مخصوص بالمسند اليه وهو زيد، بحيث لا يتعداه إلى أن يكون غيره ساعيا(٣).

وقد استدل العلماء على دلالته على القصر بوروده فى القرآن الكريم فى المواضع التى يدعى فيها نسبة فعل من أفعال الله تعالى إلى غيره.

---

(١) ضمير الفصل : هو صورة ضمير واقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصلهما المبتدأ أو الخبر- عروس الأفراح جـ١ ص ٣٨٦ .

(٢) لا يكون ضمير الفصل مفيدا للقصر، إلا إذا أعرب ضمير فصل، لا محل له من الإعراب، أما إذا أعرب ضمير الفصل مبتدأ ثانيا، وما بعده خبر له، والجملة الاسمية المكونة من ضمير الفصل وخبره خبرا للمبتدأ قبله، أو لما دخل على المبتدأ الأول من نواسخ، فإن ضمير القصر لا يفيد القصر حينئذ.
والحق أنه حرف جئ به على صورة الاسم وليس بضمير ولا مرجع له، وإنما يسمى ضميرا على سبيل الاستعارة، والعلاقة المشابهة فى الصورة - حاشية الدسوقى جـ١ ص٣٨٦ .

(٣) مواهب الفتاح جـ ١ ص ٣٨٧ .

يقول صاحب عروس الأفراح : إذا قلت : زيد هو القائم، معناه أنه لا قائم غيره، وقد صرح به الزمخشرى، عند قوله تعالى : «وأولئك هم المفلحون»(١) إذ استدل السهيلى بأنه أتى به فى كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله تعالى ، ولم يؤت به حيث لم يدع، وذلك فى قوله تعالى : «وأنه هو أضحك وأبكى... إلخ الآيات»(٢) .

وفى بيان المراد بضمير الفصل فى قوله تعالى : «فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم»(٣) يقول : لو لم يكن للحصر لما حسن، لأن الله لم يزل رقيبا عليهم وإنما الذى حصل بتوفيه، أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى، وينبغى لهذا أن يتعين إعرابه فصلا، ومنها قوله تعالى: «لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون»(٤) فإنه ذكر لتبين عدم الاستواء، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص، وبهذا تعين إعراب «هم» هنا فصلا، لا تأكيدا، ولا مبتدأ ثانيا، إلا أن يقال فى هذا كله إن الحصر يحصل من تعريف الخبر(٥) .

هـــذا. ويفيد ضمير الفصل تأكيد التخصيص، إذا كان فى

---

(١) البقرة : ٥ . (٢) النجم : ٤٣-٥٠ .
(٣) المائدة : ١١٧ . (٤) الحشر : ٢٠ .
(٥) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ١ ص ٣٨٧ .

التركيب مخصص آخر، كقوله تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»[١].

فالتخصيص هنا مستفاد من تعريف الطرفين. والضمير لتأكيد هذا التخصيص[٢]، فقد قصرت صفة الرزق على الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى : «أم اتخذوا من دونه أولياء، فالله هو الولى »[٣] فقد قصرت صفة الولاية على الله سبحانه .

وقوله تعالى : « إن هذا لهو القصص الحق» [٤] فقد قصر «القصص الحق على المشار اليه، قصر صفة على موصوف .

وقوله تعالى : «إن شانئك هو الأبتر »[٥] فقد قصرت صفة الأبتر على الموصوف «شانئك» .

---

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ١ ص ٣٨٦ .

(٣) الشورى : ٩ .

(٤) آل عمران : ٦٢ .

(٥) الكوثر : ٣ .

التعريف بـ «أل» الجنسية

من طرق القصر، تعريف المسند أو المسند إليه بـ «أل» الجنسية .

وهذا القصر يأتى حقيقيا كقولك : «طارق القائد» أو القائد طارق، إذا لم يكن ثم قائد سواه، وإن وجد معنى الجنس فى غير المقصور عليه، كان الغرض من القصر المبالغة، لكمال ذلك المعنى فى المقصور عليه، أو لكمال المقصور عليه فى ذلك المعنى، فيعد وجوده فى غيره بمنزلة العدم، كقولك : «محمد العالم أو العالم محمد»، فقد قصرت صفة العلم على محمد، مع وجودها فى غيره لأنها بلغت فيه الغاية، ولم تبلغها فى سواه، أو لأنه بلغ فيها مرتبة الكمال، وكأن غيره لم يبلغ فيها مبلغه، والمقصور ما فيه، «أل» تقدم أو تأخر .

يقول الإمام عبد القاهر فى بيان معنى القصر بالألف واللام : «أن تقصر جنس المعنى على الخبر عنه، لقصدك المبالغة، وذلك قولك : زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع، تريد أنه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام فى صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره، لقصوره عن أن يبلغ الكمال»(١) .

وإذا كان المسند والمسند إليه، معرفين بأل الجنسية، احتمل

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٩ .

الكلام أن يكون المبتدأ مقصورا على الخبر ، وأن يكون الخبر مقصورا على المبتدأ ، والقرائن تحدد المراد ، فقولك : «العلماء الخاشعون» قد يقصد قصر العلماء على الخاشعين ، وقد يقصد عكسه ، فإن لم تكن قرينة ، فالأظهر قصر المبتدأ على الخبر .

هذا . وقد يقيد المقصور بقيد ، فيكون المقصور حينئذ الجنس باعتبار قيده ، كقولك : محمد الصديق المخلص ، فالمقصور على «محمد» وصف الصداقة المتسمة بالإخلاص لا مطلق صداقة ، وكقولك : هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا ، فالمقصور الوفاء في هذا الوقت لا مطلق وفاء .

وكقول الأعشى :

هُوَ الواهبُ المائـةَ المصطَفَا ∴ ةَ إمَّـا مَخَاضًـا وإمَّا عِشَارَا

فالشاعر قد قصر الهبة على الممدوح مقيدة بكونها من النوق وبكونها مائة ، أى هو المختص بهبة المائة من الإبل ، وبكونها مصطفاة ، وبكونها إما مخاضا وإما عشارا ، وهذا أبلغ في مقام المدح من قصر الهبة مطلقة .

يقول الإمام عبد القاهر : فأنت تجعل الوفاء في الوقت الذى لا يفى فيه أحد نوعا خاصا من الوفاء ، وكذلك تجعل هبة المائة نوعا خاصا وكذا الباقى ، ثم أنك تجعل كل هذا خبرا على معنى الاختصاص وأنه للمذكور دون من عداه .

---

(١) دلائل الإعجاز ١٨٠ .

اجتماع طرق القصر

إذا اجتمع التعريف بأل الجنسية مع ضمير الفصل، كقوله تعالى : «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»(١) فالتخصيص هنا مستفاد من تعريف الطرفين لقوته والضمير لتأكيد هذا التخصيص(٢) قصر صفة على موصوف.

وإذا اجتمع التعريف «بأل» مع العطف بـ«لا» فإن القصر يكون للتعريف «بأل» والعطف بـ«لا» يكون تأكيدا لهذا القصر كقولك : الشاعر شوقى لا العقاد قصر صفة على موصوف.

وإذا اجتمع طريقا القصر «إنما والتقديم» فقد رأى الإمام عبد القاهر أن يكون طريق القصر «إنما» وأن يكون المقصور عليه، «البلاغ» و«الحساب» قصر صفة على موصوف، فى قوله تعالى : «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب»(٣) .

يقول الإمام : «فإنك ترى الأمر ظاهرا أن الاختصاص فى الآية فى المبتدأ الذى هو البلاغ والحساب، دون الخبر الذى هو عليك وعلينا(٤) .

---

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ١ ص ٣٨٦ .

(٣) الرعد : ٤٠ .

(٤) دلائل الإعجاز ٣٤٥ .

بينما رأى الزمخشرى : أن السياق هو الأولى بالاعتبار، ومن ثم فقد جعل المقصور عليه فى «إنما عليك البلاغ» هو المؤخر «البلاغ»، كما رأى الإمام عبد القاهر، بيد أنه فى «علينا الحساب» جعل المقصور عليه هو المقدم «علينا» على معنى : ما عليك إلا البلاغ وعلينا لا عليك حسابهم[١].

يقول الزمخشرى : «فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم[١].

---

(١) الكشاف جـ٢ ص ٣٦٣ .

فروق بين طرق القصر

طرق القصر السابقة، تتفق فى إفادتها القصر **وتختلف فى أشياء** :-

١- **دلالة الطرق الثلاثة الأولى** : العطف، والنفى والاستثناء، وإنما بالوضع، أى أن الواضع وضعها لمعنى الإثبات والنفى، أما الرابع «التقديم» فدلالته بالفحوى، أى الذوق العربى السليم.

يقول صاحب المطول : إنه إذا تأمل من له الذوق السليم، فى مفهوم الكلام الذى فيه التقديم، فهم منه القصر، وإن لم يعرف أنه فى اصطلاح البلغاء كذلك(١) .

٢- **الأصل فى طريق العطف** : أن ينص فيه على المثبت والمنفى، تقول فى قصر الموصوف على الصفة «محمد كاتب لا شاعر» فقد نصصت على المثبت لـ«محمد» وهو الكتابة، وعلى المنفى عنه وهو الشعر.

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف : على ذكى لا إبراهيم، فقد نصصت على المثبت له الذكاء، وهو «على» وعلى المنفى عنه، وهو «إبراهيم» ومثل ذلك ، بل ولكن .

ولا يترك النص عليهما، إلا إذا اقتضى المقام ذلك، كأن تقول : محمد يعرف البلاغة لا غير، والتقدير : لا غير البلاغة فى قصر

---

(١) المطول ٢١٤ .

الموصوف على الصفة، أولا غير محمد، فى قصر الصفة على الموصوف.

أما الثلاثة الأخرى، فينص فيها على المثبت فقط، تقول فى «النفى والاستثناء» فى قصر الموصوف على الصفة : ما العلم إلا مفيد، وفى قصر الصفة على الموصوف : ما مفيد إلا العلم.

وتقول فى «إنما» فى قصر الموصوف على الصفة : إنما الطالب مجتهد، وفى قصر الصفة على الموصوف : إنما مجتهد الطالب .

وتقول فى «التقديم» فى قصر الموصوف على الصفة «مسلم أنا» وفى قصر الصفة على الموصوف. على الله توكلت وإلية أنيب.

يقول الشيخ الدسوقى : ظهر لك أن الطرق الثلاثة، لا ينص فيها إلا على المثبت، وإذا نص فى شئ منها على المنفى، كان خروجا عن الأصل كقولك: ما أنا قلت هذا، لأن المعنى لم أقله، لأنه مقول لغيرى، والأول منصوص، والثانى مفهوم[١].

٣- **النفى بـ«لا» العاطفة**، لا يجامع «النفى والاستثناء» فلا يجوز أن تقول - فى قصر الموصوف على الصفة- ما شوقى إلا شاعر لا كاتب، ولا أن تقول - فى قصر الصفة على الموصوف- ما شاعر إلا شوقى لا المنفلوطى، وذلك لأن شرط صحة النفى بـ«لا» عدم كونه منفيا قبلها، بغيرها من أدوات النفى.

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٠٧ .

أما «إنما» و «التقديم» فيجامعهما النفي بـ«لا» العاطفة فتقول : إنما محمد قائم لا قاعد- في قصر الموصوف على الصفة- وإنما قائم محمد لا علي- في قصر الصفة على الموصوف- كما تقول : شاعر محمد لا خطيب - في قصر الموصوف على الصفة- ومحمد قال الشعر لا علي ، في قصر الصفة على الموصوف.

يقول صاحب المطول : إنها موضوعة ، لأن تنفي بها ، ما أوجبته للمتبوع ، لا لأن تعيد بها النفي ، في شئ قد نفيته ، وهذا الشرط مفقود في النفي والاستثناء ، لأنك إذا قلت : ما زيد إلا قائم ، فقد نفيت عنه كل صفة ، وقع فيها التنازع ، حتى كأنك قلت : ليس هو بقاعد ولا نائم ، ولا مضطجع ، ونحو ذلك ، فإذا قلت : لا قاعد ، فقد نفيت بها شيئا هو منفي قبلها بما النافية ، وكذا إذا قلت : ما يقوم إلا زيد ، فقد نفيت عمرا وبكرا وغيرهما عن القيام ، فلو قلت : لا عمرو كان منفيا ، كما هو منفي قبلها بحرف النفي ، وهذا خروج عن وضعها(١).

هذا . وقد اشترط السكاكي لصحة مجامعة النفي بـ«لا» العاطفة «لإنما» عدم اختصاص الوصف بالموصوف- كما سبق قولك : إنما قائم محمد لا علي ، وكما تقول ، إنما الفاهم إسماعيل لا إبراهيم ، لأن القيام لا يجب اختصاصه بمحمد ، كما أن الفهم ، لا يجب اختصاصه بإسماعيل.

---

(١) المطول ٢١٥ .

أما إذا كان الوصف مختصا بالموصوف. كقوله تعالى : إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله» (١)فإنه لا يصح فى مثل ذلك أن يؤتى بعده بـ«لا» العاطفة ، فيقال : فى غير القرآن الكريم: «إنما يستجيب الذين يسمعون ، لا الذين لا يسمعون ، لأن كل عاقل ، يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع.

يقول السكاكى : إذا جامعت لا العاطفة إنما ، جامعتها بشرط ، وهو ألا يكون الوصف بعد إنما ، مماله فى نفسه اختصاص بالموصوف المذكور ، كقوله عز اسمه ، «إنما يستجيب الذين يسمعون» فإن كل عاقل ، يعلم أنه لا يكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ، وقوله : «إنما أنت منذر من يخشاها»(٢) فلا يخفى على أحد ، ممن به مسكة ، أن الإنذار ، إنما يكون إنذاراً ، ويكون له تأثير ، إذا كان مع من يؤمن بالله ، وبالبعث والقيامة وأهوالها ، ويخشى عقابها ، وقولهم إنما يعجل من يخشى الفوت ، فمر كوز فى العقول أن من لم يخش الفوت لم يعجل ، وإذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال «لا» العاطفة ، فلا تقل : إنما يعجل من يخشى الفوت لا من يأمنه(٣).

بيد أن الإمام عبد القاهر ، رأى أن عدم الاختصاص شرط كمال ، لا شرط صحة ، وما رآه الإمام إلى الصواب أقرب.

---

(١) الأنعام ٣٦ . (٢) النازعات ٤٥ .
(٣) المفتاح ١٤١ .

يقول الإمام : ومما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها لا يصح إلا من المذكور، ولا يكون من غيره، كالتذكر الذى يعلم أنه لا يكون إلا من أولى الألباب، لم يحسن العطف بلا فيه، كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور، ويصح من غيره.

تفسير هذا : أنه لا يحسن أن تقول «إنما يتذكر أولو الألباب لا الجهال، كما يحسن أن تقول : إنما يجئ زيد لا عمرو(١).

٤- **الأصل فى طريق** - النفى والاستثناء- أن يستعمل فى حكم من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره - تقول فى قصر الموصوف على الصفة، ما شوقى إلا شاعر، وفى قصر الصفة على الموصوف : ما شاعر إلا شوقى- إذا كان المخاطب مصراً على الإنكار، ويحتاج إلى تأكيد.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول، فيستعمل فيه «النفى والاستثناء» كقوله تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»(٢) أى أنه ﷺ مقصور على الرسالة، لا يتعداها إلى صفة الخلود، فإن الصحابة رضى الله عنهم يعلمون أنه غير جامع بين الرسالة، والخلود، ولكنهم لما استعظموا وفاته، نزلوا منزلة من ينكر عليه الموت، والنكتة البلاغية فى ذلك : هى الإشعار بعظم ذلك الأمر فى نفوسهم، وشدة الحرص على بقائه بينهم.

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٥٣ .

(٢) آل عمران ١٤٤ .

يقول الشيخ الدسوقى : إنهم لا يعتقدون أن النبى لا يهلك أبدا، فلما نزل علمهم بموته منزلة الجهل به والإنكار له، لاستعظامهم إياه، صاروا كأنهم أثبتوا له ﷺ صفتين الرسالة والتبرى من الهلاك، فقصر على الرسالة قصر إفراد، ولزم من ذلك تنزيل علمهم بهلاكه منزلة جهلهم به[١].

ومن تنزيل المعلوم منزلة المجهول أيضا قوله تعالى : «وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير» [٢].

فإن ﷺ يعلم أنه مقصور على الإنذار وليس جامعا بين الإنذار والهداية ولكنه لما كان شديد الحرص على هداية الناس، كما كان يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها، أخذ حكم من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار صفة الهداية، والنكتة البلاغية «بيان شدة حرصه عليه الصلاة والسلام على هدايتهم».

يقول الإمام عبد القاهر: إنما جاء- والله أعلم- بالنفى والإثبات لأنه لما قال تعالى : «وما أنت بمسمع من فى القبور»، وكان المعنى فى ذلك، أن يقال للنبى ﷺ «إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هى عليه من الإباء، ولا تملك أن توقع الإيمان فى نفوسهم، مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم، وتتلوه عليهم.

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢١٦ .

(٢) فاطر ٢٢، ٢٣ .

كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبى ﷺ ،حال من قد ظن أنه يملك ذلك ، ومن لا يعلم يقينا أنه ليس فى وسعه شئ أكثر من أن ينذر ويحذر ، فأخرج اللفظ مخرجه ، إذا كان الخطاب مع من يشك ، فقيل : «إن أنت إلا نذير» ويبين ذلك أنك تقول للرجل يطيل مناظره الجاهل ومقاولته : «إنك لا تستطيع أن تسمع الميت ، وأن تفهم الجماد ، وأن تحول الأعمى بصيراً وليس بيدك إلا أن تبين وتحتج ، ولست تملك أكثر من ذلك»

لا تقول ههنا : «فإنما الذى بيدك أن تبين وتحتج» ذلك لأنك لم تقل له : «إنك لا تستطيع أن تسمع الميت ، حتى جعلته بمثابة من يظن أنه يملك وراء الاحتجاج والبيان شيئا ، وهذا واضح فاعرفه(١) .

هذا . والأصل فى «إنما» أن يستعمل فيما يعلمه المخاطب ولا ينكره -عكس النفى والاستثناء - كأن تقول : «إنما محمد أخوك» لمن يعلم ذلك ويقربه ، وتريد أن ترققه عليه ، وتنبهه لما يجب عليه حق الأخ على أخيه .

يقول صاحب المطول : أى أن تجعل من يعلم ذلك رقيقا مشفقاً على ذلك الأخ(٢) .

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٣٤ .

(٢) المطول ٢١٩ .

وكقول المتنبى لكافور الإخشيدى :

إنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ والأبُ القا ∴ طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلادِ

فالمتنبى لم يرد أن يعلم كافور أنه بمنزلة الوالد، فإنه لا يحتاج فى ذلك إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليرقق قلبه، ويستثير عطفه وإشفاقه.

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم، فيستعمل فيه، «إنما ، لنكتة بلاغية كقوله تعالى حكاية عن اليهود «إنما نحن مصلحون» (١).

فقد ادعوا أن صلاحهم أمر ظاهر جلى، من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره، والنكتة فى ذلك : «الإشعار بأن صلاحهم واضح جلى، لا ينبغى إنكاره».

وقد رد الله سبحانه عليهم أبلغ رد بقوله « ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (٢)مؤكدا : بالجملة الأسمية الدالة على الثبوت والدوام، وتعريف الخبر«المفسدون» وهو يدل على القصر وتوسيط ضمير الفصل «هم» المؤكد لهذا القصر، والتصدير بحرف التنبيه «ألا» الذى يدل على أن الكلام يتطلب العناية ، والتأكيد بإن، ثم عقب سبحانه وتعالى الكلام بما يدل على التقريع والتوبيخ، مما يفيد أنه جعلهم فى عداد الموتى، لا إحساس لديهم ولا شعور عندهم.

---

(١) البقرة ١١ . (٢) البقرة ١٢ .

يقول ابن يعقوب : استعملوا «إنما في إثباتهم الصلاح لأنفسهم وهي إنما تستعمل في الحكم الذي من شأنه ألا ينكر، لا دعائهم ظهور صلاحهم ففي استعمالهم «إنما» في إثبات الصلاح. لا دعاء ظهوره، إشعار بأن نقيضه وهو فسادهم ظاهر الانتفاء، حتى لا يحتاج في نفيه إلى التأكيد بالنفي والاستثناء، فقد أنكروا الفساد الذي اتصفوا به، مبالغين في إنكاره، حيث زعموا أن نفيه من شأنه أن يلحق بالظواهر والضروريات التي لا تنكر(١).

ومما نزل فيه- أيضا- المجهول منزلة المعلوم قول عبد الله بن قيس الرقيات :

إنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ من اللـــ ∴ ــهِ تجلتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ(٢)

فقد ادعى الشاعر أن كون مصعب كما ذكر ، أمر جلي معلوم لكل أحد .

والنكتة في ذلك الإشعار بعلو منزلة مصعب، وعظم قدره وشهرته بذلك.

يقول الإمام عبد القاهر : ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة،

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص / ٢٢١ .

(٢) تجلت : تكشفت ، والبيت من قصيدة في مدح مصعب بن الزبير بن العوام وكان عبد الله منقطعا إلى مصعب وكثير المدح له، وكان يقاتل معه- الكامل للمبرد جـ٢ / ٢٦٨ .

أنه أمر ظاهر معلوم للجميع، على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التى يذكرون بها الممدوحين، أنها ثابتة لهم، وأنهم قد شهروا بها وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذى لا يدفعه أحد[١].

٥- «إنما» لها مزية على العطف، لأنه يعقل منها الإثبات والنفي دفعة واحدة، ففي قولك : «إنما محمد فاهم» تثبت له صفة الفهم وتنفى عنه غيرها، بخلاف العطف، فإنك حين تقول : اسماعيل صادق لا كاذب، فالذى يعقل ثبوت الصدق لاسماعيل، ثم نفى الكذب عنه، وهكذا فى «بل» و «لكن» فإنك إذا قلت : ما اسماعيل كاذبا بل صادق، أو لكن صادق، فقد نفيت الكذب عن إسماعيل ، ثم أثبت الصدق له.

يقول صاحب المطول : وتعقل الحكمين معا أرجح، إذ لا يذهب فيه الوهم إلى عدم القصر من أول الأمر كما فى العطف[٢].

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٣١ .

(٢) المطول ٢٢٠ .

أحسن مواقع إنما التعريض :

إذا تتبعت مواقع «إنما» وجدتها أجمل ما تكون استعمالا إذا كان الغرض منها «التعريض» .

والمراد به : أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر ، يفهم من السياق كقوله تعالى :«إنما يتذكر أولو الألباب» (١) فإن الغرض «التعريض بذم الكفار ، وأنهم من فرط العناد ، وغلبه الهوى عليهم ، فى حكم من ليس بذى عقل» .

وكقوله تعالى : «إنما أنت منذر من يخشاها»(٢) وقوله تعالى : «إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب»(٣) فالمراد من الآيتين التعريض بمن لا خشيه لديه من الله ، وأنه كمن لا أذن له تسمع ، أو قلب يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار .

يقول الإمام عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه ، نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى : «إنما يتذكر أولو الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ، ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال : إنهم من فرط العناد ، ومن غلبه الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل ، وإنكم ان

---

(١) الرعد ١٩ .

(٢) النازعات ٤٥ .

(٣) فاطر ١٨ .

طمعتم منهم، فى أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع فى ذلك، من غير أولى الألباب... ثم إن العجب فى أن هذا التعريض الذى ذكرت لك لا يحصل من دون «إنما» فلو قلت : «يتذكر أولو الألباب» لم يدل مادل عليه فى الآية، وإن كان الكلام لم يتغير فى نفسه، وليس إلا أنه ليس فيه «إنما» (١).

ومثل ذلك أيضا قول العباس بن الأحنف :

يَلُومُ فِى الحبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعْمَ هَوَى
وَإِنَّمَا يَعْذِرُ العُشَّاقَ مَنْ عَشِقَا

يقول إنه ليس ينبغى للعاشق أن يلوم من يلومه فى عشقه، وأنه لا ينبغى أن لا ينكر ذلك منه، فإنه لا يعلم كنه البلوى فى العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو فيه فعذره(٢).

والغرض : التعريض بمن خلا قلبه من العشق، وأنه لا ينبغى أن يلوم العاشق.

وقول الشاعر :

مَاأَنْتَ بالسَّبَبِ الضعيفِ وإنَّمَا
نُجْحُ الأمورِ بقُوَّةِ الأسبابِ

(١) أنظر دلائل الإعجاز ٣٥٤ -٣٥٦ .

(٢) المرجع السابق ٣٥٥ .

فاليومَ حَاجَتُنَــا إليــكَ وإنمــــا

يُدْعَى الطبيبُ لساعةِ الأوصـاب(١)

معلوم أن نجاح الأمور منوط بقوة أسبابها، كما أن استدعاء الطبيب يكون عند الحاجة إليه.

ومن ثم فالغرض- فى البيت الأولى- التعريض بأنه ينبغى أن أنجح فى أمرى، حين جعلتك الوسيلة إليه.

وفى البيت الثانى التعريض بأننا حين استعنا بالممدوح فى قضاء حوائجنا والتعويل على فضله كنا محقين فى ذلك، شأننا كشأن من يعول على الطبيب حين يصيبه مرض، فيترتب الشفاء بإذن الله تعالى.

---

(١) السبب : ما يتوصل به إلى غيره، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض.

مواقــع القصــر

إن القصر ، كما يقع بين المبتدأ والخبر ، كما في قولك ما شوقي إلا شاعر وإنما الحجاج خطيب ، فإنه يقع أيضا ، بين الفعل والفاعل فتقول : ما نجح إلا المجتهد ، كما يقع بين الفاعل والمفعول كقولك : ما أكرم محمد إلا عليا ، في قصر الفاعل على المفعول ، وقولك ما أكرم عليا إلا محمد في قصر المفعول على الفاعل .

بيد أنه قيل : إن القصر لا يخرج عن كونه قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف ، وكل من الفاعل والمفعول ذات ، ولا يتصور حصر الذات في الذات ، فلا يصح القصر حينئذ .

وأجيب بأنه ليس معنى الكلام : أن ذات الفاعل ، أو ذات المفعول مقصورة على ذات المقصور عليه كما توهم .

إنما المراد أن معنى قصر الفاعل على المفعول : قصر الفعل المسند إلى الفاعل على المفعول ، أو معناه : قصر الفاعل نفسه ، على الفعل المتعلق بالمفعول .

فمعنى قولنا : ما صحب زيد إلا عمرا ، ما مصحوب زيد إلا عمرو ، فيرجع في التحقيق إلى قصر الصفة ، وهي المصحوبية ، على الموصوف وهو «عمرو» .

أو معناه : ما زيد إلا صاحب عمرو ، فيكون من قصر الموصوف ، وهو «زيد» عل الصفة ، وهي الصاحبية .

كذلك المراد من قصر المفعول على الفاعل : قصر الفعل المتعلق بالمفعول على الفاعل، أو قصر المفعول نفسه على الفعل المسند إلى الفاعل.

فمعنى قولنا «ما صحب عمرا إلا زيد» : ما صاحب عمرو إلا زيد، فيرجع إلى قصر الصفة- وهى الصاحبية- على الموصوف، وهو «زيد» .

أو معناه : «ما عمرو إلا مصحوب زيد، فيعود إلى قصر الموصوف، وهو «عمرو» على الصفة- وهى المصحوبية.

ويكون القصر حقيقيا وإضافيا- إفرادا، أو قلبا، أو تعيينا حسب حال المخاطب-فإن قلت فى قصر الفاعل على المفعول : «ما صحب زيد إلا عمرا» فإن أردت : ما مصحوب زيد إلا عمرو، دون من عدا عمرو، كان من قصر الصفة قصرا حقيقيا، وإن أردت : دون «خالد» مثلا، كان قصراً إضافيا، ثم إن أريد : الرد على من زعم أن مصحوب زيد عمرو وخالد كان القصر إفرادا، وإن أريد الرد على من زعم أن مصحوبه خالد دون عمرو، كان القصر قلبا، وإن كان المخاطب مترددا على المصحوب منهما كان القصر تعيينا.

أما قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : «ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم»(١).

---

(١) المائدة ١٧ .

فمن قصر الفاعل على المفعول قلبا ، لا إفرادا ، إذ ليس المعنى : أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئا ، حتى يكون قصر إفراد ، بل المعنى : أنى لم أترك ما أمرتنى به أن أقوله إلى غيره ، لأنه فى مقام أن يقال له : كيف تركت ما أمرتك به أن تقول ، إلى مالم آمرك به ، فقد أمرتك أن تدعوا الناس أن يعبدونى ، فدعوتهم إلى عبادة غيرى(١) بدليل قوله تعالى : «أأنت قلت للناس أتخذونى وأمى إلهين من دون الله» (٢) .

يقول الإمام عبد القاهر : ليس المعنى إنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئا ولكن المعنى : إنى لم أدع ما أمرتنى به ، أن أقوله لهم ، وقلت خلافه(٣) .

وكما يقع القصر بين الفعل والفاعل ، وبين الفاعل والمفعول ، فإنه يقع كذلك بين المفعولين ، كقولك : ما كسوت الفقير إلا ثوباً والحال وصاحبها ، تقول فى قصر الحال على صاحبها : ما حضر راكباً إلا على- وفى قصر صاحبها عليها : ما جاء على إلا راكباً ، والتمييز مثل ما طاب محمد إلا نفساً ، والظرف كقولك : ما أقمت إلا عندك ، والبدل كقولك : ما أعجبنى محمد إلا علمه .

---

(١) أنظر الإيضاح جـ٣ / ٤١ والمنهاج الواضح ٤٦ .

(٢) المائدة ١١٦ .

(٣) دلائل الإعجاز ٣٣٧ .

تقديم المقصور عليه :

يجوز على قلة تقديم المقصورعليه، مع حرف الاستثناء على المقصور بشرط وقوع المقصور عليه، بعد أداة الاستثناء، كقولك : ما أكرم إلا على محمدا- فى قصر المفعول به على الفاعل، وقولك : «ما أكرم إلا عليا محمد» فى قصر الفاعل على المفعول.

وإنما قل تقديم المقصور عليه، لما فيه من إيهام استلزام قصر الصفة قبل تمامها- فى قصر الصفة- أو تأخير الموصوف عن جميع الصفة فى قصر الموصوف.

وذلك لأنك إذا قلت فى قصر الفاعل على المفعول: ما أحب زيد إلا عمرا، وحمل على قصر الصفة على الموصوف، على معنى «ما محبوب زيد إلا عمرا، ثم قدر المقصور عليه، فقيل : ما أحب إلا عمراً زيد، لزم قصر الصفة، وهى «الحب» قبل تمامها، إذ تمامها بذكر الفاعل، لأن الصفة المقصورة على المفعول، هى الفعل المنسوب إلى الفاعل، لا مطلق فعل، وحينئذ، لا يتم المقصور قبل ذكر الفاعل، فلا يحسن قصره- كذلك لو حمل على قصر الموصوف على الصفة، على معنى : «مازيد إلا محب عمرو» ثم قدم المقصور عليه، فقيل «ما أحب إلا عمرا زيد» لزم تأخير الموصوف الذى هو «زيد» على جميع الصفة، ومثل ذلك يقال فى قصر المفعول على الفاعل.

وإنما جاز على قلة ، ولم يمتنع نظراً إلى أن الصفة فى حكم التام باعتبار ذكر المتعلق فى الآخر - فى قصر الصفة- ونظرا إلى أن الموصوف مقدم فى المعنى، وإن تأخر فى اللفظ- فى قصر الموصوف- ولذلك عبر فى جانب الاستلزام بالإيهام، لأن الاستلزام الحقيقى غير محقق(١) .

أما «إنما» فالمقصور عليه هو المؤخر . فإذا قلت : إنما عبد الحميد كاتب، فالمقصور عليه «كاتب» وإذا قلت : إنما كاتب عبد الحميد، فالمقصور عليه «عبد الحميد» .

يقول صاحب الإيضاح : فالواقع أخيراً هو المقصور عليه أبداً، ولذلك تقول إنما هذا لك، وإنما لك هذا، أى ما هذا إلا لك، ومالك إلا هذا ، حتى إذا اردت الجمع بين إنما والعطف، فقل : إنما هذا لك لا لغيرك، وإنما لك هذا لا ذاك، وإنما أخذ زيد لا عمرو وإنما زيد يأخذ لا يعطى، ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى :«إنما يخشى اللّهَ من عبادة العلماءُ»(٢). وقولنا : «إنما يخشى العلماءُ من عباده اللّهَ، فإن الأول ، يقتضى قصر خشية اللّه على العلماء، والثانى يقتضى خشية العلماء على الله(٣).

---

(١) شروح التلخيص ٢٢٨ جـ ٢ والمنهاج الواضح ٤٨ .

(٢) فاطر ٢٨ .

(٣) الإيضاح جـ٣ / ٤٦ .

الإنشــــاء

علمت أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء

وأن الجملة الخبرية ، يكون القصد منها ، إفادة أن محتواها ، سواء كان إثباتا أو نفياً ، له واقع خارج العبارة ، يطابق هذا المحتوى ، فتصف الكلام بالصدق أو لا يطابقه ، فتصف الكلام بالكذب ، فقولك : جاء زيد ، يراد به أن هذه النسبة الكلامية ، لها نسبة فى الخارج أى أنه وقع مجئ من زيد ، وكذلك قولك لم يجئ زيد .

أما الجملة الإنشائية ، فليس القصد منها ، إفادة أن محتواها يطابق نسبتها الخارجية ، وإنما القصد إلى إنشائها .

فقول الشاعر :

لَيْتَ الكواكبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا

عُقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

فيه نسبة كلامية ، هى تمنى دنو الكواكب ، وله نسبة خارجية هى قيام هذا التمنى فى النفس .

ويحتمل إن يكون هذا التمنى القلبى قائماً ، فتكون النسبة الخارجية مطابقة ، ويوصف الكلام بالصدق ، وأن يكون هذا التمنى القلبى غير قائم ، وأن يكون قد ادعى ذلك فى اللفظ فقط ، ويوصف الكلام حينئذ بالكذب ، ولكن ليس المقصود من الجملة هو

الإخبار بمطابقة هذه النسبة لتلك، وإنما المقصود هو إنشاء هذا المعنى.

وكذلك تقول فى قول المتنبى يرثى أخت سيف الدولة :

فَيَالَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غائبةٌ

وياليتَ غائبةَ الشَّمسينِ لم تَغِبِ(١)

ليس مراد الشاعر، الإخبار عن المعنى القائم فى قلبه، وأنه طابق ما يجرى به لسانه، ولذلك لا نصفه بصدق ولا كذب، لأنه لم يورده مورداً يحتمل هذا، وإن كان يتضمن نسبة خارجية ونسبة كلامية(٢).

يقول الشيخ الدسوقى : والتحقيق أن الإنشاء له نسبة كلامية ونسبة خارجية، تارة يتطابقان ولا يتطابقان تارة أخرى، فنحو "هل زيد فاهم" ، "وقم" النسبة الكلامية للأول طلب الفهم من المخاطب والثانى القيام منه، والنسبة الخارجية لهما : الطلب النفسي للفهم فى الأول، والقيام فى الثانى، فإن كان الطلب ثابتاً للمتكلم فى الواقع.

---

(١) يريد : الشمس غابت، وبقيت هذه المرأة التى شبهها بالشمس، وجعلها شمسا لأن للناس فى حياتها منافع كثيرة، فليتنا فقدنا الشمس الطالعة وبقيت الغائبة والبيت من قصيدة مطلعها :

يا أخت خير أخ يابنت خير أب

كناية بهما عن أشرف النسب

(٢) دلالات التراكيب ١٩٢ .

كان الخارج مطابقاً للنسبة الكلامية، وإن كان الطلب النفسي ليس ثابتا للمتكلم في الواقع كان الخارج غير مطابق.

فعلم من هذا. أن النسبة الكلامية والخارجية، والمطابقة وعدمها، أمور لابد منها، في الخبر والإنشاء، والفارق بينهما إنما هو القصد، وعدم القصد، فالخبر لابد فيه من قصد المطابقة أو قصد عدمها، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها(١).

فقولك : «اكتب» مثلا، لم يقصد به، أن يكون حكاية عن أمر خارج يطابقة، أولا يطابقه، وإنما هو طلب إحداث أمر لم يكن وهو الكتابة.

هذا. وينقسم الإنشاء إلى ضربين :

طلبى : والمراد به ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل.

كقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه، لابن عباس رضى الله عنهما : وكان والياً على مكة المكرمة : **أقم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتى، وعلم الجاهل، وذكر العالم**(٢).

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ١ / ١٦٦ .

(٢) أقم للناس الحج: قم بينهم وعلمهم مناسك الحج. وذكرهم بأيام الله التى عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم والعصران، الظهر والعصر.

وقول عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما : لا تتكلم بما لا يعنيك، ودع الكلام فى كثير مما يعنيك، حتى تجد له موضعاً .

وقول أفلاطون : لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون عن مدة العمل، وإنما يسألون عن تجويده.

وقول بعض الحكماء لابنه: يابنى تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث.

وقول المتنبى :

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاَّ غَيْرَ مُكْتَـرِثٍ

مَادامَ يصحبُ فيه رُوحَكَ البدنُ(١)

فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بـه

وَلَا يَرُدُّ عليـكَ الفائِتَ الحزَنُ(٢)

وإذا وردت صيغة الطلب فى مطلوب حاصل عند الطلب، وجب حملها على معنى آخر يناسب المقام، كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله »(٣)، وقوله جل شأنه : «ياأيها النبى اتق

---

(١) ما أكترث له، أي ما أبالي، يريد : مادمت حيا، فلا تبالى بالزمان وصروفه ونوائبه، فإنها تزول، وليست دائمة، والذى فات فلا عوض منه هو الروح.

(٢) يريد : أن السرور وهو الفرح، لا يدوم، ولابد له من انقضاء، وإذا حزنت على فائت تعبت، ولا يرده عليك حزنك.

(٣) النساء ١٣٦ .

الله»(١) ، فإن الإيمان والتقوى، حاصلان عند الطلب، ومن ثم وجب أن يكون المعنى طلب دوام الحصول، وأن يكون تقدير الكلام: داوموا على إيمانكم أيها المؤمنون، ودم على تقواك أيها النبى.

يقول صاحب المطول : إذا كان المطلوب حاصلا، يمتنع إجراؤها، على معناها الحقيقى، ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام(٢).

وأنواع الطلبى خمسة هى :

الأمر : كقوله تعالى :« وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده»(٣).

والنهى : كقوله تعالى :« ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين» (٤).

والاستفهام : كقوله تعالى : «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنه يحسنون صنعا»(٥).

والتمنى : كقوله تعالى : «قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين »(٦).

---

(١) الأحزاب ١ .
(٢) المطول ٢٢٤ .
(٣) الفرقان ٥٨ .
(٤) هود ٨٥ .
(٥) الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٦) يس ٢٦ ، ٢٧ .

والنداء : كقوله تعالى : «ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى»(١) .

يقول صاحب المطول : في الإنشاء الطلبي : وأنواعه كثيرة، لأنه إما أن يقتضي كون مطلوبه ممكنا أولا ، الثاني التمني، والأول : إن كان المطلوب به، حصول أمر في ذهن الطالب، فهو الاستفهام، وإن كان المطلوب به حصول أمر في الخارج، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل، فهو النهي، وإن كان ثبوته فإن كان بإحدى حروف النداء، فهو النداء، وإلا فهو الأمر(٢) .

وغير طلبي : والمراد به مالا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ويكون بصيغ كثيرة منها :

صيغ المدح والذم : كقوله تعالى : «نعم الثواب وحسنت مرتفقا»(٣) . وقوله تعالى : « بئس للظالمين بدلا »(٤) .

وقول الجاحظ : نعم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإصرار- يريد أن من وقع منه زلة فاعتذر فنعم الاعتذار، ومن وقع منه شئ محرم فلم يتب وإنما أصر على خطئه فبئس ما فعل.

والقسم كقوله تعالى : وتالله لأكيدن أصنامكم(٥) .

---

(١) الحجرات ١٣ .
(٢) المطول ٢٢٥ .
(٣) الكهف ٣١ .
(٤) الكهف ٥٠ .
(٥) الأنبياء ٥٧ .

وقول عبد الله بن طاهر :

لَعَمْرُكَ مَا بِا لعقلِ يُكْتَسَبُ الغِنى ∴ ولا باكتسابِ المالِ يُكتسبُ العقلُ

والتعجب كقوله تعالى : «أسمع بهم وأبصر» (١) .

وقول الشاعر :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَهَا ∴ إذا أطـاعَ اللهَ مَـنْ نَالَهـا

والرجاء : كقوله تعالى : عسى ربكم أن يرحمكم(٢)

وقوله تعالى : «لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً»(٣) .

وقول الشاعر :

عَسَى سائلٌ ذو حَاجةٍ إن مَنَعْتَهُ

من اليومِ سُؤْلاً أنْ يَكُونَ له غَدُ(٤)

هـذا . والإنشاء غير الطلبى ليس مجال بحث عند البلاغيين لقلة المباحث المتعلقة، ولأن أكثر أنواعه، فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء أما الإنشاء الطلبى فهو المقصود

---

(١) مريم ٣٨ .   (٢) الإسراء ٨ .

(٣) الطلاق ١ .

(٤) يريد الشاعر : لا يليق أن تمنع سائلا أتاك وله حاجة، فإنك إن منعته فى يومك الذى هو لك، فقد يكون له الغد فيجازيك بمثل ما فعلت .

بالبحث والنظر عند علماء البلاغة، لما فيه من نكات بلاغية، ولطائف بيانية.

يقول صاحب المطول : الإنشاء ضربان : طلب، كالاستفهام والأمر والنهي ونحوذلك، وغير طلب، كأفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، ولعل ورب، وكم الخبرية، ونحو ذلك، والمقصود بالنظر ههنا هو الطلب، لاختصاصه بمزيد أبحاث، لم تذكر في بحث الخبر ولأن كثيراً من الإنشاءات الغير طلبية في الأصل أخبار، نقلت إلى معنى الإنشاء (١).

وإليك أنواعه على وجه التفصيل.

---

(١) المطول ٢٢٤ .

الأمـــــر

الأمـــر : هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء(١) مـــع الإلزام، وله أربع صيغ :-

١- **فعـل الأمر** : كـقـولـه تـعـالـى :« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين»(٢).

وقوله تعالى : «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»(٣) .

وقولـه تعالى : « يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر» (٤).

وقوله تعالى : «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا»(٥).

وقوله تعالى : «يايحيى خذ الكتاب بقوة» (٦).

وقوله تعالى : «يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك»(٧).

---

(١) المراد بالاستعلاء : أن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأناً سواءٌ كان عالياً فى الواقع أولا، ومن ثم نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عليا، فإذا استعملت صيغة الأمر، فى غير طلب الفعل استعلاء، كان ذلك من خروج صيغة الأمر عن غير معناها لغرض بلاغى .

(٢) البقرة ٢٣٨ .

(٣) الزمر ٦٦ .

(٤) المدثر ١-٥ .

(٥) هود ٣٧ .

(٦) مريم ١٢ .

(٧) يوسف ٢٩ .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقو الله لعلكم تفلحون»[١] .

وقوله ﷺ : اتق الله ، حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن.

وقول المهدى للربيع ، وكان واليا على أرض فارس.

ياربيع انشر الحق ، والزم القصد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره.

٢- والفعل المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى :« لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله»[٢] .

وقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق»[٣] .

وقوله تعالى : «وليكتب بينكم كاتب بالعدل»[٤] .

وقوله تعالى : «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة»[٥] .

---

(١) آل عمران ٢٠٠ .
(٢) الطلاق ٧ .
(٣) الحج ٢٩ .
(٤) النساء ٧٤ .
(٥) النساء ٧٤ .

وقـولـه ﷺ : «من كان يـؤمن بالله واليوم الآخر فـليكرم ضـيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

وقول المتنبى :

لَاخَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا ولا مَــــالُ

فَلْيُسْعِدِ النطـقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحالُ

٣- واسم فعل الأمر : كقوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»(١).

وقوله تعالى : «قد يعلم الله المعوقعين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا»(٢).

وقول الشاعر :

يَارَبِّ لَا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَداً ∴ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا

وقول المؤذن : «حى على الفلاح، أى هلم إلى فعل الخير وأقبل عليه.

وقولك : صه عن الغيبة والنميمة، أى كف عنهما.

٤- والمصدر النائب عن فعله ، كقوله تعالى : «واعبدوا الله

---

(١) المائدة ١٠٥ .

(٢) الأحزاب ١٨ .

ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا»(١).

وقوله تعالى : «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب»(٢).

وقول قطرى بن الفجاءة :

فَصَبْراً فى مَجَالِ الموتِ صَبْرًا ∴ فَمَا نيلُ الخلودِ بِمُسْتَطَاعِ

وقول شوقى :

فَرِفْقاً بِقَيْسٍ يَاأَميرُ وَنَحِّــهِ ∴ بَعِيدًا لعلَّ الشَّرَّ عنهُ يَزُولُ

هــذا. وكثيراً ما تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلى، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، إلى معان أخر، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

ومن ذلك :

١- الـدعـاء : إذا كان الطلب على سبيل التضرع، ويكون من الأدنى إلى الأعلى .

كقوله تعالى : «ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» (٣).

وقوله تعالى : «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء»(٤).

---

(١) النساء ٣٦ .
(٢) محمد ٤ .
(٣) آل عمران ١٤٧ .
(٤) إبراهيم ٤٠ .

وقوله تعالى : «ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عن سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار» (١).

وقوله تعالى : «رب اغفر لي ولوالدى ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات»(٢).

وقوله تعالى : «رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى»(٣).

وقوله تعالى : «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك »(٤).

وقوله تعالى : «رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين»(٥).

وقول المتنبى يخاطب سيف الدولة:

أَزِلْ حَسَدَ الحسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِم
فَأنْتَ الذِى صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّداً(٦)

وقوله أيضا :

أَجِزْنِى إِذَا أُنْشِدتَّ شِعْراً فإنمـا
بـشِـعْـرِى أَتَـاكَ المـادحـونَ مُـرَدَّداً

---

(١) آل عمران ١٩٣.
(٢) نوح ٢٨.
(٣) طه ٢٥-٢٩.
(٤) النحل ١٩.
(٥) الشعراء ٨٣.
(٦) كبته : أذله : يريد أنت الذى صيرتهم حاسدين لى ، بما أفضت على من نعمتك، فاصرف شر حسدهم عنى بإذلالهم.

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غيرَ صَوْتِي فإننى

أنا الطّائِرُ المحكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى(١)

وقوله أيضا :

تَرَفَّقْ أيُّهَا المولَى عليهم ∴ فإنَّ الرِّفْقَ بالجانِي عتابُ(٢)

يقول صاحب المطول : والدعاء نحو، رب اغفر لى، فإنه طلب الفعل على سبيل التضرع(٣).

٢- والالتماس : إذا كان المقام التلطف، ويكون من شخص لمساوية فى الرتبة، كقول أمرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل(٤)

---

(١) يريد : إذا أنشدك الشاعر شعراً فاجعل جائزته لى لأن الذى أنشدته هو شعرى، أتاك به المادحون يرددونه عليك، فإنهم يسلخون معانى أشعارى، ويقتبسون ألفاظى ويمدحونك.

(٢) يريد أنهم إن كانوا جنوا وأخطأوا فترفق بهم، فإن من رفق بمن جنى عليه كان رفقه عتابا، والرفق بالجانى والإحسان إليه يجعله عبداً لك، - وكما ترى - فالمتنبى يخاطب مليكه خطاب الضارع المتوسل، لاخطاب الآمر المتحكم.

(٣) المطول ٢٤١ .

(٤) قفا : أمر للاثنين بالوقوف - الذكرى : التذكر - سقط اللوى والدخول وحومل: مواضع.

فالشاعر يخاطب صاحبيه، طالبا منهما الوقوف في هذا المكان ليذ رفوا الدموع قضاء لحق ذكرى حبيب فارقه، ومنزل خرج منه.

وقول الصمة بن عبد الله:

قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِالحِمَى ∴ وقل لِنَجْدٍ عِندنَا أَنْ يُوَدَّعَا (١)

يطلب الشاعر من خليليه أن يقفا ليودعا نجدا ومن سكن حماه، وإن كان التوديع قليلا على نجد.

وقول الشاعر:

عَرِّجْ عَلَى الزهرِ يَانَدِيمِي ∴ وَمِلْ إِلَى ظِلِّهِ الظَّلِيلِ

فَالرَّوْضُ يَلْقَاكَ بابتسامِ ∴ والريحُ تَلْقَاكَ بالقَبُولِ(٢)

يقول صاحب المطول: والالتماس، كقولك لمن يساويك رتبه، افعل، بدون الاستعلاء وبدون التضرع أيضا(٣).

٣- الإباحة: إذا كان المراد دفع الحرج، وإظهار أن الشئ حلال مباح كقوله تعالى: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»(٤).

---

(١) الحمى: موضع فيه ماء وكلأ يمنع الناس منه، والنجد كل ما ارتفع من تهامه إلى أرض العراق.

(٢) عرج: قف نديمي: صديقي ورفيقي وصاحبي، الروض مخضرة بأنواع النبات جمع روضة.

(٣) المطول ٢٤١.

(٤) البقرة ١٨٧.

فقد أباح الله للناس الأكل والشرب في ليالي الصوم إلى طلوع الفجر وقوله سبحانه : «وإذا حللتم فاصطادوا»[١] .

فقد أباح الله للحجاج الصيد بعد التحلل من الإحرام

وقول تعالى : «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض»[٢] .

وقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين .

يقول ابن يعقوب : بمعنى أنه يباح لك أن تجالس أحدهما أو كليهما وأن لا تجالس أحدهما[٣] .

٤- **والتخيير** : إذا كان المخاطب مخيراً بين شيئين أو أكثر ، فله أن يختار أحد الشيئين أو الأشياء ، وعليه أن يترك ما عداه .

كقولك : تزوج هندا أو أختها ، لأنه لا يجوز الجمع بينهما .

وقول بشار بن برد :

فَعِشْ وَاحِداً أَوْصِلْ أَخَاكَ فإنهُ ∴ مقارفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُه[٤]

فالمخاطب مخير ، بين أن يعيش وحيداً ، أو يصل أخاه .

---

(١) المائدة ٢ . (٢) الجمعة ١٠ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣١٣ .

(٤) قرف الذنب واقترفه وقارفة : فعله .

وقول الشاعر :

فَمَنْ شاءَ فليبخلْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَجُدْ

كَفَانِى نَداكُم عَنْ جَمِيعِ المطالبِ

فقد خيره بين أمرين هما البخل والجود ولا يجمع بينهما .

وقول المتنبى :

عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كريمٌ

بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ(١)

فقد خير الشاعر المخاطب بين حياة العز ، والموت دفاعا عن الوطن.

وقول جمال الدين بن نباته :

ياجَامِعَ المالِ إنَّ العمرَ منصرمٌ فَابْخَلْ بِمالِكَ أَنَّى شِئْتَ أَوْ فَجُدِ

يريد : أنت مخير بين أن تبخل بمالك أو تجود به .

والفرق بين التخيير والإباحة : أن التخيير لا يجوز الجمع بين الشيئين والإباحة تجوزه (٢).

---

(١) خفق البنود : اضطرابها ، والبنود : جمع بند وهو العلم الكبير .
(٢) أنظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣١٣ .

٥- **والتسوية** : إذا توهم المخاطب رجحان أحد الأمرين على الآخر .

كقوله تعالى : « قل أنفقوا طوعا أو كرما لن يتقبل منكم»(١) .

فقد دفع بالتسوية بين الإنفاق كرها ، والإنفاق طوعا ، فى عدم القبول ما كان يتوهمه الكفار ، من قبول النفقة منهم إذا كانت عن طواعيه.

وقوله تعالى : «وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور»(٢) .

فقد دفع بالتسوية ، بين الإسرار بالقول والجهر به ، فى تعلق علم الله بهما ، ما عسى أن يتطرق إليه الوهم من أن الله لا يعلم السر من القول .

وقوله تعالى : «اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم»(٣) .

فقد يتوهم المخاطب أن الصبر نافع ، فيدفع هذا التوهم بالتسوية بين الصبر والجزع .

والفرق بين الإباحة والتسوية : أن فى الإباحة ، كأن المخاطب

---

(١) التوبة ٥٣ . (٢) الملك ١٣ .

(٣) الطور ١٦ .

توهم أن الفعل محظور عليه ، فأذن له في الفعل ، مع عدم الحرج في الترك ، وفي التسوية كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك راجح بالنسبة إليه ، فدفع ذلك وسوى بينهما(١) .

٦- **التعجيز** : إذا كان الأمر بشئ مستحيل أو بعيد المنال لا يقدر المخاطب على فعله .

كقوله تعالى : «فأتوا بسورة من مثله»(٢) .

وذلك لأن الإتيان بسورة من مثله ، فوق مقدورهم وطاقاتهم .

وقوله تعالى : «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»(٣) .

فالإتيان ببرهان على صدقهم في دعواهم الكاذبة ، ليس في مقدورهم ولذلك فإن الطلب هنا يراد به التعجيز .

وقول المهلهل بن ربيعه :

يَالَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً ∴ يَالَبَكْرٍ أينَ أيــنَ الفِرَارُ(٤)

فالأمر هنا مراد به التعجيز ، لأن المقصود إعادة الحياة لكليب ، وذلك خارج عن طاقاتهم .

---

(١) المطول ٢٤١ .

(٢) البقرة ٢٣ .

(٣) البقرة ١١١ .

(٤) بكر اسم قبيلة - كليب : لقب وائل بن ربيعه .

وقول الشاعر :

أَرُونِي بَخِيلاً طَالَ عُمْرًا بِبُخْلِهِ

وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذْلِ

٧- **الإهانة : عند إرادة التهوين من قيمة المخاطب، وقلة المبالاة بشأنه.**

كقوله تعالى : «فذقوا العذاب بما كنتم تكفرون»(١).

يقول الشيخ الدسوقى: لأنه ليس المراد الأمر بذوقه العذاب لأن الكافر حال الخطاب بالصيغة فى غصص المذوق ومحنه(٢).

قول جرير يهجو الفرزدق :

خُذُوا كُحْلاً وَمَجْمَرَةً وعِطـرًا ∴ فَلَسْتُمْ يَافَـــرَزْدَقُ بِالرِّجَالِ

وشـــموا رِيحَ عَيْبَتِكُمْ فلستم ∴ بِأَصحابِ العناقِ ولا النِّزالِ(٣)

فجرير يسخر من الفرزدق ويحتقره، فهو يصوره بصورة المرأة التى تتعاطى الكحل والبخور والتجمل بالعطر، ومن البين أن وصف الرجل بصفات المرأة تحقير له وإهانة لشأنه.

---

(١) الأنعام ٣٠ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣١٧ .

(٣) العيبة بفتح العين، وعاء من أدم يكون فيه المتاع.

وقول جرير أيضا :

فغض الطرف إنك من نمير ∴ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

يقول أبو عبيده : كان الرجل من بني نمير إذا قيل له : ممن الرجل؟ قال : نميرى كما ترى، فما هو إلا أن قال جرير «البيت».

حتى صار الرجل من بني نمير إذا قيل له : ممن الرجل؟ قال من بني عامر(١).

وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به، ما لقيت نمير من بيت جرير(٢).

وقول ابن عيينة :

فَدَعِ الوعيدَ فما وَعيدُكَ ضَائِرِى

أَطنينُ أجنحةِ الذبابِ يَضِيرُ

يقول الإمام عبد القاهر : جعله كأنه قد ظن ، أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير، حتى ظن أن وعيده يضير(٣).

٨- التهديد : وذلك إذا استعملت صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به.

---

(١) نمير : هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة، وهم إخوة كعب وكلاب .

(٢) البيان والتبين جـ ٤ / ٣٥ .

(٣) دلائل الإعجاز ٨٩ .

كقوله تعالى : «اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير»(١) .

فالأمر فى الاية الكريمة أريد به التهديد بقرينه السياق ، إنه بما تعملون بصير» .

يقول القرطبى : أمر تهديد ، أى بعد ما علمتم أنهما لا يستويان ، فلابد لكم من الجزاء (٢) .

وطبيعة الأمر فى قوله تعالى : «اعملوا ما شئتم ، هى التى انبثق منها قدر هائل من التهديد ، وكأنه يأمرهم بأن يفعلوا ما يشاؤون من أنواع الشرور وألوان المعاصى ليوقع بهم أفانين العذاب وضروب الإيذاء(٣) .

وقوله تعالى : «فاعبدوا ما شئتم من دونه» (٤) .

وقوله تعالى : «قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار»(٥) .

فالأمر فى هذه الآيات الكريمة أريد به التهديد والوعيد .

ومن التهديد – أيضا– قوله ﷺ إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

وقول الشاعر :

إذا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ الليالِى ∴ ولم تَسْتَحِ فاصنعْ مَا تشاءُ

---

(١) فصلت ٤٠ .

(٢) تفسير القرطبى ٥٨١٠ .

(٣) دلالات التراكيب ٢٦٥ .

(٤) الزمر ١٥ .

(٥) إبراهيم ٣٠ .

٩- **التمنى** : عند طلب شئ محبوب لا قدرة للطالب عليه، ويغلب أن يكون لغير العاقل، كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيلُ الطويلُ ألا انجلِ

بِصُبْحٍ وما الإصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ(١)

فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل، لأن الليل ليس مما يخاطب ويؤمر فحصول الانجلاء- كما طلب متعذر، وإنما غرض المتكلم تمنى ذلك تخلصاً مما يعانيه.

وقول أبى العلاء : «فياموت زر : إن الحياة ذميمة(٢)» فأبو العلاء يفضل الموت على الحياة الهزيلة، ويتمنى أن يزوره.

وقول شوقى يخاطب أبا الهول :

فَحَدِّثْ فَقَدْ يُهْتَدَى بالحديثِ ∴ وَخَبِّرْ فَقَدْ يُؤْتَسَى بالخبر

فشوقى يتمنى أن يحظى من زبى الهول بحديث أو خبر، عما مر به من قرون ليأخذ منه العظة والعبرة .

---

(١) انجل : بمعنى انكشف،، والأمثل : الأفضل يريد : ليتك أيها الليل تنكشف، وتنحى ظلامك عن عينى لأرى بياض الصبح، ثم عاد فقال : ما الإصباح أفضل منك عندى فإنى أقاسى من همرمى نهاراً ما أقاسيه ليلا.

(٢) بقية البيت ويانفس جدى إن دهرك هازل .

وقول توبة :

حَمامةَ بَطْنِ الواديَيْنِ ترنَّمِى
سقاكِ من الغرِّ الْغوَادِى مطيرُها

أَبِينِى لنا لازَالَ رِيشُكِ نَاعِمًا
ولا زلتِ فى خضراءَ غضٍّ نَضِيرُها

فالشاعر يأنس إلى هذه الحمامة، لأن له بها إلفا، ولأنها تحل فى مكان له فيه ذكريات، فترنمها يثير فى نفسه لواعج الهوى، ويحيى فيها أطياف ماضيه السعيد، ومن ثم كان قصد الشاعر من أمر الحمامة التمنى(١) .

وقول عنترة :

يادارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تكلَّمِى
وَعِمِى صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِى(٢)

يقول عنترة : أخبرينى عن أهلك، أنعم الله حالك ، وسلمك من البلى فهو يتمنى أن تقدر على الكلام.

ومن التمنى - أيضا .

---

(١) توضيح المعانى ١٢٨ .

(٢) الجواء : واد فى ديار بنى عبس- عمى صباحا : أنعمى والأمر فى الشطر الثانى : يراد منه الدعاء .

قول الخنساء :

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا ∴ أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

وقول الشاعر :

يَالَيلُ طُلْ يا نَوْمُ زُلْ ∴ يَاصُبْحُ قِفْ لا تَطْلُعِ

فقد طلب الشاعر الطول من الليل، والزوال من النوم، والوقوف من الصبح وهذه الأشياء، لا يتجه اليها قصد الشاعر، لأنه ليس فى الاستطاعة تحقيقها، فالمراد به التمنى .

١٠- **النصح والإرشاد** : إذا كان الأمر فيه تعليم أو نصح، ولم يكن على سبيل الإلزام، كقوله ﷺ : إذا أردت أن تسبق الصديقين فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك.

وقول الأرجانى :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ

يَوْماً وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَشُورَاتِ

وقول أبى العتاهية :

واخْفِضْ جَنَاحَكَ إِنْ مُنِحْتَ إِمَارَةً

وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ رَدَى اللذاتِ(١)

وقول حكيم لابنه : «يابنى استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر».

---

(١) المراد بخفض الجناح : التواضع ، والردى : الهلاك .

وقول حكيم آخر : «يابنى زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك فإن القلب يحيا بنور العلم، كما تحيا الأرض الميته بمطر السماء.

وقول الشاعر :

وَكُنْ عَلَى حَذَرِ النَّاسِ تَسْتُرُهُ

وَلاَ يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرٌ مُبْتَسِمِ (١)

وقولك - لمن تحثه على صفه الكرم- مت وأنت كريم، لا تريد بذلك أمره بالموت، وإنما تريد حثه على الإتصاف بصفة الكرم، حتى لا يموت إلا وهو متصف بها، وفى أسلوب الأمر إشارة إلى أن موتك وأنت متصف بهذه الصفة، موت يجب أن تطلبه، وأن تحرص عليه. لأنه موت الكرامة والقبول.

وقولك : مت وأنت تقى، لا تريد أمره بالموت، وإنما تريد حثه على الانصاف بصفه التقوى، وكأنك تقول له : إن موتك حالة كونك متصفاً بهذه الصفة، موت يحرص العاقل على تحصيله، فهو موت السعداء.

وقولك : صل وأنت خاشع واقرأ وأنت يقظ، وغير ذلك، مما يجرى على هذه الطريقة فى أسلوب الأمر.

هذا، وقد يرد الأمر ولا يراد به مأمور معين، وإنما يراد به كل

---

(١) تستره : تخفيه.

من يتأتى منه الفعل المأمور به، وذلك مرشد إلى العناية بالفعل ، وإلى أنه جدير بأن يخاطب به كل أحد.

من ذلك قول المصطفى عليه الصلاة والسلام «بشر المشائين إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة.

لا يريد عليه السلام بذلك مخاطباً معينا، وإنما يريد عموم الأمر وذيوعه حتى كأن كل فرد من أفراد هذه الأمة، مبشر لهؤلاء المشائين بالنور التام وفيه تكريم لهؤلاء، وتنويه برضا الله تعالى عليهم، وقبوله لهم، وإشادة وتعريف بهذا النعيم الذى أعد لهم عند الله(١).

وهناك أغراض أخرى، يدل عليها المقام وسياق الكلام.

كالانعام كقوله تعالى : «فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا»(٢).

والاعتبار : كقوله تعالى : «انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه»(٣).

والدوام : كقوله تعالى : «اهدنا الصراط المستقيم»(٤).

والتعجب : كقوله تعالى : «انظر كيف ضربوا لك الأمثال»(٥).

والإذن : كقولك - لمن يطرق الباب - ادخل.

---

(١) دلالات التراكيب ٢٧٣ .

(٢) النحل ١١٤ - .

(٣) الأنعام ٩٩ .

(٤) الفاتحة ٦ .

(٥) الإسراء ٤٨ .

النهـــى

النهى : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء(١).

كقوله تعالى :« ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها»(٢).

وقوله تعالى : «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق»(٣).

وقوله تعالى : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم»(٤).

وقوله تعالى : «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره»(٥).

وقوله تعالى : «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة وساء سبيلا»(٦).

فالنهى فى الآيات الكريمة ، طلب به الكف والابتعاد عن شئ معين على جهة الإلزام والاستعلاء، ومثل هذا النهى يسمى نهياً حقيقياً، هذا، وللنهى صيغة واحدة، وهى المضارع المقرون بـ«لا» الناهية.

---

(١) المطول ٢٤١ .

(٢) الإعراف ٥٦ .

(٣) الأنعام ١٢١ .

(٤) الأنعام ١٠٧ .

(٥) التوبة ٨٤ .

(٦) النساء ٢٢ .

وقد تخرج صيغة النهى عن معناها الأصلى وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، لتؤدى أغراضاً بلاغية تفهم من سياق الكلام، أو من قرائن الأحوال منها :

١- الدعاء : إذا كان النهى صادراً من أدنى إلى أعلى،، على جهة التضرع والخضوع كقوله تعالى :« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»(١).

وقوله تعالى : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»(٢).

فالنهى فى الآيتين الكريمتين، لا يراد به النهى الحقيقى، وذلك لأنه موجه من العبد إلى ربه على سبيل الدعاء والرجاء.

ومنه قول كعب بن زهير فى خطاب النبى ﷺ :

لَا تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الوشَاةِ فَلَمْ أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِىَّ الأَقَاوِيلُ

فلم يرد الشاعر بقوله : «لا تأخذنى » النهى، لأنه فى مقام الاعتذار، وقول النابغة الذبيانى :

فَلاَ تَتْرُكَنِّى بِالوعِيدِ كَأَنَّنِى إِلَى الناسِ مُطْلىً بِهِ القارُ أَجْرَبُ(٣)

---

(١) البقرة ٢٨٦ . (٢) آل عمران ٨ .

(٣) القار : القطران - إلى الناس : فى الناس .

فالشاعر لا ينهى الملك عن تركه بدائرة الوعيد والتهديد ليبقى بين الناس طريداً شريداً منبوذاً، كأنه البعير الأجرب، وقد دهن بالقار الكريه المنظر والرائحة، ولكنه يدعوه ويتوسل اليه(١).

٢- الالتماس : وذلك عندما يكون النهى صادراً من شخص إلى آخر يساويه قدراً ومنزلة .

كقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى «قال ياابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى»(٢). فالموقف يدل على أن هارون لم يرد المعنى الحقيقى لقوله "لا تأخذ".

وقول أبى العلاء :

لَا تَطْوِيَا السِّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرِ

فقد التمس أبو العلا من صاحبيه ألا يكتما عنه خبر ما ينزل به، فإن كتمان ذلك فى نظره جريمة، لا عفو عنها.

وقول المتنبى :

فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ
شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

فقد التمس المتنبى من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما

---

(١) البلاغة فى ثوبها الجديد ١١٠ .

(٢) طه ٩٤ .

يقوله في شجاعته وحسن بلائه في الحروب، لأنه شجاع وأمثاله يتشوقون إلى الحرب متى ذكرت لهم.

٣- التمني : عند طلب شئ لاقدرة للمخاطب عليه.

كقول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

أَعَيْنَيَّ جُوداً وَلاَ تجْمُـــداً ∴ أَلاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

فالخنساء تتمنى ألا تبخل عيناها بالدموع والبكاء لموت أخيها صخر، ودللت على ذلك بقولها : «لا تجمدا».

وقول أبي نواس في مدح الخليفة الأمين :

يَا نَاقُ لا تَسْأَمِي أَوْ تبلغِي مَلِكًا

تقبيلُ راحَتِهِ والركنِ سِيَّـــانِ (١)

فإن أبا نواس يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر، وألا ينزل بها السأم حتى تبلغ ديار الأمين.

وقول الشاعر :

ياليلُ طُلْ يانَـــــومُ زلْ ∴ ياصبـــحُ قِـفْ لا تَطْلُـــعِ

فالشاعر يتمنى عدم طلوع الصبح، حتى يطول الليل الذى يقضيه ساهراً مع من يسعد به.

---

(١) الراحة : الكف ، الركن : يريد به ركن الحطيم بالكعبة.

٤- التحقير : إذا كان فى مقام الذم والإهانة، كقول الحطيئة فى هجاء الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
وَاقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

فقد دلل على تحقيره وإهانته، بنهيه عن الرحلة لطلب العلا، لأنه ضعيف الهمة، ليس أهلا للمكارم.

وقول المتنبى فى هجاء كافور الإخشيدى:

لَا تَشْتَرِ العبدَ إلاَّ والعصَا معَهُ
إنَّ العبيدَ لأنجاسٌ مَنَاكِيدُ(١)

يريد المتنبى تحقير كافور وإهانته، فوصفه بأنه عبد ذليل يباع ويشترى، وأن على من يشتريه أن يعد له العصا ليؤدبه بها.

وقول الشاعر :

لَا تطلُبِ المجدَ إن المجدَ سُلَّمُهُ
صعبٌ وَعِشْ مُسْتَرِيحًا نَاعِمَ البالِ

فالنهى فى البيت يراد به التحقير، لأنه موجه إلى كل من يتكاسل عن طلب المجد، وليست له همة ترقى إليه.

---

(١) المناكيد : جمع منكود، وهو قليل الخير.

٥- **التوبيخ** : إذا كان الهدف من النهى اللوم والعتاب.

كقول أبى الأسود الدؤلى :

لَاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتــى مِثْلَــهُ

عــارٌ عليك إذا فَعَلْــتَ عَظِيمُ

فالشاعر يوبخ من ينهى غيره عن الشر ويأتيه وكقول شوقى:

لَا يَقُولَنَّ امرؤٌ أَصْلِي فَمَـا ∴ أَصْلُهُ مِسْكٌ وأصلُ الناسِ طِيـنُ

وكقول الشاعر :

لَا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنــتَ آكلُــه

لن تبلغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

وقولك للفضولى: لا تتدخل فيما لا يعنيك(١).

٦- **التيئيس** : إذا كان المراد من النهى صرف المخاطب عما فات، أو قطع أمله فى شئ لا يقوى عليه.

كقوله تعالى فى شأن الكفار، «لا تعتذروا اليوم»(٢).

يريد لا أمل لكم فى قبول أعذاركم، فالأولى بكم أن تصرفوا النظر عما فاتكم وأن تقطعوا أملكم.

---

(١) الفضولى الذى يتعرض لما لا يعنيه.

(٢) التحريم ٧.

يقول القرطبى : فإن عذركم لا ينفع، وهذا النهى لتحقيق اليأس.

وكقول المتنبى فى الإشادة بكرم سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بعد رُؤْيَتِهِ ∴ إنَّ الكرامَ بِأَسْخَاهم يداً خُتِمُوا

يريد المتنبى : إذا رأيته فلا تطلب بعده كريماً، فهو خاتم الكرماء.

٧- التهديد : وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوف من دونه قدرا : كقولك لمن هو دونك : لا تقلع عن عنادك، أو للخادم لا تطع أمرى فالمقصود هو التخويف، من عدم الإقلاع عن العناد، وعدم إطاعة الأمر.

يقول ابن يعقوب : والتهديد ، أى التخويف والتوعد، كقولك لعبد لك، لا يمتثل أمرك، لا تمتثل أمرى، أى اترك أمرى، وإنما كان تهديدا للعلم الضرورى بأنك لا تأمره بترك امتثاله أمرك، لأن المطلوب من العبد الامتثال، لا عدمه، ودل على التوعد استحقاقه العقوبة بعدم الأمتثال(٢).

٨- النصح والإرشاد : وذلك إذا كان المقام مقام وعظ ونصيحة من إرشاد.

---

(١) تفسير القرطبى ٦٦٩٦ طبعة دار الشعب.

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٢٦ .

كقوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم»(١).

فالله سبحانه تعالى يرشدنا إلى الكف عن السؤال عن أشياء قد يسوؤنا العلم بها.

يقول القرطبى : خرج الدار قطنى عن أبى ثعلبه الخشنى قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحدد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(٢).

وقول بشار :

وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً

فَإِنَّ الخوافِى قوةٌ للقَوَادِمِ(٣)

فبشار بن برد يرشدنا إلى الأخذ بمبدأ الشورى وتبادل الرأى، وعلى الإنسان الحصيف أن يدعم رأيه برأى غيره، وإن كان ضعيفا، ودلل على ذلك بأن خوافى الطير مبعث قوة لقوادمه.

وقول المتنبى :

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمعُهُ ∴ واحْذَرْ شَبَابَكَ من عَدُوٍّ تُرْحَمِ

---

(١) المائدة ١٠١.

(٢) تفسير القرطبى ٢٣٣١ طبعة دار الشعب.

(٣) الخوافى ريش فى الطائر يختفى إذا ضم جناحيه، والقوادم : ريش فى مقدم جناحه.

فالمتنبى يرشدنا إلى الأخذ بالحذر من العدو، وعدم الانخداع لــــــــه.

وقول الخوارزمي :

لَا تَصْحَبِ الكسلانَ فى حَاجَاتِـه

كَمْ صـالحٍ بِفَسَادِ آخر يَفْسُدِ

عَدْوَى البليدِ إلى الجليدِ سـريعةٌ

والجمرُ يُوضعُ فى الرَّمادِ فَيَخْمَدِ

فالخوارزمي ينصح بمجانية صحبة الكسالى، خشية سريان داء الكسل ودلل على ذلك بالجمر، فإنه سرعان ما يلحقه الخمود إذا اختلط بالرماد.

وقول الطغرائى :

لَا تحقرنَّ الرأىَ وهو موافقٌ ∴ حُكْمَ الصوابِ إذَا أَتَى مِنْ نَاقِصِ

فالدُّرُّ وهو أَجَلُّ شيءٍ يُقْتَنَى ∴ مَــا حَطَّ قِيمَتَهُ هوانُ الْغَائِصِ

فالشاعر يرشدنا إلى أن قيمة الرأى الرشيد من ذاته، بغض النظر عن قائله، وإن هان أمره، ودلل على ذلك، بأن الدر فى البحر لا يغض من نفاسته هوان الغائص.

وكقول أبى العلاء :

وَلَا تَجلِسْ إلى أهل الدَّنَايَـا ∴ فَــإِنَّ خَلَائِـقَ السُّفهاءِ تُعْدِى

وقول الشريف الرضى :

لَا تَأْمَنَنَّ عَــدُوًّا لَانَ جَانِبُــهُ

خُشُونَةُ الصِّلِّ عُقْبَى ذَلِكَ اللينِ(١)

وقول الشاعر :

فَلَا تُلْزِمَنَّ الناسَ غيرَ طِبَاعِهِـمْ ∴ فَتَتْعَبَ من طُولِ العِتَابِ وَيَتْعَبُوا

وَلَا تَغْتَرِرْ مِنْهُمْ بِحُسْنِ بَشَاشَـةٍ

فَأَكْثَرُ إِيمَاضِ البوارِقِ خُلَّبُ(٢)

وقول خالد بن صفوان :

لَا تَطْلُبُوا الحاجاتِ فى غيرِ حِينِها

ولا تطلبُوهـــا مـن غيرِ أَهْلِهَــا

إلى غير ذلك من الأغراض التى تفهم من المقام، وقرائن الأحوال.

---

(١) الصل بالكسر : الحية التى لا تنفع فيها الرقية، وخطورتها لأنها لينة الملمس.

(٢) إيماض البرق : لمعانه ، والبوارق جمع بارقه وهى البرق، والخلب : الذى ليس بعده مطر.

الاستفهام

الاستفهام : طلب حصول صورة الشئ فى الذهن بأدوات مخصوصة.

والألفاظ الموضوعة للاستفهام هى :-

الهمزة ، وهل، وما، ومن، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان.

وهذه الالفاظ تنقسم بحسب ما يطلب منها إلى ثلاثة أقسام :-

١- ما يطلب به التصور تارة[١] ، والتصديق تارة أخرى: وهى الهمزة تقول فى التصور : أمحمد متفوق أم على، وأنت تعلم أن أحدهما متفوق ولكنك لا تعرفه على التعيين، فإذا عين فى الجواب أحدهما حصل التصور.

ويلاحظ أن الهمزة المطلوب بها التصور، يليها المسئول عنه بها سواءً كان :

مسنداً إليه : كقولك: أمحمد سافر أم على .

أم مسنداً : كقولك: أحافظت على دروسك أم أهملتها.

أم مفعولا : كقولك: أخالداً أكرمت أم محمودا .

أم حالا : كقولك: أراكبا حضرت أم ماشياً .

---

(١) التصور ادراك أحد طرفى الجملة .

أم ظرفاً : كقولك: أيوم السبت سافرت أم يوم الأحد .

وقد يحذف المعادل ، كقوله تعالى : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم»(١) .

والتقدير : أأنت فعلت هذا أم غيرك . والسؤال فى الآية الكريمة عن الفاعل .

وتأتى الهمزة فى التصديق - إدراك مطابقة النسبة الكلامية للواقع أو عدم مطابقتها له ثبوتا أو نفيا- كقولك : أنجح محمد ، ويجاب بنعم أو لا .

ومن ثم يتضح أن الاستفهام بالهمزة فى التصور، يكون عند التردد فى أحد الشيئين، والاستفهام بها فى التصديق، يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها أو نفيها. ويكون الجواب فى التصديق بنعم أو لا.

يقول الشيخ الدسوقى : إن الاستفهام عن التصديق ، يكون عن نسبة تردد الذهن فيها، بين ثبوتها ونفيها، والاستفهام عن التصور، يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين(٢) .

هـــذا. والمسئول عنه بالهمزة ما يليها- كما رأيت- تقول : أضربت زيدا، إذا كان الشك فى الفعل نفسه، وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده، وتقول : أأنت ضربت زيداً، إذا كان الشك فى الفاعل

(١) الأنبياء ٦٢ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٤٠ .

من هــو ؟ وتقول : أزيداً ضربت ، إذا كان الشك فى المفعول من هو[١] .

يقول الإمام عبد القاهر : إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل ، كان الشك فى الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده ، وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم . كان الشك فى الفاعل من هو ، وكان التردد فيه .

ومثال ذلك أنك تقول : أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها ؟ أقلــت الشعر الذى كان فــى نفسك أن تقولــه ؟ أفرغــت من الكتاب الذى كنت تكتبه ؟ تبدأ فــى هــذا ونحوه بالفعل ، لأن الســؤال عن الفعل نفسه والشك فيــه ، لأنك فــى جميــع ذلك متــردد فــى وجود الفعل وانتفائه ، يجــوز أن يكون قد كان ، وأن يكون لم يكن .

وتقول : أأنت بنيت هذا الدار : أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت كتبت هــذا الكتاب ؟ فتبدأ فى ذلك كله بالاسم ، ذلك لأنك لم تشك فى الفعل أنه كان ؟ كيف وقد أشرت إلــى الــدار مبنية ، والشعر مقولا والكتاب مكتوبا ؟ وإنما شككت فى الفاعل من هو فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ، ولا يشك فيه شاك ، ولا يخفى فساد أحدهما فى موضع الآخر[٢] .

---

(١) الإيضاح جـ٢ / ٥٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ٨٢ .

٢- ما يطلب به التصديق فقط، وهو «هل» كقولك : هل فهمت الدرس؟ وقولك : هل الدرس مفهوم؟.

هذا. ولما كانت «هل» مختصة بطلب التصديق، فإنه لا يجوز ذكر المعادل معها، فلا تقول : هل محمد قام أم أحمد، لأن وقوع المفرد، وهو «أحمد» بعد أم الواقعة فى حيز الاستفهام، دليل على أن «أم» متصله و «أم» المتصلة لطلب تعيين أحد الأمرين، بعد العلم بثبوت أصل الحكم، والعلم بثبوته تصديق، وهذا لا يناسب «هل» لأنها لطلب التصديق بالحكم، فالحكم فيها غير معلوم، وإلا لم يستفهم عنه فيؤدى الجمع بينهما فى تركيب واحد إلى التناقض، لأن هل تفيد أن السائل جاهل بالحكم، لأنها لطلبه وأم المتصلة تفيد أن السائل عالم به.

يقول صاحب المطول : لاختصاص «هل» لطلب التصديق، امتنع «هل» زيد قام أم عمرو، لأن وقوع المفرد بعد «أم»» دليل على كونها متصلة، وأم المتصلة لطلب تعيين أحد الأمرين، مع العلم بثبوت أصل الحكم، فهى لا تكون إلا لطلب التصور، بعد حصول التصديق، بنفس الحكم، و«هل» ليس إلا لطلب التصديق فبينهما تدافع فيمتنع(١).

ومن ثم قبح استعمال «هل» فى تركيب هو مظنة العلم بحصول النسبة وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل، كقولك : «هل محمدا أكرمت».

---

(١) المطول ٢٢٨ .

وذلك لأن تقديم المعمول على العامل، يقتضى غالبا حصول العلم بأصل الحكم، «وهل» لطلب التصديق بأصل الحكم، فيؤدى ذلك إلى طلب حصول الحاصل، لأن التقديم إذا كان للقصر، يكون المعنى إثبات الكرم لمحمد ونفيه عن غيره فتكون النسبة معلومة وهى الكرم.

يقول الشيخ الدسوقى : ولأجل اختصاصها بالتصديق، قبح استعمالها فى تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة، وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل، سواء كان ذلك المعمول مفعولا، نحو «هل زيدا ضربت، أو غيره» نحو «هل فى الدار جلست، و «هل راكبا جئت، و«هل عندك قام عمرو»[١].

هذا. و «هل» مختصة بالتصديق، كما أنها تخلص المضارع للاستقبال والتصديق يقتضى قوة تعلقها بالفعل وارتباطها به، لأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء، وهما يتوجهان إلى المعانى والتى هى مدلولات الأفعال، كما أن تخليصها المضارع للاستقبال، يقتضى شدة ارتباطها بالفعل، لأنها تؤثر فيه، وهذا التأثير دليل على تعلقها بجنس الفعل.

ومن ثم علم أن ««هل» إذا جاءت فى الكلام معدولا بها عن الجملة الفعلية إلى الاسمية، كان ذلك لنكتة بلاغية هى «أن يجعل ما سيوجد، كأنه حاصل موجود اهتماما بشأنه».

---

(١) أنظر حاشية الدسوقى ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٥٦ .

ومن هنا قوله تعالى : «فهل أنتم شاكرون»(١) أدل على طلب حصول الشكر ، من قولنا «فهل تشكرون» ، ومن قولنا «فهل أنتم تشكرون» لأن إبراز ما سيحصل(٢) فى معرض الحاصل الثابت(٣) ، أقوى دلالة على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله ، وهو إبرازه فى صورة المتجدد ، كما فى الجملة الفعلية ، وكذلك الاسمية التى خبرها فعل .

وكذلك أدل على طلب الشكر من قولنا «أفأنتم شاكرون» وإن كانت صيغته الثبوت ، لأن «هل» أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بالمعدول إليه ، من تركه مع الهمزة .

يقول ابن يعقوب : إن الطالب إذا كثرت رغبته فى شئ ، عبر عنه بما يقتضى ثبوته ، لإظهار أنه من شأنه أن يتخيل حاصلا من كثرة الرغبة والكلام ، ولو كان مما لا يجرى له تخيل ولا وهم ، لكنه يجرى على ما تقتضيه البلاغة العربية ، ليفيد لازم ذلك ، وهو كمال العناية ، فالعدول عن الأصل هنا لكمال العناية ، بمفاد المعدول إليه وهو الثبوت والحصول ، يدل على تأكيد الطلب ، بخلاف ما لو أدخل «هل» على الفعل تحقيقا ، كما فى «هل تشكرون» ، أو تقديرا ، كما فى «هل أنتم تشكرون» ، فليس فيه من التأكيد ما فى «فهل أنتم شاكرون» ، لجريان الأولين على الأصل ، وللعدول فيه عن الأصل الدال على كمال الاعتناء بمفاد المعدول إليه(٤) .

---

(١) الأنبياء ٨٠ .
(٢) الذى هو مفاد الجملة الفعلية .
(٣) الذى هو مفاد الجملة الاسمية .
(٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٧٠ .

هـذا. ولأن «هل» أدعى للفعل من الهمزة، لا يحسن «هل زيد منطلق» إلا من البليغ، فهو الذى يقصد به الدلالة على الثبات، وإبراز ما سيتجدد فى معرض الوجود، بخلاف غير البليغ، فإنه لا يفرق بينه وبين «هل ينطلق زيد»، فكان الأولى به أن يدخله على الفعل، كما فى أصله(١).

ووجه قولهم إن هذا لا يحسن إلا من البليغ، وهو أن البليغ، أعرف بطبائع الكلمات، وأقدر على تسخيرها وتوظيفها فى الإبانة، وأن يفرغ فيها من دقيق الفكر وخفى الحس، مالا يستطيع غيره(٢).

٣- وما يطلب به التصور فقط، **وهو بقية الألفاظ الآتية :**

«ما»

ويستفهم بها عن غير العاقل ويطلب بها :

(أ) بيان حقيقة المسمى : كقولك : ما الإنسان؟ فيجاب بأنه حيوان ناطق.

(ب) إيضاح الاسم : كقولك : ما العجد ؟ فيجاب بأنه ذهب.

(جـ) بيان الصفة : كقولك : ما خالد؟ بمعنى أى وصف يقال فيه، فيجاب : كريم مثلا.

---

(١) المطول ٢٣٤ .

(٢) دلالات التراكيب ٢٢٦ .

«من»

ويطلب بها تعيين العاقل، سواء أكان التعيين باسمه الخاص به، كقولك من أول خليفة للمسلمين؟ فيجاب: أبو بكر الصديق.

أو بوصفه المعين له، كقولك: من فى المنزل؟ فيجاب: الرجل الكريم الذى قابلك أمس.

«أى»

ويطلب بها تعيين أحد المشتركين فى أمر، كقوله تعالى حكاية عن المشركين «أى الفريقين خير مقاما»(١) فالمؤمنون والمشركون اشتركا فى وصف الفريقية، وأحد الفريقين محكوم عليه بالخيرية، ولكنه لم يتميز عند السائل بعينه، فكأنهم قالوا: أنحن؟ أم أصحاب محمد؟

وكقولك: أى الرجال عندك؟ فإن الرجال اشتركوا فى وصف الرجولة، وأحد الرجال محكوم عليه بالظرفية، ولكن لم يتميز بعينه عند السائل.

وأى صالحة للزمان والمكان والحال والعدد وللعاقل وغير العاقل، وإن شئت فقل: على حسب ما تضاف اليه.

«كم»

ويطلب بها تعيين العدد المبهم. كقوله تعالى: «كم لبثتم فى الأرض عدد سنين»(٢).

---

(١) مريم ٧٣.

(٢) المؤمنون ١١٢.

وكقولك : كم طالبا فى الكلية ؟ وكم علما تدرسون ؟

«كيف»

ويطلب بها تعيين الحال ، كقوله تعالى : «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً»(١) .

وقول الشاعر :

قَالَ لِى كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ
سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

«أين»

ويسأل بها عن المكان : كقوله تعالى : فإذا برق البصر ، وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر»(٢) .

وكقولك : أين محمد ؟ فيجاب : فى المنزل أو فى المسجد .

« أنى»

وتستعمل تارة بمعنى كيف ، كقوله تعالى :« أنى يحيى هذه الله بعد موتها»(٣) أى كيف يحيى هذه الله بعد موتها .

وقوله تعالى : «أنى يكون لى ولد»(٤) أى كيف يكون لى ولد .

وقوله تعالى : «فأتوا حرثكم أنى شئتم» أى كيف شئتم كما

---

(١) النساء ٤١ .
(٢) القيامة ٧-١٠ .
(٣) البقرة ٢٥٩ .
(٤) آل عمران ٤٧ .

تستعمل أيضا بمعنى «من أين» كقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام «أنى لك هذا»(١) ، والمعنى : من أين لك هذا الرزق؟ بدليل قولها : هو من عند الله .

«متى»

ويسأل بها عن الزمان سواء أكان ماضيا ، كقولك : متى أنشئت كلية البنات الإسلامية؟ أو مستقبلا كقولك : متى الامتحان.

وقوله تعالى : «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين»(٢) .

«أيان»

ويسأل بها عن الزمان المستقبل ، كقوله تعالى : «يسألون أيان يوم الدين»(٣) وقوله تعالى : «يسألونك عن الساعة أيان مرساها» (٤).

هذا. وألفاظ الاستفهام ، قد تخرج عن معناها الأصلي وهو طلب العلم بمجهول ، إلى الاستفهام به عن الشئ. مع العلم به لأغراض أخرى ، تفهم بالقرائن ، وسياق الكلام ، ومن هذه الأغراض.

١ - النفي : وذلك عندما تجئ أداة الاستفهام للنفي ، لا لطلب العلم بشئ كان مجهولا ، كقوله تعالى : «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» (٥).

---

(١) آل عمران ٣٧ .
(٢) يس ٤٨ .
(٣) الذاريات ١٢ .
(٤) النازعات ٤٣ .
(٥) الرحمن ٦٠ .

وقوله تعالى : «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور»(١).

وقوله تعالى : «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون» (٢).

وقول الشاعر :

هل الدهرُ إلا ساعةٌ ثم تَنْقَضِي
بِمَا كَانَ فيها مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ خَفْضِ(٣)

وقول البحترى :

هل الدهرُ إلا غمرةٌ وانْجِلَاؤُهَا
وَشِيكًا وإلا ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا

وقول أبى تمام :

هل اجتمعتْ أحياءُ عَدْنَانَ كلُّهَا
بِمُلْتَحَمٍ إلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا

وقول النابغة الذبيانى :

وَعَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتَهُ
وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ

أى لا عار علي في ذلك.

(١) سبأ ١٧. (٢) الأحقاف ٣٥.

(٣) البلاء : الهم والغم، والخفض : النعيم، ولين العيش ورغده.

وقول الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مرتحلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

على معنى لن تطيق .

وقول الشاعر :

هى الآمالُ نَبْنِيهَا قُصُـــوراً ... على عُمُدِ الْكَلَامِ فَهَـلْ تُقَامُ

المعنى : فلا تقام .

٢- التعجب : وذلك إذا كان المتكلم يتعجب من مضمون الكلام .

كقوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : «مالى لا أرى الهدهد»(١) .

يقول ابن يعقوب : فإن الغرض من هذا التركيب التعجب، لأن الهدهد كان لا يغيب عن سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم، إلا بإذنه فلما لم يبصره، تعجب من حال نفسه، وعدم رؤيته، والمتعجب منه فى الحقيقة غيبته من غير إذن(٢) .

وقوله تعالى : قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشئ عجيب»(٣) .

---

(١) النمل ٢٠ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٩٢ .

(٣) هود ٧٢ .

فامرأة إبراهيم عليه السلام، تتعجب من مخالفتها للعادة البشرية، وتبدى دهشتها حيث ستلد مع عدم استعدادها وزوجها للإنجاب، ولذا عقبت تعجبها هذا بما يؤكده فقالت : «إن هذا لشئ عجيب».

وقوله تعالى : وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق»(١).

فهم يعجبون من رسول يصنع كما يصنع الناس، وكأنهم ينتظرون أن يكون الرسول ملكاً.

وقول المتنبى :

نَحْنُ بَنُو الموتَى فَمَا بَالُنَا ∴ نَعَافُ مَا لابُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

فالمتنبى يتعجب كيف يكره الناس الموت وهو - لا محالة- ملاقيهم.

وقول أبى تمام :

مَا لِلْخُطُوبِ طَغَتْ عَلَىَّ كَأنَّهَا ∴ جَهِلَتْ بِأَن نَدَاكَ بِالمِرْصَادِ

فالشاعر يتعجب من أن أحداث الدهر ، تعدو عليه، وكأنها لا تدرى. أن أيادى الممدوح واقفة لها بالمرصاد، تطاردها أينما حلت.

---

(١) الفرقان ٧ .

وقول شوقي :

أَمَنْ أَكَلَ اليتيـــمَ لهُ عِقَـابٌ ∴ وَمَنْ أَكَلَ الفقيرَ فلاَ عِقَاباَ

فشوقي يتعجب من أن العقاب واقع على من يأكل مال اليتيم، ولكن لا وجود له بالنسبة لمن يأكل مال الفقير.

وقول المتنبي :

أَبِنْتَ الدهرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ

فَكَيْفَ وَصَلْتِ أنتِ من الزِّحَامِ(١)

يقول للحمى : عندى كل شديدة، فكيف وصلت إلى، وقد تزاحمت الشدائد على ، ألم يمنعك زحامها من الوصول إلى(٢) .

٣- **التحقير** : عند إرادة تصغير المخاطب وإهانته .

كقولك عمن تعرفه من هذا؟ أو من أنت؟

فليس الاستفهام محمولا على حقيقته، لأنه يستدعى الجهل بالمسئول عنه والمتكلم لا يجهله ومن ثم حمل على التحقير.

يقول الشيخ الدسوقي : إنك إذا كنت عارفاً بالمسئول عنه، وقلت في مقام الاحتقار من هذا؟ فكأنك تفرضه شيئاً آخر غير المشاهد المعلوم وتسأل عنه، ولم ترض بحاله فيتولد التحقير وصرت كأنك قلت : هذا شخص مستخف به حقير.

---

(١) المراد ببنت الدهر : الحمى.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري جـ٤ / ١٤٧ .

واعلم أن التحقير، عد الشئ حقيراً، والاستهزاء عدم المبالاة به، وإن كان كبيراً عظيماً فى نفسه، وربما اتحد محلهما وإن اختلفا مفهوما، لما بينهما من الارتباط فى الجملة لصحة نشأة أحدهما من الآخر(١).

وقول ابن أبى عيينه المهلبى :

فَدعِ الوعيدَ فَمَاوَعِيدُكَ ضَائِرِى

أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

يقول الأمام عبد القاهر : جعله كأنه ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير(٢).

وقول المتنبى :

مِنْ آيَةِ الطُّرُقِ يأْتِى مِثْلَكَ الكرمُ

أَيْنَ المحاجِمُ يَا كَافُورُ والجَلَمُ(٣)

فالمتنبى يحقر كافورا، ويزدرى به ويحط من شأنه.

وقول أبى العلاء المعرى :

أَتظُنُّ أنَكَ لِلْمَعَالِى كَاسِبٌ ∴ وَخَبِىُّ أَمْرِكَ شِرَّةٌ وَشَنارُ(٤)

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ٨٩ .

(٣) المحاجم جمع محجمة وهى القارورة التى يجمع فيها دم الحجامة والجلم : أحد شقى المشرط.

(٤) الشرة : بكسر الشين : الشر والحدة والحرص، والشنار بالفتح أقبح العيب.

فأبو العلاء يحط من شأن المخاطب.

وقول المتنبى :

مَنْ عَلَّمَ الأسودَ المخصِيَّ مَكْرُمَـةً أَقَوْمَه البِيـضُ أَمْ آبَاؤُه الـصِّيـدُ(١)

أَمْ أُذْنُه في يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَـــةً أم قـدره وهـو بـالـفـلـسـيـن مـردود

يريد المتنبى : من أين لهذا الأسود مكرمة، أمن قومه الكرام، أم من آبائه الملوك العظماء؟ أنه مملوك، وثمنه قليل، لو زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته، وسوء خلقه، وقبح منظره.

وقول الشاعر :

وَمَنْ أنتمُ؟ إنا نسينا من أنتمُ وريحُكم من أيِّ رِيحِ الأعاصرِ

٤- **التهكم** : ويكون فى مقام الاستهزاء بالمخاطب.

كقوله تعالى : حكاية عن قوم شعيب، أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا»(٢).

فالمراد التهكم والسخرية بشعيب عليه السلام.

يقول الشيخ الدسوقى : كأنهم لعنة الله عليهم يقولون لا قربة

---

(١) البيض : الكرام والصيد جمع أصيد، وهم الملوك ذرو الكبرياء.

(٢) هود ٨٧ .

لك توجب اختصاصك، ونهينا إلا هذه الصلاة التى تلازمها وليست هى ولا أنت بشئ(١).

٥- الإنكار : إذا كان الغرض إنكار حصول المسئول عنه.

ويشترط فى الإنكار وجوب إيلاء المنكر الهمزة .

فعلا كان : كقول المتنبى فى مدح كافور الإخشيدى :

أَتَلْتَمِسُ الأعداءُ بَعْدَ الذى رَأَتْ

قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ

فالمتنبى ينكر على الأعداء أن يلتمسوا دليلا على ظهور أمر الممدوح، وعلو قدره بعد ما وضح لهم الدليل القاطع على ذلك.

وكقول امرئ القيس :

أيقتلنى، والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ(٢)

فامرؤ القيس ينكر أن يعتدى عليه أحد، وهو محصن بسيفه ورمحه.

يقول الإمام عبد القاهر : فهذا تكذيب منه لإنسان يهدده بالقتل وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه(٣).

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٤ .

(٢) المشرفي : السيف المنسوب إلي مشارف الشام ، وهي قري تجيد صنعة السيوف، والمسنونة : السهام المحدودة، ووصفت بالزرقة لشدة صفائها.

(٣) دلائل الإعجاز ٨٦ .

أو فاعلا : كقوله تعالى : «أهم يقسمون رحمة ربك» (١) .

فليس المنكر القسمة نفسها ، وإنما المنكر كونهم هم القاسمين .

أو مفعولا : كقوله تعالى : «أغير الله أتخذ وليا»(٢) .

فالمنكر فى الآية كون الولى المتخذ غير الله .

أو ظرفا : **كقول أبى العلاء المعرى :**

أَعِنْدِى وقَدْ مَارَسْتُ كلَّ خَفِيَّةٍ ... يُصَدَّقُ وَاشٍ أو يُخَيَّبَ سَائِلُ

يريد أبو العلاء : أنه مارس الدهر وخبره ، وعرف خبيثه وسره ، فلم يعد يصدق واشياً ، أو يرد سائلا ، فهو لا ينكر وقوع هذين الأمرين ، إنما ينكر أن يكون ذلك فى طبعه وخلقه بعد هذه الخبرة الطويلة(٣) .

هذا . ولإنكار الفعل صورة أخرى ، لا يلى فيها الفعل الهمزة ، وإنما يلى معمول الفعل المنكر ، كقوله تعالى : «قل آلذكرين حرم أم الأنثيين» (٤) ، فالغرض من الإنكار : إنكار الفعل نفسه ، وهو التحريم .

يقول الإمام عبد القاهر : المراد إنكار التحريم من أصله ، ونفى أن يكون قد حرم شئ ، مما ذكروا أنه محرم .

وذلك أن كان الكلام وضع على أن يجعل التحريم كأنه قد

---

(١) الزخرف ٣٢ .
(٢) الأنعام ١٤ .
(٣) المنهاج الواضح ١٩٨ .
(٤) الأنعام ١٤٣ .

كان، ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا التحريم الذى زعمتم فيم هو ؟ أفى هذا؟ أم ذاك أم فى الثالث؟ ليتبين بطلان قولهم، ويظهر مكان الفرية منهم على الله تعالى.

ومثل ذلك قولك للرجل يدعى أمراً وأنت تنكره ، متى كان هذا أفى ليل أم نهار؟ تضع الكلام وضع من سلم أن ذلك قد كان، ثم تطالبه ببيان وقته لكى يظهر كذبه، إذا لم يقدر أن يذكر له وقتاً ويفتضح(١) .

والاستفهام الإنكارى يراد به :

التكذيب- فى الماضى- بمعنى لم يكن، كقوله تعالى : «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا»(٢) .

أى لم يفعل هذا الذى تدعون، أى لم يخصصكم بالبنين ويتخذ من الملائكة بنات، كما هو مقتضى اعتقادكم لتعاليه عن الولد مطلقا(٣).

وكقوله تعالى : «أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون»(٤)، فإن المعنى فيه على التكذيب.

يقول الإمام عبد القاهر : فهذا رد على المشركين، وتكذيب لهم فى قولهم ما يؤدى الى هذا الجهل العظيم(٥).

---

(١) دلائل الإعجاز ٨٥ .
(٢) الإسراء ٤٠ .
(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠١ .
(٤) الصافات ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٥) دلائل الإعجاز ٨٤ .

أو التكذيب فى المستقبل على معنى : «لن يكون».

كقوله تعالى : «أنلزمكموها وانتم لها كارهون»(١).

أى : أنرغمكم على قبول الحجة وأنتم لها كارهون، والمراد لن يكون هذا الإلزام يقول ابن يعقوب : فالكفرة ادعوا أنهم يلزمون ما يكرهون، أو نزلوا منزلة من ادعى ذلك لنسبتهم للرسل حرصا لا ينبغى فى زعمهم، أى أنلزمكم هذه الحجة، أى العمل بالشرع الذى قامت عليه الحجة والبرهان، والحال أنكم لتلك الحجة والهداية كارهون(٢).

وكقـــول عمـــارة بن عقيل بن جرير يمدح خالد بن زيد الشيبانى :

أَأَتْرُكُ أَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ ∴ زِيَارَتَـــهُ إِنِّـــى إِذًا لَلَئِيمُ

يريد الشاعر : أنه ليس لئيما، ولا جاحدا للمعروف، فينأى بجانبه عمن كان مغموراً بإحسانه، مشمولا برعايته، وقد نضب معين خيره، ووقع فى مخالب العوز والفاقة.

وقول البحترى :

أَأَكْفُرُكَ النَّعْمَاءَ عِنْدِى وَقَدْ نَمَتْ

عَلَىَّ نُمُوَّ الفجرِ والفجرُ سَاطِعُ

---

(١) هود ٢٨ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٢ .

فالبحترى ينكر على نفسه أن يجحد يد من أسبغ عليه نعمته، وغمره بمعروفه.

أو التوبيخ : على أمر وقع فى الزمن الماضى بمعنى: ما كان ينبغى أن يكون.

كقولك : لمن صدر منه عصيان : أعصيت ربك؟ تريد : ما كان ينبغى لك أن تعصيه.

يقول ابن يعقوب : كأنك تقول ما هذا العصيان الذى صدر منك، فإنه منكر، لأنه لم يكن مما ينبغى أن يصدر منك(١).

أو التوبيخ على أمر واقع فى الحال، أو فى طريق الوقوع، بمعنى لا ينبغى أن يكون.

كقولك لمن يرتكب منكراً، أوهم به : «أتعصى ربك؟ على معنى لا ينبغى أن يقع منك عصيان.

يقول ابن يعقوب : فكأنك تقول هذا العصيان الذى نويت لا ينبغى أن يصدر منك فى الاستقبال، وهذا التوبيخ لا يقتضى الوقوع بالفعل، كما هو ظاهر ولكن يقتضى كون المخاطب بصدد الفعل(٢).

وكقول أحمد شوقى يخاطب الأحزاب المتناحرة.

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٠ .

(٢) المرجع السابق ٣٠١ .

إِلاَمَ الخلفُ بينكمُ إلا مَـــا ... وهذه الضَّجَّةُ الكبرَى عَلاَمَا

وَفِيمَ يَكِيدُ بعضكمُ لبعضٍ ... وتُبْدُونَ العداوةَ والخِصامَـا

فشوقي يلوم الأحزاب على تماديها في الشقاق، واستمرارها في التنافر فيما بينها.

بمعنى لا ينبغي أن يكون .

وكقوله تعالى : «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون» (١) .

وقوله تعالى : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» (٢) .

وقوله تعالى : «قال أتعبدون ما تنحتون»(٣) .

٦- الاستبطاء : وذلك في مقام يقصد فيه إظهار السآمة مع توقع حصول المطلوب.

كقولك لمخاطب دعوته فأبطأ : كم دعوتك؟ فالغرض استبطاء الإجابة .

وكقوله تعالى : «ويقولون متى هـــذا الوعـــد إن كنتم صـــادقين» (٤) .

---

(١) الأعراف ٢٨ .
(٢) البقرة ٤٤ .
(٣) الصافات ٩٥ .
(٤) يونس ٤٨ .

يقول القرطبى : يريد كفار مكة لفرط إنكارهم واستعجالهم العذاب، أى متى العقاب؟ أو متى القيامة التى يعدنا محمد(١) .

وكقول المتنبى :

حَتَّامَ نحنُ نُسَارِى النجمَ فِي الظُّلَمِ

وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمِ(٢)

يريد المتنبى : إلى متى تسرى مع النجوم فى ظلم الليل، ونحن نتألم بالسير والسهر، وهى لا تحس بألم، لأنها تسير بغير خف وقدم، لأن الخف للإبل ، والقدم لبنى آدم، فهى لا ينالها الكلال، ولا الضعف، ولا التعب، كما يصيب الإنسان والإبل.

٧- الاستبعاد : وهو عد الشئ بعيداً، كقوله تعالى :«أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون»(٣) .

أى : كيف يذكرون ويتعظون، والحال أنهم جاءهم رسول يعلمون أمانته، فتولوا عنه وأعرضوا.

يقول ابن يعقوب : فإن الاستفهام الحقيقى لا يصح من علام الغيوب.. فإن مثل هذا الكلام عرفا إنما يراد به الاستبعاد، فهو بدليل قرائن الأحوال للاستبعاد لذكراهم، فكأنه قيل من أين لهم

(١) تفسير القرطبي ٣١٨٨ .

(٢) حتام : إلي متي- النجم : اسم جنس: والمراد النجوم.

(٣) الدخان ١٣ ، ١٤ .

التذكر والرجوع للحق والحال أنهم جاءهم رسول يعلمون أمانته فتولوا وأعرضوا عنه، بمعنى أن الذكرى بعيدة عن حالهم(١).

وقوله تعالى: «يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى»(٢).

يقول القرطبي: أى ومن أين له الاتعاظ والتوبة، وقد فرط فيها في الدنيا(٣).

وقول أبى تمام:

مَنْ لِي بإنسانٍ إذَا أَغْضَبْتُهُ ∴ وَجَهِلْتُ كانَ الحلمُ رَدَّ جَوَابِه

فأبو تمام يستبعد أن يوجد إنسان على هذا القدر من الحلم.

وقول أبى العلاء:

وَقَدْ سَارَ ذِكرِى فى البلادِ فَمَنْ لهم

بإخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوؤُهَا مُتَكَامِلُ

فأبو العلاء المعرى يدعى أنه الشمس فى ضوئها وإشراقها، ويستبعد محاولة إخفاء هذا الضوء المتكامل.

وقول الشاعر:

وأنَّى لَنَا صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى

إلى الموتِ حتى اسْتُشْهِدَا هُوَ والصبرُ(٤)

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠١.

(٢) الفجر ٢٣.

(٣) تفسير القرطبي ٧١٤٦.

(٤) استشهد بالبناء للمفعول بمعني: مات شهيد.

يريد : كيف يتأنى الصبر عليه، وقد مات وماتت على أثره غريزة الصبر.

وقول شوقي :

وكَيْفَ تَلْقَى نَجَاحاً أمةٌ ذهبتْ

حِزْبَيْنِ ضِدَّيْنِ عندَ الحادثِ الحزِب(١)

هذا . والفرق بين الاستبطاء والاستبعاد : أن الاستبطاء متعلقه متوقع، غير أنه بطئ، أما الاستبعاد فمتعلقة غير متوقع(٢).

٨- **الوعيد** : إذا كان مضمون الكلام يفيد الوعيد والتهديد.

كقولك لم يسئ الأدب : ألم أؤدب فلاناً ؟ إذا كان عالماً بذلك.

يقول ابن يعقوب : وإنما يكون وعيداً، إذا علم المخاطب المسئ للأدب ذلك التأديب، فلا يحمل كلامك على الاستفهام، لأنه يستدعى الجهل، وهو عالم أنك عالم بتأديب فلان، بل يحمله على مقصودك من الوعيد بقرينة كراهية الإساءة المقتضية للزجر بالوعيد(٣).

وكقوله تعالى : «ألم نهلك الأولين»(٤).

---

(١) الحزب : بفتح الحاء وكسر الزاي : الشديد

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٦ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٩٣ .

(٤) المرسلات ١٦ .

يقول القرطبى : أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضية، من لدن آدم الى محمد ﷺ (١).

٩- التسوية : للدلالة على أن الأمرين سواء.

كقوله تعالى : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»(٢).

يقول القرطبى : معناه : معتدل عندهم الإنذار وتركه، أى سواء عليهم هذا، وجئ بالاستفهام من أجل التسوية(٣).

وقوله تعالى : «قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين»(٤).

يقول القرطبى : كل ذلك عندنا سواء، لا نسمع، ولا نلوى على ما تقوله(٥).

١٠- التعظيم : إذا كان المقصود الدلالة على ما يتصف به المسئول عنه من صفات حميدة.

كقول أبى فراس الحمدانى :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ(٦)

---

(١) تفسير القرطبي ٦١٥٠ .

(٢) البقرة ٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١٦٠ .

(٤) الشعراء ١٣٦ .

(٥) تفسير القرطبي ٤٨٤١ .

(٦) الكريهة : الشدة في الحرب، والثغر : موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان، ويريد بسداده مده بالخيل والرجال .

يريد أبو فراس أن يرفع من شأن نفسه، ويبين أنه عماد العشيرة في أوقات الحروب والشدائد.

وقول المتنبي :

مَنْ لِلمَحَافِلِ والجَحَافِلِ والسُّرَى
فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ[١]

فأبو الطيب يقصد إلى إظهار ما كان للمرثى أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم.

وقول طرفه بن العبد :

إذَا القومُ قالُوا مَنْ فَتىً خِلْتُ أنني
عُنِيتُ فَلَمْ أكْسَلْ ولَمْ أتَبَلَّدِ

١١- التشويق : إذا كان المقصود تشويق المخاطب الى أمر من الأمور.

كقوله تعالى : «يأأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»[٢].

---

(١) المحافل : المجامع، والجحافل : الجيوش ، والسرى : مشي الليل ويريد به الزحف على الأعداء.

(٢) الصف ١٠ ، ١١ .

وقوله تعالى : «قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار(١).

فالغرض من الاستفهام فى الآيتين الكريمتين الإغراء والتشويق.

١٢- **التقرير** : والمراد به : حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وألجائه إليه.

كقولك لآخر «ألم تفعل كذا؟ إذا كنت تعلم أنه فعل، وتريد أن تحمله على الإقرار به.

ويشترط أن يذكر بعد الهمزة، ما حمل المخاطب على الإقرار به، تقول «أأنت فعلت هذا؟، إذا أردت أن تحمله على الإقرار بالفاعل.

ومن ثم كان قوله تعالى حكاية عن قول قوم « نمرود » «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم»(٢)، مرادا به حمله على الإقرار بأن الكسر قد كان منه لا من غيره.

يقول الإمام عبد القاهر : لا شبهة فى أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل فى قولهم : «أأنت فعلت هذا» وقال هو عليه السلام فى الجواب «بل فعله

---

(١) آل عمران ١٥ .

(٢) الأنبياء ٦٢ .

كبيرهم هذا» ولو كان التقرير بالفعل، لكان الجواب فعلت أو لم أفعل»(١).

ومن الاستفهام للتقرير أيضاً :

قوله تعالى : « ألم نربك فينا وليداً»(٢) ففرعون يعلم أن موسى عليه السلام عاش فى مصر وليدا.

وقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا ∴ وَأَنْدَى العالمينَ بُطُونَ رَاحِ(٣)

يريد جرير : أنتم خير من ركب المطايا، وأندى العالمين يدا، فالشاعر يمدحهم بالعزة والمنعة، كما يمدح بالجود والكرم، ولم يستفهم على سبيل الحقيقة .

يقول أبو عبيدة : ولو كان استفهاما لما أعطاه الخليفة مائة من الإبل برعاتها(٤).

وقول البحترى :

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُوداً وَأَزْكَا هُمُو عوداً وَأَمْضَاهُمْ حُسَامَا(٥)

يصفه بالجود والقوة والمنعة .

---

(١) دلائل الإعجاز ١١٣ . (٢) الشعراء ١٨ .

(٣) أندي : أفعل تفضيل من الندي، والراح : واحده: راحه وهي باطن الكف .

(٤) مجاز القرآن ١٨٤ .

(٥) أزكاهم عودا : أقواهم جسما .

وقول ابن الرومي :

أَلَسْتَ المرءَ يَجْبِى كُلَّ حَمْدٍ إذَا ما لَمْ يَكُنْ لِلْحَمْدِ جَابِ(١)

وقول النابغة الذبياني :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أعطاكَ سُـــورةً

تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ(٢)

يريد النابغة : أن الله قد بوأك منزلة رفيعه. وشرفا عظيما، ولن يستطيع أى ملك من الملوك الوصول إلى هذه المنزلة، أو بلوغ هذه الدرجة.

١٣- التنبية على ضلال كقوله تعالى : «فأين تذهبون»(٣) .

فليس المراد السؤال عن مكان ذهابهم، بدليل انغماسهم فى الضلال وإنما المراد التنبيه على ضلالهم، وأنه لا مهرب لهم يحتمون به.

يقول ابن يعقوب : ليس القصد منه استعلام مذهبهم، بل التنبيه على ضلالهم، وأنه لا مذهب لهم ينجون به ، وكثيراً ما يؤكد هذا الاستعمال بالتصريح بالضلال، فيقال لمن ضل عن طريق القصد : ياذاك إلى أين تذهب؟ قد ضللت، فارجع (٤).

---

(١) يجبي : يجمع

(٢) السورة : الرفعة والشرف والمنزلة - يتذبذب : يضطرب .

(٣) التكوير ٢٦ .

(٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٩٣ .

١٤- التفخيم والتهويل من شأن المستفهم عنه :

كقوله تعالى : «ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين، من فرعون»(١).

على قراءة من بصيغة الاستفهام (٢).

فليس المراد حقيقة الاستفهام، لأن الله تعالى ، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وإنما المراد التفظيع والتهويل من شأن فرعون.

يقول الشيخ الدسوقى : إن المراد بهذا الاستفهام تفظيع أمر فرعون، والتهويل بشأنه، وهو مناسب هنا، لأنه لما وصف عذابه بالشدة، زيادة فى الامتنان على بنى إسرائيل، بالإنجاء منه، هول بشأن فرعون، وبين فظاعه أمره، ليعلم بذلك أن العذاب المنجى منه، فى غاية الشدة، حيث صدر ممن هو شديد الشكيمة، عظيم العتو، فكأنه قيل : نجيناهم من عذاب من هو غاية فى العتو والتجبر، وناهيك بعذاب من هو مثله، وحينئذ فاللائق أنكم تشكرونى، فكيف تكفرونى(٣).

---

(١) الدخان ٣٠، ٣١.

(٢) فرعون : مبتدأ ، ولفظ الاستفهام خبر، أو بالعكس، على اختلاف الرأيين فى الاسم بعد «من» الاستفهامية، فالأخفش يذهب الى الأول وسيبويه الى الثانى والجملة استئنافية للتهويل من أمر فرعون.

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٠٥ .

هذا. وللتهويل من شأن فرعون قال تعالى : «إنه كان عالياً من المسرفين»(١).

أى عالياً فى ظلمه مسرفاً فى عتوه وجبروته .

وكقوله تعالى : «الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك ما الحاقة» (٢).

وكقوله تعالى : «القارعـــة، ما القارعـــة، وما أدراك ما القارعـة» (٣).

يقول القرطبى : اللفظ استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشأنها، كما تقول زيد، ما زيد (٤).

١٥- الأمر : كقوله تعالى : «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون»(٥).

والمراد : انتهوا عما أنتم فيه.

يقول القرطبى : أمر النبى ﷺ مناديه، أن ينادى فى سكك المدينة، ألا إن الخمر قد حرمت، فكسرت الدنان(٦)، وأريقت الخمر حتى جرت فى سكك المدينة(٧).

وقوله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»(٨).

---

(١) الدخان ٣١ .
(٢) الحاقة ١-٣ .
(٣) القارعة ١-٣ .
(٤) تفسير القرطبي ٦٧٣٦ .
(٥) المائدة ٩١ .
(٦) الدن وعاء ضخم للخمر ونحوها .
(٧) تفسير القرطبي ٢٢٨٩ .
(٨) القمر ٣٢ .

فالمراد : اذكروا - بمعنى اعتبروا واتعظوا.

وكقول أحمد شوقي :

هَلْ تَرْحَمُونَ لعلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ

بالبيدِ أَهْلاً وبالصحراءِ جيرانا.

والمـــراد : ارحموا هؤلاء الذين يعيشون معكم في الصحراء والبيداء واجعلوهم بمنزلة الأهل والجيران.

١٦- النهي : كقوله تعالى :« أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين »(١).

والمراد : لا تخشوهم، فالله أحق بالخشية .

وكقول ثمامة الضبي :

فَقُلْتُ لِمُحْرِزٍ لما الْتَقَيْنَا ... تَنَكَّبْ لا يَقْطُرْكَ الزِّحَامُ

أَتَسْأَلُنِي السَّوِيَّةَ وَسْطَ زَيْدٍ ... أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا(٢)

والمراد : لا تسلني السوية.

١٧- التمني : وهو طلب محبوب لا يتوقع حصوله :

كقوله تعالى : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل »(٣).

---

(١) التوبة ١٣ .

(٢) تنكب : ابتعد ، لا يقطرك من قطر الفارس بتشديد الطاء إذا صرعه- السوية : الإنصاف، وزيد : قبيلة محرز والضيم الإذلال والقهر.

(٣) غافر ١١ .

فالمشركون يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ينجيهم من هول العذاب.

وقول أبي العتاهية في مدح الأمين :

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي ... وَمَا كُنْتَ تُولِينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ

فَمَنْ لِي بالعينِ التي كنتَ مَرَّةً ... إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدهرِ تَنْظُرُ

وقول المتنبي :

أَيَدْرِي الربعُ أَيَّ دمٍ أَرَاقَـا ... وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الركبِ شَاقَا(١)

يريد : أيدري الربع ما فعل من إراقه دمي، وما هيج في قلبي من الشوق بذكر الأحبة .

وقول الشاعر :

هَلْ بِالطُّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ ... أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمٍ عَهْدُ(٢)

فالشاعر يتمنى أن يحظى من هذه الأطلال الدارسة برد يخفف ما به من ألم وحزن على فراق أحبابه.

١٨- التحسر : كقول شوقي في ضحايا دنشواي :

كيفَ الأراملُ فِيكِ بعدَ رجالِهَا ... وبأيِّ حالٍ أصبحَ الأيتامُ

(١) الربع : الدار، أراق : سفك، الركب : جماعة الركبان، شاقه : يشوقه شوقا واشتياقا.

(٢) الطلل : ما بقي شاخصاً من آثار الديار ونحوها، والجمع أطلال وطلول .

وقول حافظ إبراهيم فى وصف حريق ميت غمر :

سَائِلُوا الليلَ عنهمُ والنهـارا   كيف بَاتَتْ نساؤُهم والعذارَى

كيفَ أمسَى رضيعُهم فَقَدَ الأ   مّ وكيف اصْطَلَى مَعَ القوم نَارا

فالمراد التحسر على اللائى ترملن بعد فقدان العائل، وعلى الأطفال الذين تيتموا بعد موت آبائهم .

وقول شمس الدين الكوفى فى نكبة بغداد :

مَا لِلْمَنَازِل ؟ أَصْبَحَتْ لاَ أهلُهَا   أَهْلِى وَلاَ جِيرَانُهَا جِيرَانِى

وقول البارودى :

يَادَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِى بِحَلِيلَــةٍ   كانت خُلاصةَ عُدَّتِى وَعَتَادِى

١٩- الإيناس : كقوله تعالى :«وما تلك بيمنك ياموسى»(١) .

فالله سبحانه يعلم السر وأخفى، ولما كان المقام مقام هيبة ورهبة سأل الله تعالى موسى عليه السلام ليؤنسه، ويزيل رهبته وخوفه، ويملأ قلبه طمأنينة وسكينة .

٢٠- التكثير : كقوله تعالى : «وكم من قرية أهلكناها»(٢) .

يقول القرطبى : أى وكثير من القرى- وهى مواضع الناس- أهلكناها(٣) .

هذا وهناك أغراض أخرى تفهم من المقام وسياق الكلام .

---

(١) طه ١٧ .   (٢) الأعراف ٤ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٥٩٧ .

التمنـي

التمني : طلب الشئ المحبوب الذى لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلا ، أو لكونه بعيد المنال ، كقوله تعالى :« ولو ترى إذ وقفوا على النار، فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين»(١) .

يقول القرطبى : كله داخل فى معنى التمنى ، أى تمنوا الرد وألا يكذبوا ، وأن يكونوا من المؤمنين(٢) ، **وكقول أبى العلاء :**

وَأَطْرَبَنِي الشبابُ غَدَاةَ وَلَّى   فليتَ سِنِيَّهُ صَوْتٌ يُسْتَعَادُ(٣)

وقول الشاعر :

أَلاَ ليتَ الشَّبَابَ يعودُ يومًـا   فأخبـرَهُ بما فعـلَ المشيبُ

فالشاعران يطلبان مستحيلا ، فالمرء مهما تمنى عود الشباب ، فإن أمانية ، تبقى صرخة فى واد . وكقوله تعالى : «ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم»(٤) .

فإن امتلاك قوم قارون على مثل ما كان له من ثروة أمر ممكن بيد أنه بعيد الحصول .

وأسلوب التمنى تجده فى القرآن الكريم ، عظيم السلطان ، شديد السيطرة ، فى مثل هذه المواقف .

---

(١) الأنعام ٢٧٠ .   (٢) تفسير القرطبي ٢٤٠٦ .

(٣) أطربني : بمعني أحزنني ، فهو من الأضداد .

(٤) القصص ٧٩ .

اقرأ قوله تعالى : «ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا[١] .

لا يخطئك أن تحس اللهفة المكروبة وراء قوله : «ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، وكيف تتعلق نفسه بما فات ، وكيف هيأ لهذه الصرخة الملتهبة بهذا الصوت المنبه واللافت بقوله «يا» وهى ليست للنداء ، وإنما هى صوت يراد به التنبيه ، ثم قوله : «ياويلتى لم أتخذ فلانا خليلا ، تجد الصرخة هنا أكثر حدة ، لأن الندم هناك على أنه لم يتخذ سبيل الذين آمنوا ، والندم هنا على أنه اتخذ سبيل المضلين[٢] .

هـذا . وللتمنى صيغة واحدة أصلية وهى «ليت» وقد وضعت للدلالة على معنى التمنى .

وهناك أدوات أخرى ، تستخدم فى التمنى لغرض بلاغى وهى :

«هل» و «لو» ، «لعل» ،

كقوله تعالى :«حكاية عن الكافرين يوم القيامة : «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا»[٣] .

فالمعنى : ليت لنا شفعاء ، ولا يصح حمله على الاستفهام ، لأن المشركين ، يعلمون أنه لا شفيع لهم .

---

(١) الفرقان ٢٧ ، ٢٨ .　　(٢) دلالات التراكيب ٢٠٩ .

(٣) الأعراف ٥٣ .

والسر فى ذلك : إبراز التمنى المستحيل الوقوع ، أو البعيد المنال، فى صورة الممكن القريب الوقوع، وذلك للرغبة فيه، ولكمال العناية به.

وكقوله تعالى : «وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى»(١).

وقول الشاعر :

أَسِرْبَ القطا هَل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ

لَعَلّى إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ(٢)

فبلوغ أسباب السموات وطيران الشاعر إلى أحبابه أمر مستحيل، وهذا يقتضى استعمال أداة التنمى الأصلية «ليت» ولكنه استعمل فيها «لعل» وهى تفيد الرجاء، لغرض بلاغى مقصود، وهو إبراز المتمنى البعيد فى صورة الممكن القريب الحصول، وذلك لكمال العناية به والرغبة فى وقوعه .

وكقوله تعالى : «حكاية عن الكافرين يوم القيامة: «فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين»(٣).

---

(١) غافر ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) القطا : جمع قطاة ، ويجمع أيضاً علي قطوات : طائر في حجم الحمام.

(٣) الشعراء ١١٢ .

وكقول الشاعر :

وَلَّى الشبابُ حَمِيدَةً أيامهُ ... لو كَانَ ذلك يُشْتَرَى أو يَرْجِعُ

فالمقام لـ «ليت» لأن عودة الحياة إلى الكفار وعودة الشباب من الأمور المستحيلة، ولكن استخدمت «لو» فى الآية الكريمة، وفى قول الشاعر، للإشعار بعزة المتمنى حيث أبرزه فى صورة الشئ الممنوع، لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب، لامتناع الشرط. هذا. وقد تستعمل «ليت»، التى هى للتمنى فى الترجى لنكتة بلاغية، وهى تنزيل المترجى القريب الحصول منزلة المتمنى البعيد الحصول.

كقول أبى فراس الحمدانى ، يعتب على ابن عمه :

فَلَيْتَكَ تحلُو والحياةُ مَرِيــــرَةٌ ... وليتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضَابُ

وليتَ الذِى بَيْنِى وبينَكَ عامرٌ ... وبينِى وبينَ العالَمِينَ خَــرَابُ

فأبو فراس يرجو أن يصفو ما بينه ، وبين ابن عمه، ولا يهمه بعد ذلك، أصفت الحياة أم لم تصف، وذلك أمر ممكن الحصول، بيد أنه لما كان يستبعد تحقيق ما يرجو عبر بصيغة التمنى، إبرازا للترجى الممكن الحصول فى صورة المتمنى المتعذر حصوله.

وكقول المتنبى :

فَيَاليتَ مَا بَيْنِى وبينَ أَحِبَّتِى ... مِنَ البُعْدِ مَا بَيْنِى وبينَ المصائبِ

فالشاعر يشكو من بعد الأحبة عنه كما يشكو من قرب

المصائب منه ويرجو أن تبتعد المصائب عنه، بعد الأحبة، وهذا أمر فى ذاته ممكن الحصول، بيد أنه لما كان يستبعده بسبب كثرة المصائب التى تلازمه عبر بصيغة التمنى .

ويرى السكاكى أن «هلا» و «ألا» بالتشديد ، و «ولوما ولولا» ألفاظ مركبة من «هل» و «لو» المستعملتين فى التمنى مع «ما» و «لا» الزائدتين ، وأصل «ألا» «هلا» قلبت الهاء همزة .

وبهذا التركيب ، زال احتمال الاستفهام فى «هل» ، واحتمال الشرط فى «لو» ودلتا على التمنى ، وتولد منه .

التنديم فى الماضى ، بمعنى أنها إذا دخلت على الفعل الماضى، أفادت جعل المخاطب ناد ما على ترك الفعل، كقولك : هلا أطعت أباك وألا زرت أخاك، ولولا اجتهدت فى دراستك، ولو ما أخلصت فى عملك قاصداً جعله نادماً على تركه طاعة الأب وزيارة الأخ، والاجتهاد فى الدرس،والإخلاص فى العمل .

والتخصيص فى المضارع، بمعنى أنها إذا دخلت على الفعل المضارع، أفادت حث المخاطب على الفعل، كقولك هلا تطيع أباك، وألا تزور أخاك، ولولا تجتهد فى دراستك ، ولو ما تخلص فى عملك، على معنى ليتك تفعل ذلك قاصداً حثه على الفعل، وحضه عليه.

ووجه جعل التمنى وسيلة إلى التنديم والتخصيص، أن التمنى

يكون فى الأمور المحبوبة فإذا فات الأمر المحبوب له، ندم المخاطب عليه، وإن كان مستقبلا حضه المتكلم عليه[١].

يقول أبو يعقوب يوسف السكاكى : وكأن الحروف المسماه بحروف التنديم والتحضيض وهى : هلا وألا ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبة مع لا وما المزيدتين، مطلوباً بالتزام التركيب التنبيه على إلزام «هل ولو» معنى التمنى فإذا قيل هلا اكرمت زيدا أو ألا بقلب الهاء همزة أو لولا ، أو لوما، فكان المعنى : ليتك أكرمت زيداً، متولداً منه معنى التنديم ، وإذا قيل : هلا تكرم زيداً، أو لولا ، فكأن المعنى ليتك تكرمه[٢].

هذا . والتمنى يكون فى الأمور المحبوبة وإذا كان الأمر المحبوب لم يفعله الإنسان فى الماضى استحق أن يجعله نادما عليه، وإذا كان الأمر المحبوب مستقبلا استحق الحث عليه.

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٢٤٤ .

(٢) المفتاح ١٤٧ .

النــــــداء

الـنـــداء : طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بـ «يا» أو إحدى أخواتها وليس طلب إقبال الحى العاقل، الذى لا يجاوز امتداد صوت المنادى وحده، هو ما يجرى فيه النداء، بل جرى طلب الإقبال فى الحى العاقل الذى يجاوز امتداد الصوت، كنداء الصاحبة التى أوغلت فى البعد، والنداء فى هذا تعبير عن بواعث مشوقه إلى استحضار الصاحبة والحديث إليها.

وكذلك نودى الحى غير العاقل، من النوق والطير والوحش وغيرها، كما نوديت مشاهد الطبيعة من برق وسحاب، وأقمار وشموس وأشجار، كذلك نوديت القبور والفيافى والخرائب والأطلال والديار.

كما نوديت أحوال النفس وعواطفها من حب وبغض وحسرة ولذة إلى آخر ما تصرف فيه اللسان فى هذا الباب.

ونودى فى القرآن الكريم، الأرض والسماء، والنار والويل، والجبال والطير، والنفس ، والحسرة وغيرها.

ووراء كل ذلك أغراض وأسرار ومذاقات، والبحث فى ذلك ودرسه، باب جليل من أبواب معرفة الأدب وذوق اللسان.

وأكثر هذه المواقع، يجرى فى السياقات المليئة، ذات الحس الطاغى، والموقف المفعم، وترى الأداة فى كثير منها، كأنها صيحة أو صرخة يطلقها الشاعر والبليغ المبين(١).

---

(١) دلالات التراكيب ٢٧٨ .

هذا والاسم الذى طلبت إقباله عليه يسمى «منادى» والحرف الذى ناديته به يسمى «أداة نداء».

وأدوات النداء هى : الهمزة ، أى ، آ، أى، يا ، آيا، هيا، وا.

وكل هذه الادوات نائبة مناب الفعل «أدعو» فإذا قلت : يامحمد، كان معناه : أدعو محمدا .

والهمزة : لنداء القريب، وباق الأدوات لنداء البعيد.

وأعم هذه الأدوات استعمالا «يا» فإنها تدخل فى كل نداء ، وتتعين فى نداء اسم الله تعالى، وفى باب الاستغاثة، وفى أيها وأيتها، وتختص «وا» بباب الندبة.

وقد تحذف أداة النداء غالبا مع لفظ «رب» فينادى مجرداً من حرف النداء إشارة إلى أنه قريب من المتكلم فى قوله تعالى :«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطائنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به»(١).

ويأتى النداء غالباً على الصور التالية :-

١- الأكثر أن يلى النداء أمر أو نهى كقوله تعالى : «ياأيها الناس اعبدوا ربكم»(٢).

وقوله تعالى : «ياأيها المدثر قم فأنذر» (٣).

---

(١) البقرة ٢٨٦ .　　(٢) البقرة ٢١ .

(٣) المدثر ١ ، ٢ .

٢- وقد يأتى النداء بعد الأمر كقوله تعالى : «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون»(١) .

٣- وقد يأتى بعد النداء استفهام كقوله تعالى : «ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك»(٢) .

٤- وقد يأتى بعد النداء الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر ، كقوله تعالى "«يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له» (٣) .

٥- وقد يأتى بعد النداء الجملة الخبرية فقط ، كقوله تعالى :«يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد» (٤) .

الهمزة ويا :

همزة النداء أصلها للقريب ، ولكن أحياناً ينادى بها البعيد وذلك لغرض بلاغى وهو الإشارة إلى أن المنادى القريب لا يغيب عن المتكلم : **كقول الشاعر :**

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ الأراكِ تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِى سُكَّانُ(٥)

يريد أنه مشغوف بهم ، وأنهم فى حنايا قلبه وبين جوانحه .

فالشاعر تخيلهم قريبين منه ، يسمعون نداءه ، ويحسون بنبضات قلبه .

---

(١) النور ٣١ .
(٢) التحريم ١ .
(٣) الحج ٧٣ .
(٤) فاطر ١٥ .
(٥) نعمان الأراك موضع فى بلاد العرب والربع المنزل .

وقول الشاعر :

أَعَلِيَّ إنْ تَكُ بالعراقِ نَسِيتَنِى فَأنَا بِمِصرَ عَلَى هَوَاكَ مُقِيمُ

وقد ينادى القريب الدانى الذى يراه ويسمعه آناء الليل وأطراف النهار بأداة لا ينادى بها إلا البعيد مثل «يا» إشارة إلى أن هذا الذى يناديه عظيم عالى الدرجة بعيد المنزلة . **كقول الشاعر :**

يَامَنْ يُرَجَّى للشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَامَنْ إليهِ المُشتَكَى والمَفْزَعُ

فالمرجى للشدائد ، والذى إليه المشتكى والمفزع هو اللّه تعالى وهو قريب ، بل هو مع الإنسان أنى كان ، ولكن أدب الخطاب دعا الشاعر إلى أن يلتزم حدود الصرامة والأدب الرفيع فناداه بتلك الأداة[1] .

وكقوله تعالى « »واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً . إذا قال لآبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، ياأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إنه كـــان للرحمن عصيا . يأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً»[2] .

فإبراهيم عليه السلام خاطب أباه ، وهو قريب منه ، فكان الأصل أن يناديه بالهمزة التى هى للقريب ، ولكن ناداه «بيا» التى

---

(١) البلاغة العربية فى ثوبها الجديد ١١٤ .

(٢) مريم ٤١-٥٥ .

هى البعيد وذلك لهدف بلاغى وهو الإشارة إلى علو منزلته.

وقد ينادى القريب بأداة البعيد احتقاراً وامتهانا.

كقول الشاعر :

أَيَا هذَا أَتَطْمَعُ فِي المعالِـي ... وَمَا يَحْظَى بِهَـا إِلاَّ الرِّجَـالُ

وقول الفرزدق :

أُولئِكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتْنَا يَاجَرِيرُ المجامِـعُ

وقد ينادى القريب بأداة البعيد أيضا لغفلته وشرود ذهنه.

كقول أبى العتاهية :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدنيَا طَوِيلاً ... وَأَفنَـى العمرَ فِي قِيلَ وَقَالَ

وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيمَـا سَيَفْنَى ... وَجَمَّعَ مِنْ حَـرامٍ أَوْ حَـلاَلِ

هَبِ الدنيا تُقَادُ إليكَ عَفْـوًا ... أَليسَ مَصِيـرُ ذلكَ للزوالِ؟

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلى، من نداء القريب أو البعيد، إلى معان آخر تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، منها :

١- **الإغـــراء** : وهو الحث على لزوم الشئ، كقولك لمن أقبل يشكو ويتظلم بامظلوم تكلم، فليس المراد هنا طلب حقيقة الإقبال، لأنه حاصل، ولا معنى لطلب الحاصل، وإنما المراد إغراؤه وحثه على زيادة التظلم، وبث الشكوى(١).

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٣٥.

وقولك - لمن يهاب الوقوف على المنبر- ياعالم اصعد المنبر، تريد بذلك تشجيعه على الخطابة، وقولك : ياشجاع أقدم، لمن يتردد في الإقدام.

٢- والتحسر : كقوله تعالى : «يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى،، يقول ياليتنى قدمت لحياتى»(١).

وقوله تعالى : «وأما من أوتى كتابه بشماله، فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه، ولم أدر ماحسابيه، ياليتها كانت القاضية»(٢).

وقوله تعالى : يوم ينظر المرء ماقدمت يداه. ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً»(٣).

فالنداء في الآيات الكريمة، خرج عن معناه الأصلي، وأريد منه التحسر.

وكقول الحسن بن مطير :

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُـودَهُ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ والبحرُ مُتْرَعَا(٤)

يتحسر الشاعر على معن، ويعجب لهذا القبر، كيف حوى- على ضيقه- كل هذا الجود- على سعته.

---

(١) الفجر ٢٣ ،، ٢٤ .

(٢) الحاقة ٢٥-٢٧ .

(٢) النبأ ٤٠ .

(١) المترع : المفعم.

وقول الشاعر :

أَعَدَّاءُ ما لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَـذَّةٌ   وَلا لِخَلِيلٍ بَهْجَةٌ بِخَلِيلِ(١)

يريد : ياعداء ، ذهبت بعدك لذة العيش ، ولم يبق سرور لخليل بخليله.

وقول الشاعر :

أيَا مَنْزِلَيْ سَلْمَى سَلامٌ عَلَيكُمَا

هَل الأزمنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

ينادى هذه الأطلال الدارسة ، ويحييها فى لوعة وأسى ، ويتمنى عودة الأيام ، لتعود إليه بهجة الحياة.

وقول الشاعر :

أيَا مَنَازِلَ سَلْمَى أيْنَ سَلْمَاكِ

مِنْ أجْلِ هَذَا بَكَيْنَاهَا بَكَيْنَاكِ(٢)

وقول حافظ إبراهيم فى رثاء مصطفى كامل :

أيا قبرُ هذا الضيفُ آمالُ أمَّةٍ   فكَبِّرْ وهَلِّلْ والْقَ ضَيْفَكَ جَاثِيَا

وَيَاقبرُ لو أنَّا فقدناهُ وحدَهُ

لكان التَّأسِّي مِنْ جَوَى الحزنِ شَافِيَا

---

(١) الهمزة للنداء ، وعداء : منادى. والبهجة : السرور.

(٢) أى من أجل عدم وجود سلمى بكينا على سلمى ، وبكينا على المنازل ، فالمراد بقوله «بكيناها» أى بكينا على سلمى ، «وبكيناك» أى بكينا عليك أيتها المنازل.

وَلكِنْ فَقَدْنَا كلَّ شيءٍ بفقدهِ ... وهيهاتَ أن يأتى به الدهرُ ثانِياً

وقول أم تتحسر على ابنها :

دَعَوْتُكَ يابُنَيَّ فلَمْ تُجِبْنِـــى ... فَـــرُدَّتْ دَعْوَتِـى يَأسًـــا عَلَيَّا

٣- والإســتغــاثــة : كقول عمر رضى الله عنه : «ياللّه للمسلمين».

وقولك : ياللّه من ألم الفراق .

فمن الجلى أن الغرض هنا الاستغاثة .

وكقول شوقى فى الخلافة العثمانية بعد إلغائها :

يَالَلرِّجَالِ لِحُرَّةٍ مَوْءُودَةٍ ... قُتِلَتْ بِغَيرِ جَرِيرَةٍ وَجُنَاحِ(١)

وقول الشاعر:

يَالَلرِّجَالِ ذَوِى الألبابِ مِنْ نَفَرٍ ... لاَ يَبْرَحُ السَّفَهُ المُرْدِىٌّ لهم دِينَا

٤- والندبة ، كقول أبى العلاء :

فَوَاعَجَبًا كَمْ يَدَّعِى الفضلَ نَاقِصٌ ... وَوَا أسَفَا كَمْ يُظْهِرُ النقصَ فَاضِلُ

---

(١) المراد بالحرة الموءودة : الخلافة العثمانية ، والجناح بضم الجيم : الذنب .

وقول المتنبى :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بِجِسمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ(١)

يريد المتنبى : قلبى حار من حبه، وقلبه بارد من حبى، وأنا عنده مختل الحال معتل الجسم.

٥- والزجر، كقول الشاعر :

أَفُؤادِي مَتَى المَتَابُ أَلَمَّا تَصْحُ والشيبُ فَوقَ رَأْسِي أَلَمَّا(٢)

فالشاعر يزجر فؤاده ويدعوه إلى التوبة، بعد أن خط رأسه الشيب.

وكقول الشاعر :

يَاقَلْبُ وَيْحَكَ مَا سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ لَمَّا ارْتَمَيْتَ وَلَا اتَّقَيْتَ مَلَامَا

فالشاعر يزجر قلبه، لتماديه فى غيه، وعدم استماعه، لقول ناصح، أو نقد ناقد.

وقول اسماعيل صبرى :

أَقْصِرْ فُؤادِي فَمَا الذكرَى بِنَافِعَةٍ

ولا بشافعة فِيَ ردِّ مَا كَانَا(٣)

---

(١) الشم : البارد، والشم : البرد.

(٢) ألما، الأولى جازمة للفعل، وقد صحبتها همزة الاستفهام والمراد بها الاستبطاء، و«ألما» الثانية فعل من الإلمام، من ألم بالمكان، نزل به.

(٣) اقصر : كف وأقلع.

يطلب الشاعر من قلبه الإقلاع، والكف عما هو فيه، مما لا يجدى ولا يفيد.

٦- **والتعجب : كقول الشاعر :**

وَتَمَنَّى نَظْرَةً يَشْفِى بِهَـــا عِلَّةَ الشَّـــوْقِ فَكَانَتْ مَهْلِكَا

يَالَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ مَهْبِطَ الحكمةِ حتى انْتَهَكَا(١)

فقد أراد الشاعر من قوله «يالها من نظرة» التعجب من تأثير النظرة فيه، حتى سلبته عقله.

وقول امرئ القيس في وصف الليل :

ألا أَيُّهَا الليلُ الطويلُ ألا انْجَلِ

بصبحٍ وما الأصباحُ منكَ بِأَمْثَلِ(٢)

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَـــهُ

بِأَمْرَاسِ كِتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ(٣)

---

(١) المراد بمهبط الحكمة : العقل أو القلب.

(٢) الأمثل : الأفضل، يريد : قلت لليل تكشف عن صبح، ولكن الصبح ليس بأفضل من الظلام، وتشاؤم الشاعر من الليل والصباح يدل على يأسه من الحياة بكل وجوهها ومظاهرها.

(٣) المرس : الحبل، والجندل : الصخرة الكبيرة، يخاطب الشاعر الليل، ويعجب من تطاوله حتى ليخيل إليه، أن نجومه أرتقت بحبال إلى الصخور والصلبة ، ويروى البيت أيضاً : =

وقول طرفة بن العبد :

يَالَكِ مِــــنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَـــرِ خَلَالَكِ الجَـــوُّ فَبِيضِى واصْفِرِى

قد رُفِعَ الفخُّ فَمَـــاذَا تَحْـذَرِى وَنَقِّرِى مَاشِـئْتِ أَنْ تَنَقِّــــرِى

قَدْ ذَهَبَ الصيادُ عَنْكِ فَأَبْشِرِى لَابُدَّ يومًا أن تُصَادِى فَاصْبِرِى(١)

٧- الاختصاص : كقوله تعالى : «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت»(٢) .

وقول الشاعر :

نَحْنُ الحرائرَ إنْ مَالَ الزمانُ بِنَـا

لَمْ نَشْكُ إلاَّ إلى الرحمنِ بَلْوَانَا

إلى غير ذلك من الأغراض التى تفهم بالسياق وقرائـــن الأحوال.

= فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ومغار الفتل : محكم الفتل، ويذبل اسم جبل- فالشاعر يصف نجوم الليل بالثبات كناية عن طوله، وهو ساهر، يراقب النجوم.

(١) القبرة : طائر صغير، والمعمر : المنزل ذو الماء الكثير. والجو ما تسع من الأودية وهذا مثل وهذه الأبيات رويت لكليب أخى المهلهل، ولعل طرفه استشهد.

(٢) هود ٧٣ .

التعبير بالخبر فى موضع الإنشاء

قد يقع الخبر فى موضع الإنشاء، **لأغراض بلاغية من أهمها :**

١- التفاؤل : والمراد به : إدخال السرور فى قلب المخاطب، ويكون ذلك بلفظ الماضى، كقولك «هدى الله محمداً إلى صالح الأعمال»أى : أللهم أهد محمدا إلى صالح الأعمال، والتعبير بالماضى أبلغ، وقد عدل عن صيغة الأمر إلى صيغة الماضى، للدلالة على تحقق الوقوع تفاؤلا.

إن الذى يحدث تغيير فى الحس بالمعنى، والشعور به، ولو تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر.

فقولك : «ارحم اللهم زيدا، تعبير عن حاجة نفسك، فى أن يرحم الله زيدا، وقولك : رحم الله زيداً تعبير عن حاجة نفسك أيضاً فى أن يرحم الله زيدا، ولكن الرغبةهنا أكثر إلحاحاً، وأشد تعلقاً بالنفس، وكأنها لقوة إحاطتها بالقلب أوهمت أنها وقعت، وأن الله قد ناله برحمته، وأنت تخبر عن هذه الحالة.

قال البلاغيون فى هذا : إن النفس إذا عظمت رغبتها فى شئ تخيلت غير الواقع واقعاً، وبنت الكلام على هذا التخيل، وأجرته على نسجه(١).

يقول ابن يعقوب : كان يقصد طلب الشئ، وصيغة الأمر، هى

---

(١) دلالات التراكيب ٢٨٤.

الدالة عليه، فيعدل عنها إلى صيغة الماضى الدالة على تحقق الوقوع تفاؤلا لتحققه، كما يقال : وفقك الله إلى التقوى (١).

٢- إظهار الحرص على وقوعه ، ويكون - أيضاً- بلفظ الماضى، كقولك «أسعدنى الله بلقاء محمد» أى اللهم أسعدنى بلقاء محمد، فقد عدل فيه إلى لفظ الماضى، لأن المتكلم لشدة رغبته فى حصول الشئ، تخيله واقعاً للدلالة على شدة الحرص على وقوعه، والرغبة فى حدوثه.

يقول الشيخ الدسوقى : إن الطالب لشئ إذا عظمت رغبته فيه كثر تصوره له وانتقشت صورة مطلوبه فى خياله، فيخيل له أن مطلوبه غير الحاصل حاصل من زمان ماض، فيعبر بالماضى المفيد الحصول للدلالة على الحرص فى وقوعه(٢) .

هذا وإظهار الحرص على الوقوع مع التفاول، لا تنافى بينهما، فللبليغ إحضارهما فى التعبير بصيغة المعنى عند الطلب(٣) .

٣- والاحتراز عن صورة الأمر المشعرة بالاستعلاء تأدياً مع المخاطب، كقول الطالب لأستاذه : يشرح لى الأستاذ درس البلاغة، بالتعبير بالفعل المضارع.

يقول بهاء الدين السبكى : وقد يأتى الإنشاء بصيغة الخبر،

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٣٨ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٣٨ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٣٩ .

كقول العبد للمولى، إذا حول وجهه إليه: ينظر المولى إلى ، فإنه أكثر تأدباً من قوله : انظر إلى بصيغة الأمر(١) .

٤- حمل المخاطب على تحصيل المطلوب ، والتنبيه إلى سرعة الامتثال كقولك لصديقك ، الذى لا يود تكذيبك : تزورنى غداً ، بالتعبير بالفعل المضارع بدلا من زرنى غداً .

يقول صاحب المطول : تحمله بألطف وجه على الإتيان ، لأنه إن لم يأتك غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر لكون كلامك فى صورة الخبر(٢) .

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٣٣٩ .
(٢) المطول ٢٤٦ .

التعبير بالإنشاء فى موضع الخبر

قد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض بلاغية منها :

١- إظهار العناية بالشئ، والاهتمام بشأنه.

كقوله تعالى : «قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد»(١) لم يقل و إقامة وجوهكم، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة لعظيم خطرها، وجليل قدرها فى الدين.

٢- الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق .

كقوله تعالى : «وقال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه» فقد عدل فيه عن «وأشهدكم» تجنباً من مساواة شهادته بشهادة الله تعالى .

٣- الرضا بالواقع كأنه مطلوب .

كقوله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

لم يقل «تبوأ» ، إشارة إلى الرضا بأن يتبوأ الكاذب عليه مقعده من النار حتى لكأن ذلك مما ينبغى أى يطلب .

---

(١) الأعراف ٢٩ .

(٢) هود ٥٤ ، ٥٥ .

الفصل والوصل

الوصل عطف جملة على أخرى. والفصل ترك العطف[١].

وهذا الباب من أدق أبواب علم المعانى، ولا يعرفه على وجهه الصحيح إلا الذى أوتى قسطاً موفوراً من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها، ورزق حظاً من المعرفة فى تذوق الكلام.

ومن ثم فقد قصر بعض العلماء «البلاغة» على معرفة الفصل والوصل.

يقول الإمام عبد القاهر : إن العلم بما ينبغى أن يصنع فى الجمل، من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجئ بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه، إلا الأعراب الخلص، والأقوام طبعوا على البلاغة، وأوتو فناً من المعرفة فى ذوق الكلام، هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر فى ذلك، أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل، وذلك لغموضه، ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معانى البلاغة[٢].

إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة، بمواضع الفصل والوصل، كانت كاللآلئ بلا نظام.

---

(١) ينظر المطول ٢٤٧ .

(٢) دلائل الإعجاز ١٥٦

وقال أبو العباس لكاتبه : ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل.

وكان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا، فإنه أشد وأعيب من اللحن.

كما كان أكثم بن صيفى إذا كاتب ملوك الجاهلية، يقول لكتابه : افصلوا بين كل معنى منقض، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض(١).

والذى يبحث فيه علماء البلاغة، هو العطف بالواو، لأنها لمطلق الجمع وتشريك ما بعدها لما قبلها فى الحكم، بخلاف العطف بغير «الواو» لأنه يفيد مع التشريك، معانى أخر، كالترتيب مع التعقيب فى «الفاء» والترتيب مع التراخى فى «ثم» وهكذا باقى حروف العطف.

يقول الإمام عبد القاهر : إنه إنما يعرض الأشكال فى الواو دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معانى، مثل أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ و «ثم» توجيه مع تراخ، و «أو» تردد الفصل بين شيئين، وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحد منها الجملة، على الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت : أعطانى فشكرته، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقباً على العطاء ومسبباً عنه، وإذا قلت : خرجت ثم خرج زيد، أفادت «ثم» أن

---

(١) الصناعتين ٤٥٨-٤٦٠ .

خروجه كان بعد خروجك، وأن مهلة وقعت بينهما، وإذا قلت: يعطيك أو يكسوك، دلت« أو » على أنه يفعل واحدا منهما لا بعينه.

وليس للواو معنى سوى الإشراك فى الحكم الذى يقتضيه الإعراب الذى اتبعت فيه الثانى الأول، فإذا قلت جاءنى زيد وعمرو، لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو فى المجئ الذى أثبته لزيد، والجمع بينه وبينه.

ولا يتصور إشراك بين شيئين، حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه(١).

هذا. وبإنعام النظر فى النظم القرآنى، فإن العطف بالواو، إلى جانب الإشراك فى الحكم، فإن المعطوف عليه يتقدم على المعطوف، لأسرار بلاغية.

ففى قوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» الفاتحة ٥. قدمت العبادة على الاستعانة، لأن العبادة سبب حصول الإعانة.

وفى قوله تعالى: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» سورة البقرة ٢٢٢.

قدم التوابون على المتطهرين، لأن التوبة سبب الطهارة.

وفى قوله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» النور ٣٠.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٧.

قدم البصر لأنه داعية إلى الفرج.

وفى قوله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» المائدة ٣٨ .

قدم السارق على السارقة، لأن السرقة فى الذكور أكثر ، كما قدمت الزانية على الزانى ، فى قوله تعالى : «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» النور ٢ ، لأن الزنا فى الإناث أكثر.

وفى قوله تعالى : «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير» الأنبياء ٧٩ .

قدمت الجبال على الطير ، لأن تسخيرها وتسبيحها له أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الإعجاز، لأنها جماد بخلاف الطير.

وفى قوله تعالى : «إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم» التغابن ١٤ ، قدم الأزواج على الأولاد ، ليفيد أن العداوة فيهم أكثر من الأولاد.

قال ابن الحاجب فى أماليه : إنما قدم الأزواج ، لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع ذلك فى الأزواج أكثر منه فى الأولاد.

ولذلك قدمت الأموال فى قوله تعالى : «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» التغابن ١٥ - لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة ، قال تعالى : «إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق ٦ ،٧.

وليست الأولاد فى استلزام الفتنة مثلها ، فكان تقديمها أولى[١].

وهكذا كل لفظة فى القرآن الكريم، قد وضعت فى مكانها الذى هو أحق بها ، وهى أحق به ، بحيث لا يرى الباحث لفظة أولى به منها ، ولا مكانا أولى بها منه ، وبهذا تبوأ النظم القرآنى أعلى درجات البلاغة ، وأسمى آيات الإعجاز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

مواضع الفصل :

يجب الفصل بين الجملتين فى خمسة مواضع هى :

١- كمال الانقطاع بدون إبهام خلاف المراد .

ويتحقق ذلك فى صورتين :

(أ) أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء.

كقوله تعالى : «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن» [٣] . فجملة «ادفع» إنشائية لفظاً ومعنى ، ولذلك فصلت عن جملة ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، لأنها خبرية لفظاً ومعنى .

وقوله تعالى :« وأقسطوا إن الله يحب المقسطين»[٣] .

فقد فصلت الجملة الثانية «إن الله يحب المقسطين» عن الجملة

(١) ينظر معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى جـ١ - ١٣٥ .

(٢) فصلت ٣٤ .

(٣) الحجرات ٩ .

الأولى، «وأقسطوا» لأن الأولى إنشائية لفظاً ومعنى، والثانية خبرية لفظاً ومعنى .

وكقول الشاعر :

لَا تَسْأَلِ المرءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الخبرِ(١)

يريد الشاعر : لا تسأل المرء عما ينطوى عليه من خلق ، فإن فى وجهه من الدلائل ما يغنيك عن الجواب.

فقد فصلت الجملة الثانية «فى وجهه شاهد من الخبر» عن الأولى «لا تسأل المرء من خلائقه، لا اختلافهما خبراً وإنشاء فى اللفظ والمعنى.

وكقول الشاعر:

لَا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرَ(٢)

يريد الشاعر : لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك، إن دون المجد صعاباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية .

فقد فصل بين شطرى البيت ، لاختلافهما خبراً وإنشاءَ .

وقول أبى العتاهية :

يا صَاحِبَ الدنيا المحبَّ لَهَا أَنْتَ الذِى لَا يَنْقَضِى تَعَبُه

---

(١) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة.

(٢) الصبر : بكسر الباء : عصارة شجر مر .

فجملة «النداء» إنشائية لفظاً ومعنى، وجملة «أنت الذى لا ينقضى تعبه» خبرية لفظاً ومعنى .

وقول حسان بن ثابت :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ   لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ العِرْضِ فِي المَالِ

فجملة «لا بارك الله» خبرية لفظاً، إنشائية معنى، لأنها دعائية ولذلك فصلت عن جملة «أصون عرضى» لأنها خبرية لفظاً ومعنى .

وكما ترى - فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى، فى الأمثلة السابقة لاختلافهما خبراً وإنشاء، وكقولك - أيضاً - مات فلان رحمه الله(١) .

(ب) أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاء، ولكن لا جامع بينهما، بمعنى أنه لا تناسب يربط الجملتين .

كقول الشاعر :

إِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْـــــــــــهِ   كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ(٢)

فإنه لا مناسبة بين قوله : «إنما المرء بأصغرية» وقوله : «كل أمرئ رهن بما لديه» ومن ثم فصلت الجملة الثانية عن الجملة الأولى .

---

(١) يقول صاحب المطول : أى ليرحمه الله فهو إنشاء معنى ، فلا يصح عطفه على مات فلان ٢٥٢ .

(٢) الأصغران : القلب واللسان، رهن بما لديه : يجازى مما عمل .

وقول الشاعر :

الفقرُ فِيمَا جَاوَزَ الكفَافَـــا   مَن اتَّقى اللّهَ رَجَـا وَخَافَـــا

فقد فصل الشطر الثانى ، عن الشطر الأول لعدم وجود المناسبة بينهما .

وقولك : كفى بالشيب واعظا ، صلاح الإنسان فى حفظ اللسان .

فإنه لا مناسبة بين كون الشيب واعظا ، وصلاح الإنسان فى حفظ اللسان وكقولك : «محمد كاتب ، إبراهيم طويل ، فإنه لا مناسبة بين كتابة محمد ، وطول إبراهيم .

وقولك : محمد بدين ، الجو جميل ، فلا مناسبة بين بدانة محمد وجمال الجو .

يقول الإمام عبد القاهر : لو قلت : زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفاً ، لأنه لا مشاكلة ، ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر ، وإنما الواجب أن يقال : زيد كاتب وعمر شاعر ، وزيد طويل ، وعمر قصير وجملة الأمر أنها لا تجئ ، حتى يكون المعنى فى هذه الجملة لفقا للمعنى فى الأخرى ومضاما له(١) .

٢- أن يكون بين الجملتين : كمال الاتصال ، وهو أن تتحد الجملتان اتحاداً تاما ، بحيث تنزل الثانية من الأولى ، منزلة نفسها .

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٨ - لفقا للمعنى : مناسبا ، مضافا له : مكملا له .

ويكون ذلك فى ثلاثة مواضع :

(١) أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، تأكيدا لفظيا أو معنويا، فالتوكيد اللفظى[1] كقوله تعالى :« فمهل الكافرين أمهلهم رويدا »[2] فقد فصل بين الجملتين، لأن الثانية «أمهلهم» بمنزلة التوكيد اللفظى للأولى : «مهل الكافرين» لأنها توافقها لفظاً ومعنى، ومن ثم فصلت عنها، ولم تعطف عليها، لعدم صحة عطف الشئ على نفسه، لأن التوكيد والمؤكد كالشئ الواحد.

وكقول المتنبى :

وما الدهرُ إلا من رُوَاةِ قَصَائِدى

إذا قلتُ شِعْراً أصبحَ الدهرُ مُنْشِدَا

فالشطر الثانى من البيت، فصل عن الشطر الأول، لأنه بمنزلة التوكيد اللفظى له، لأن معنى الشطر الأول : الدهر يروى شعرى، ومعنى الشطر الثانى: الدهر ينشد شعرى، فالمعنى متحد، والألفاظ متقاربة، ولذلك فصل بينهما.

وكقول حسان بن ثابت :

أَصُونُ عِرْضِـى بِمالِـى لَا أُدَنِّسُهُ

لَا بَارَكَ اللّهُ بَعْدَ العِرْضِ فِي المالِ

---

(١) المراد بالتوكيد اللفظى : أن يكون مضمون الجملة الثانية هو مضمون الجملة الأولى لدفع توهم الغلط لسهو أو نسيان.

(٢) الطارق ٧ .

فقد فصلت جملة «لا أدنسه» عن جملة «أصون عرضى» لأنها توكيد لفظى، فالصلة قوية بينهما، ومن ثم امتنع العطف.

والتوكيد المعنوى[١]، كقوله تعالى: «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم»[٢].

فقد فصل بين الجملتين، لأن الثانية من الأولى، بمنزلة التوكيد المعنوى لاختلاف مفهومى الجملتين، وكون الثانية منهما مقررة للأولى، ذلك لأنه إذ كان ملكا، لم يكن بشرا، فإثبات ملكيته، توكيد لنفى بشريته.

وكقوله تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنو»[٣].

فقد فصلت جملة «يخادعون الله» عن جملة «آمنا» لأن الثانية مؤكدة لمضمون معنى الأولى، فهم يقولون: «آمنا، وهم فى الحقيقة غير مؤمنين» بل يخادعون، ومن ثم كانت الثانية مؤكدة للأولى.

يقول الإمام عبد القاهر: إنما قال يخادعون، ولم يقل ويخادعون لأن هذه المخادعة، ليست شيئا غير قولهم «آمنا» من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو فى معناه، وليس شيئا سواه[٤].

---

(١) المراد بالتوكيد المعنوى: أن يختلف مفهوما الجملتين، ولكن يلزم من تقرر معنى إحداهما تقرر معنى الأخرى لدفع توهم التجوز.

(٢) يوسف ٣١.

(٣) البقرة ٨، ٩.

(٤) دلائل الإعجاز ١٦٠.

وكقوله تعالى : «ذلك الكتاب لا ريب فيه»[١] .

فقد فصلت جملة «لاريب فيه» عن جملة «ذلك الكتاب» لأنه لما بولغ فى وصف الكتاب، بأنه بلغ فى الكمال الدرجة القصوى من الكمال، كان عند السامع مظنة أنه يرمى به جزافا، من غير تحقق، فأتبعه بجملة «لا ريب» فيه تأكيداً معنوياً، دفعا لذلك التوهم، أى لا ريب فى بلوغه ذروة الكمال .

يقول الإمام عبد القاهر : قوله «لا ريب فيه» بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب، وزيادة تثبيت له[٢] .

كما يقول صاحب الإيضاح : فإن وزان لا ريب فيه فى الآية، وزان «نفسه» فى قولك جاء الخليفة نفسه[٣] .

(ب) أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى.

كقوله تعالى : «أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون»[٤] .

فقد فصلت جملة «أمدكم» الثانية عن جملة «أمدكم» الأولى ، لأنها منها بمثابة بدل البعض، لأن ما يعلمون، يشمل ما ذكره فى الجملة الثانية من النعم، ويشمل غيرها من النعم التى لا تحصى.

---

(١) البقرة ١، ٢ .
(٢) دلائل الإعجاز ١٦٠ .
(٣) الإيضاح جـ٢ / ٩٠ .
(٤) الشعراء ١٣٢-١٣٤ .

يقول بهاء الدين السبكى : إنه سبق للتنبيه على عظم نعم الله سبحانه وتعالى عند المخاطبين، فهو مقام يقتضى الإعتناء به، والثانية أوفى من الأولى لدلالتها على التفصيل من غير إحالة على علمهم، فإنهم معاندون(١) .

وكقوله تعالى : «يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم»(٢) .

فصلت جملة «يذبحون» لأنها بمثابة بدل البعض من «يسومونكم سوء العذاب».

وكقوله تعالى : «يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون»(٣) .

فقد فصلت جملة «يفصل» عن جملة «يدبر» لأنها بمثابة بدل البعض» فتفصيل الآيات، بعض من تدبير الأمور.

وكقوله تعالى : « اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»(٤).

فالمراد بقوله تعالى : «اتبعوا المرسلين» حمل المخاطبين على اتباع الرسل.

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٢ / ٤٢ .

(٢) البقرة ٤٩ .

(٣) الرعد ٢- يدبر الأمر : يقضى أمر ملكه فيصرف الكون حسب إرادته وحكمته.

(٤) يس ٢٠ .

وقوله تعالى :«اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» أو في بتأدية هذا الغرض، لأن المراد به: «أنكم لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم»، وتربحون صحة دينكم ، فيكون لكم الخير والهناء في الدنيا والآخرة.

فترك العطف بين الجملتين لقوة الربط بينهما، ووزان الجملة الثانية وزان «علمه» من قولك :«أعجبني محمد علمه».

وكقول الشاعر :

أقولُ له أرحلْ لا تُقيمَنَّ عِنْدَنَا

وَإلاَّ فَكُنْ فِي السِّرِّ والجهرِ مُسْلِمَا

يريد الشاعر : أنك غير مخلص في صحبتنا، فظاهرك غير باطنك، فارحل عنا ولا تقم معنا، وإلا فكن على ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من طهارة ونزاهة في السر والعلن

فقد فصلت جملة «لا تقيمن» عن جملة «ارحل» لأن الثانية من الأولى بمنزلة بدل الاشتمال، فالمراد إظهار الكراهة لإقامته.

يقول صاحب المطول : صار قولنا «لا تقم عندى» بحسب العرف حقيقة في إظهار كراهة إقامته وحضوره، حتى إنه كثيرا ما يقال : لا تقم عندى ولا يراد به كفه عن الإقامة، بل مجرد إظهار كراهة حضوره، والتأكيد بالنون دال على كمال هذا المعنى : فصار «لا تقيمن عندنا» دال على كمال إظهار الكراهة لإقامته(١).

---

(٢) المطول ٢٥٥ .

(جـ) أن تكون الثانية بياناً للأولى لخفائها- أى بمنزلة عطف البيان.

كقوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى»(١).

فقد فصلت جملة «قال يا آدم» عن جملة «فوسوس إليه الشيطان» لأنها بمثابة البيان والتفسير للأولى، ففى الأولى خفاء، والثانية بينتها ووضحتها.

يقول الشيخ الدسوقى : «هذه الجملة فيها خفاء» إذ لم تتبين تلك الوسوسة فبينت بقوله : «قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، وأضاف الشجرة للخلد، بادعاء أن الأكل منها سبب خلود الآكل، وعدم موته، ومعنى «وملك لا يبلى» لا يتطرق إليه نقصان، فضلا عن الزوال(٢).

وكقوله تعالى :«وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى»(٣)

فقد فصل بين الجملتين ، لأن الثانية بيان للأولى(٤).

---

(١) طه ١٢٠ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٣ / ٤٧ .

(٣) النجم ٣ ، ٤ .

(٤) الفرق بين البيان والبدل : أن المقصود فى البدل الثانى ، وأن المقصود فى البيان الأول والثانى إيضاح له.

وكقول أبى العلاء :

النَاسُ للناسِ من بَدْوٍ وَحَاضِــرَةٍ
بَعْضٌ لِبَعْضٍ وإنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ

فقد فصلت الجملة الثانية : بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم، لأنها بينت ووضحت الجملة الأولى، لأن كلمة «الناس للناس» فيها غموض وإبهام- كما ترى - فبينته الجملة الثانية، ووضحت المراد بهذا الإسناد.

٢- شبه كمال الإنقطاع : أن تسبق جملة بجملتين، يصح عطفها على إحداهما لوجود مناسبة بينهما، ولا يصح عطفها على الأخرى، لما يترتب على هذا العطف من فساد المعنى.

كقول الشاعر :

وَتظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا
بَدَلاً أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ[١]

فجملة «أراها فى الضلال تهيم» لا يصح عطفها على جملة«وتظن سلمى» مع وجود المناسبة بينهما، لاتحاد المسندين،

---

(١) أراها : بمعنى أظنها ، وأبغى : بمعنى : أطلب ، وتهيم : من هام على وجهه، إذا مشى على غير هدى، والضلال : ضد الهدى وسمى بشبه كمال الإنقطاع لأنه لما كان العطف يوهم أن الجملة الثالثة معطوفة على الثانية صار كأن هناك انقطاع بين الجملة الأولى والثالثة .

فمعنى «أراها» أظنها ، ولكون المسند إليه فى الأولى محبوبا، وفى الثانية محبا، هذا إلى جانب اتفاق الجملتين فى الخبرية.

يقول الشيخ الدسوقى : إنه لو عطف جملة «أراها» على جملة «تظن سلمى» لكان صحيحا، إذ لا مانع من العطف عليه، إذ المعنى حينئذ أن سلمى ، تظن كذا، وأظنها كذا، وهذا المعنى صحيح، ومراد الشاعر، إلا أنه قطعها، ولم يقل : وأراها ، لئلا يتوهم السامع أنها عطف على «أبغى» وحينئذ يفسد المعنى المراد.

إذ المعنى حينئذ أن سلمى ، تظن أننى أبغى بها بدلا، وتظن أيضا أننى أظنها- أيضا- تهيم فى الضلال، وليس هذا مراد الشاعر، لأن مراده، أننى أحكم على سلمى، بأنها أخطأت فى ظنها : أنى أبغى بها بدلا(١).

وكقول الشاعر :

يَقُولُونَ : إنِّى أحملُ الضَّيْمَ عندهُمُ
أَعُوذُ بِرَبِّى أَنْ يُضَامَ نَظِيرِى

فقد فصلت جملة «أعوذ بربى» عن جملة يقولون لئلا يتوهم عطفها على جملة «أحمل» فيكون من مقولهم، فيفسد المعنى.

٤- شبه كمال الاتصال : ويتحقق إذا كانت الجملة الثانية، جوابا لسؤال اقتضته الأولى، ودلت عليه بالفحوى «الذوق».

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٥٠ .

كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : «وما أبرى نفسى إن النفس لأمارة بالسوء»(١) .

أى ما أنزه نفسى عن الزلل، وما أشهد لها بالبراءة .

فقد فصلت جملة «إن النفس لأمارة بالسوء» عن الجملة الأولى، لأنها وقعت جواباً عن سؤال، نشأ من الأولى، فكأنه قيل : لم نفيت البراءة عن نفسك ؟ ألأن النفس أمارة بالسوء؟ فأجيب بأن النفس لأمارة بالسوء فترك العطف، لأن الجواب لا يعطف على السؤال، لشدة ارتباطهما .

يقول الشيخ الدسوقى : فالسؤال المقدر : هل جنس النفس مجبوله على الأمر بالسوء، فلا براءة لهذه النفس الشريفة المزكاه، فأجيب : نعم، إن جنس النفس آمرة بالسوء، مجبولة عليه، فيكون هو السبب لنفى التبرئة (٢) .

وكقوله تعالى : «قال يانوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح(٣)، فجملة ، إنه عمل عير صالح ، جواب عن سؤال، يفهم من الأولى، وهو لماذا لا يكون من أهلى؟ فكان الجواب : إنه عمل غير

---

(١) يوسف ٥٣ .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣/ ٥٩ .

هذا . ولم يكن كمال الاتصال ، لأنه ليس هناك إتحاد فى المعنى، وقد فصل بين الجملتين كما يفصل الجواب عن السؤال ويسمى استئنافا والمراد به استئناف جواب به يتم الكلام.

(٣) هود ٤٦ .

صالح، ولذلك فصلت هذه الجملة، عن الجملة الأولى، لما بينهما من ارتباط شديد ، ارتباط الجواب بالسؤال.

وكقوله تعالى : «قالوا سلاما قال سلام»(١).

كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل : قال سلام.

يقول ابن يعقوب : برفع سلام على أنه مبتدأ حذف خبره، فاستفيد منه أنه حياهم بتحية أحسن، لأن سلامه واقع بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والثبوت ، وسلامهم بالفعلية، لأن نصب لفظ سلام بتقدير الفعل(٢).

وكقول الشاعر :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ   سَــهَرٌ دَائِــمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

والتقدير : أنا عليل ، وحالى سهر دائم وحزن طويل.

فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى ، لأنها واقعة جوابا عن سؤال مقدر، اقتضته الجملة الأولى، وكأن سائلا سأل : ما سبب علتك؟ فأجاب سهر دائم وحزن طويل.

يقول صاحب المطول : إن العادة أنه إذا قيل : فلان عليل ، أن يسأل عن سبب علته، وموجب مرضه.(٣)

---

(١) هود ٦٩ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٦٠ .

(٣) المطول ٢٥٩ -

وكقول أبي تمام :

لَيسَ الحجابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لي أَمَلاً

إنّ السماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ(١)

فقد فصلت جملة «إن السماء» عن جملة «ليس الحجاب» لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى.

وكأن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأول، استشعر أن سائلا سأله: كيف لا يحول حجاب الأمير بينك وبين تحقيق آمالك؟ فأجاب : «إن السماء ترجى حين تحتجب، لأن كثافة الغيوم واحتجاب السماء دليل نزول المطر، وإحياء الأرض(٢).

وكقول أبي العلاء المعري :

وَقَدْ غَرِضْتُ مِنَ الدنيا فَهَلْ زَمَنِي

مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ بعد ما غَرَضَا

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهليهِ فَمَا تَرَكَتْ

لِيَ التَّجارِبُ فِي وُدِّ امرئٍ غَرَضَا(٣)

---

(١) المراد بالحجاب : احتجاب الممدوح عن قاصديه، ومقص : مبعد وتحتجب : تختفي تحت الغيوم .

(٢) المنهاج الواضح ١٣١ .

(٣) غرضت : ضجرت ، والغر : الغافل الذي لا تجربه له، وغرضاً في البيت الأول ضجر، والألف للإطلاق ، وغرضا : في البيت الثاني بمعنى بالحاجة .

يريد أنه ضجر من الدنيا، وسئم العيش فيها، وتمنى أن تنقل حياته إلى غر لم يسأم دنياه، ولم يجرب الحياة بعد، وذلك لأنه جرب الناس وخبرهم فعلم بعد طول التجربة أنه لا أمل فيهم، ولا خير في العيش معهم.

فقد فصلت جملة «جربت دهري» لأنها واقعة في جواب سؤال عن سبب زهده في الدنيا، وكأن سائلا سأل: لم تقول هذا؟ وما الذي دعاك إلى أن تزهد في الدنيا إلى هذا الحد.

وكقول الشاعر:

زَعَمَ العواذلُ أنَّنِي فِي غَمْرَةٍ

صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي(١)

يريد: اتهمني العذال، فزعموا أنني في كرب وشقاء، مما ينتاب قلبي من لوعة الهوى، وقد صدقوا فيما زعموا، بيد أن ما أنا فيه من كرب، لا مطمع في زواله.

فقد فصلت جملة «صدقوا» عن جملة زعم العواذل، لأن الثانية جواب عن سؤال، ناشئ عن الأولى، هو: هل صدقوا في هذا الزعم أم كذبوا؟ فقيل صدقوا.

يقول الإمام عبد القاهر: لما حكى عن العواذل أنهم قالوا: «هو في غمرة، وكان ذلك مما يحرك السامع، لأن يسأله فيقول: فما

---

(١) العواذل: جمع عاذلة: بمعنى: جماعة عاذلة، وزعم: بمعنى قال، والغمرة: الشدة، تنجلي: تنكشف

قولك في ذلك؟ وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه، إذا كان ذلك قد قيل له وصار، كأنه قال : أقول صدقوا، أنا كما قالو، ولكن لا مطمع لهم في فلاحي، ولو قال : زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا، لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسئول وأن كلامه كلام مجيب(١).

وكقول جندب بن عمار :

زَعَمَ العَوَاذِلُ أنّ نَاقَةَ جُنْدُبٍ
بجنوب خَبْتٍ عُرِّيَتْ وَأَجَمَّتِ

كَذَبَ العواذلُ لو رَأَيْنَ مُنَاخَنَا
بالقادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتِ(٢)

يريد : اتهمني العواذل، أني تقاعست، وقعدت عن طلب العلا، ولكنهم كذبوا في زعمهم، فلا زلت جاداً في الطلب.

فقد فصلت جملة «كذب العواذل» عن جملة «زعم العواذل» لأن الثانية جواب سؤال نشأ عن الأولى.

يقول الإمام عبد القاهر : وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف، وتقدير الجواب، تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر فقال :

---

(١) دلائل الإعجاز ١٦٦ .

(٢) جندب : اسم الشاعر ، وهو التفات من التكلم الي الغيبة، وجنوب خبت : اسم موضع ، وعريت : جردت من رحلها، وأجمت تركت ولم تركب، والقادسية مدينة بالعراق، ولج : جد في السير، وذلت : اذقادت له.

كذب العواذل ، ولم يقل «كذبن» وذلك أنه لما أعاد ذكر العواذل ظاهراً ، كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاما مستأنفا ، من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله وأتى فيه مأتى ما ليس قبله كلام(١) .

وكقول الوليد بن يزيد :

عَرَفْتُ المنزلَ الخالي ... عَفَا من بَعْدِ أَحْوَالِ
عَفَاهُ كلُّ حَنَّانٍ ... عَسُوفِ الْوَبْلِ هَطَّالِ(٢)

فقد فصلت جملة «عفاه» عن جملة «عفا» في البيت قبله ، لأنها جواب عن سؤال نشأ عن الأولى .

لأنه لما قال «عفا» وكان العفاء لا يحصل للمنزل بنفسه ، كان مظنه أن يسأل عن الفاعل .

يقول الإمام عبد القاهر : لما قال : «عفا من بعد أحوال» قدر كأنه قيل له : فما عفاه؟ فقال : عفاه كل حنان(٣) .

وكقول المتنبي :

وَمَا عَفَتِ الرياحُ لَهُ مَحَلّاً ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا(٤)

---

(١) دلائل الإعجاز ١٦٦ .

(٢) عفا من بعد أحوال : أي درس وبلي ، بعد ما مرت به أحوال ، نعم فيها بأهله وذوية والحنان : بتشديد النون : السحاب ، وعسوف الوبل شديد المطر .

(٣) دلائل الإعجاز ١٦٨ .

(٤) عفت : محت ، حدا- من الحداء وهو غناء الإبل ، والمحل : الموضع والمقر والمنزل .

فإنه لما نفى العفاء عن الرياح، كان فطنة أن يسأل عن الفاعل، فأجاب : عفاه من حدا بهم.

والمتنبى يريد : لا ذنب للرياح، لأنها لم تدرسه ، ولم تغير منازله، وإنما عفاه الحادى بسكانه، وذلك أنهم لو لم يرحلوا عنه، لما درس الربع(١).

هذا. ومن شبه كمال الاتصال الجمل المفصوله، المبدوءة بلفظ قال : فى القرآن الكريم.

كقوله تعالى : «قال فرعون ومارب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله : ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون، قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين، قال أولو جئتك بشئ مبين ، قال فائت به إن كنت من الصادقين(٢).

يقول الإمام عبد القاهر : جاء ذلك كله- والله أعلم- على تقدير السؤال والجواب، كالذى جرت به العادة فيما بين المخلوقين، فلما كان السامع منا إذا سمع الخبر عن فرعون، بأنه قال : «وما رب العالمين» وقع فى نفسه أن يقول : فما قال موسى؟ أتى قوله : قال رب السموات والأرض، مأتى الجواب مبتدأ مفصولا غير معطوف،

---

(١) ديوان المتنبي شرح العكبري جـ٢ / ٢٩٤ .

(٢) الشعراء ٢٣-٣١ .

وهكذا التقدير والتفسير أبداً فى كل ما جاء فيه لفظ ، قال ، هذا المجئ ، وقد يكون الأمر فى بعض ذلك أشدوضوحاً .

فما هو فى غاية الوضوح قوله تعالى :« قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين »(١) .

وذلك أنه لا يخفى على عاقل ، أنه جاء على معنى الجواب ، وعلى أن ينزل السامعون ، كأنهم قالوا : فما قالوا ، فقيل : «قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين» .

وكذلك قوله عز وجل : «واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ، وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ، قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ، وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، قال ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»(٢) .

التقدير الذى قدرناه من معنى السؤال والجواب بين ظاهر فى ذلك كله(٣) .

---

(١) الحجر ٥٧-٥٨ .   (٢) يس ١٣-٢١ .
(٣) دلائل الإعجاز ١٧٠ .

٥- التوسط بين الكمالين مع وجوب المانع من العطف :

والمراد به : أن تكون الجملتان متناسبتين، ولكن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم الإعرابي.

كقوله تعالى : «وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم»(١).

فجملة «الله يستهزئ بهم» لا يصح عطفها على جملة «إنا معكم: لأنه لو عطف عليه ، لكان من مقول المنافقين، في حين أنه من كلام الله تعالى ، ولا يجوز أن تعطف على جملة «قالوا» لأنه يلزم على ذلك أن يكون استهزاء الله بهم مختصاً بذلك الظرف ، وأن استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال ومن ثم وجب الفصل.

يقول صاحب المطول : إن قولهم «إنا معكم » جملة في محل النصب على أنه مفعول «قالوا» فلو عطف ، الله يستهزئي بهم ، عليها، لزم كونه مشاركا لها في كونه مفعول «قالوا» وهذا باطل، لأنه ليس من مقول المنافقين(٢).

كما يقول الشيخ الدسوقي : إن جملة «قالوا» مقيدة بظرف وهو

---

(١) البقرة ١٤، ١٥.

(٢) المطول ٢٤٨.

«إذا» وتقديم الظرف يفيد الاختصاص، وحينئذ فالمعنى إنهم يقولون «إنا معكم» فى حال خلوهم بشياطينهم، لا فى حال وجود أصحاب محمد ﷺ ، ولو عطف «الله يستهزئ بهم» على جملة «قالوا» للزم أن استهزاء الله بهم ، مختص بذلك الظرف، لإفادة العطف تشريك الجملتين فى الاختصاص به ، فيكون المعنى ؛ لا يستهزئ الله بهم إلا إذا خلوا، فانتفى العطف لأجل أن تنتفى المشاركة فى الاختصاص بذلك الظرف(١) .

وكقوله تعالى : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»(٢) .

فلو عطف قوله «ألا إنهم هم المفسدون» على الجملة قبلها ، لكان من مقولهم وليس منه .

يقول الإمام عبد القاهر : إنما جاء إنهم هم المفسدون، مستأنفا مفتتحاً بـ«ألا» لأنه خبر من الله تعالى ، بأنهم كذلك ، والذى قبله من قوله «إنما نحن مصلحون»حكاية عنهم، فلو عطف للزم عليه الدخول فى الحكاية، ولصار خبراً من اليهود، ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون، ولصار كأنه قيل: «قالوا إنما نحن مصلحون» ، وقالوا إنهم هم المفسدون، وذلك ما لاشك فى فساده.

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣/ ١٩ .
(٢) البقرة ١١ ، ١٢ .

وكذلك قوله تعالى : «وإذا قيل لهم آمنوا كما أمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون»(١) .

ولو عطف «إنهم هم السفهاء» على ما قبله ، لكان يكون قد أدخل فى الحكاية ولصار حديثاً منهم عن أنفسهم بأنهم هم السفهاء ، من بعد أن زعموا أنهم تركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء(٢) .

---

(١) البقرة ١٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ١٦٤ .

مواضع الوصـــل

١ - أن يكون بين الجملتين توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال .

والمراد به : أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاء ، مع وجود الجامع .

كقوله تعالى : «إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم»(١) .

يقول الشيخ الدسوقي : فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى ، والجامع بينهما «التضاد بين المسندين» والمسند إليهما ، لأن الأبرار ضد الفجار ، والكون في النعيم ضد الكون في الجحيم(٢) .

وقوله تعالى : «يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي»(٣) .

فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى ، والتناسب ظاهر فيهما ، فالمسند فيهما واحد ، وبين المسند إليه فيهما تضاد .

وكقوله تعالى : «إنك ميت وإنهم ميتون»(٤) .

فالمناسبة واضحة بين الجملتين .

وكقوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا»(٥) .

---

(١) الانفطار ١٣ ، ١٤ .

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٧١ .

(٣) الروم ١٩ .　　　(٤) الزمر ٣٠ .

(٥) الأعراف ٣١ .

يقول الشيخ الدسوقي : فقوله «واشربوا ولا تسرفوا» جملتان إنشائيتان لفظا ومعنى، معطوفتان على مثلهما، والجامع بينهما، اتحاد المسند إليه في كليهما، وهي الواو، التي هي ضمير المخاطبين، تناسب المسند فيها وهو الأمر بالأكل والشرب وعدم الاسرف، لما بين هذه الثلاثة من التقارب في الخيال، لأن الإنسان إذا تخيل الأكل تخيل الشرب، لتلازمهما عادة، وإذا حضرا في خياله، تخيل مضرة الإسراف[١].

وكقوله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»[٢].

وقوله تعالى : فاسجدوا لله واعبدوا»[٣].

وكقوله تعالى :« فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»[٤].

فهذه الآيات الكريمة: اتحد فيها المسند إليه، ووجدت المناسبة الظاهرة بين المسند فيها، ومن ثم عطفت الجمل الإنشائية فيها بعضها على بعض.

وكقول شوقي: يخاطب الشباب:

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٧١ .

(٢) الأعراف ١٩٩ . (٣) النجم ٦٢ .

(٤) ق ٣٩ .

عَالِجُوا الحكمةَ وَاسْتَشْفُوا بها

وانْشُدُوا ما حَلَّ مِنْهَا في السِّيَرْ(١)

فقد وصل الشاعر بين ثلاث جمل، تتناسب فى أنها مما يتعلق بالحكمة وواجب الشباب نحوها.

وكقولك : ألم آمرك بالاجتهاد، وألم أنهك عن الإهمال والاستفهام للتقرير على معنى : أمرتك بالاجتهاد ونهيتك عن الإهمال، فالجملتان إنشائيتان لفظا وخبريتان معنى.

وكقوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذى أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك» (٢).

فقوله تعالى : ووضعنا عنك وزرك، وقوله تعالى : «ورفعنا لك ذكرك، جملتان خبريتان لفظا ومعنى ، وقد عطفتا على جملة : «ألم نشرح لك صدرك، وهى وإن كان لفظها الإنشاء لأنها مصدرة باستفهام لكن معناها الخبر، والتقدير : قد شرحنا لك صدرك.

وكقوله تعالى : «إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون»(٣).

---

(١) الحكمة : صواب الأمر وسداده ووضع الشئ فى موضعه والسير : جميع سيره ، وهى للإنسان، طريقة سلوكه بين الناس والمراد : تعلموا الحكمة واتخذوها شفاء لأمراضكم واطلبوا ما جاء فيها فى الأخبار السابقة.

(٢) الشرح ١-٤ .

(٣) هود ٥٤ .

فالجملة الثانية «واشهدوا» إنشائية لفظا، خبرية معنى وقد عطفت على الجملة الأولى «أنى أشهد الله» وهى خبرية لفظا ومعنى(١) .

٢- كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المراد :

والمراد به : أن تختلف الجملتان فى الخبر والإنشاء، بيد أن الفصل بينهما يوهم خلاف المراد.

كقولك إذا سألك إنسان : هل تحتاج إلى معاونتى؟

لا وبارك الله فيك.

فالجملة الأولى خبرية قامت «لا» مقامها، لأنها بمعنى : لا أحتاج إلى معاونتك، والجملة الثانية إنشائية، لأنها دعائية بمعنى «اللهم بارك فيك»، فبينهما كمال الانقطاع، لاختلافهما خبراً وإنشاء، وكان الأصل فصلهما، بيد أنه وجب الوصل دفعا للإيهام، إذ لو ترك العطف فقيل :« لا بارك الله فيك، لأوهم أنه دعاءعلى المخاطب، وليس دعاء له .

وكذلك تقول «لا وشفاه الله» لمن سألك : هل شفى محمد من مرضه» فلا يصح ترك العطف ، لئلا يتوهم الدعاء عليك بعدم الشفاء.

يقول ابن يعقوب : قولهم «لا» نفى لمضمون كلام أخبر به أو

---

(٣) جواهر البلاغة ٢٠٠ .

لمسئول عنه، كأن يقال : أنت أسأت إلى فلان، فيقال «لا» أى ما أسأت إليه، ويقال : هل الأمر كما زعم فلان؟ فيقال لا، أى ليس الأمر كما زعم، وقولهم: أيدك الله، دعاء بالتأييد للمخاطب، فلا، تضمنت جملة خبرية، وأيدك الله جملة إنشائية وبينهما كمال الانقطاع، لكن لو لم تعطف الثانية على الجملة المقدرة، وقيل لا أيدك الله، لتوهم أن هذا الكلام دعاء على المخاطب ينفى التأييد، فوجب الوصل، لعطف الثانية على الأولى، لدفع هذا الإيهام (١).

كما يقول الشيخ الدسوقى : إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه، مر برجل فى يده ثوب، فقال له الصديق، أتبيع هذا؟ فقال : لا يرحمك الله فقال له الصديق : لا تقل هكذا ، قل لا ويرحمك الله.

واعلم أن دفع الإيهام لا يتوقف على خصوص العطف، بل لو سكت بعد قوله «لا» وتكلم بما يدفع الاتصال، ثم قال : رحمك الله، أو أيدك الله، من غير عطف، لكان الكلام خاليا من الإيهام ... وقد فصل بعض القراء بين «عوجاً» «وقيماً»(٢) دفعاً لتوهم أن قيما صفة لعوجا، وحينئذ فوجوب الوصل مع كمال الانقطاع مع الإيهام بالنسبة للفصل مع الاتصال (٣).

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٦٧ .

(٢) الكهف ١ ،٢ . فى قوله تعالى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما.

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٦٧ .

هــذا. وهناك ، موضع آخر يجب فيه الوصل ، وهو إذا كان للجملة الأولى ، محل من الأعراب ، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي.

كقوله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون »(١).

فالجملة الأولى : «يقبض» خبر عن المبتدأ ، والمراد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم ، وواضح أن هناك تناسباً بين الجملتين ، فالقبض ضد البسط ، ومن البين : أن الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده.

يقول الإمام عبد القاهر : إنه إذا كان الخبر عنه في الجملتين واحداً .

كقولنا هو يقول ويفعل ، ويضر و وينفع ، ويسئ ، ويحسن ، ويأمر ، وينهى ويحل ويعقد ويأخذ ويعطى ، ويبيع ويشترى ، ويأكل ويشرب ، وأشباه ذلك ، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهوراً ، وكان الأمر حينئذ صريحا .

وذلك أنك إذا قلت : هو يضر وينفع ، كنت قد أفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعا ، وجعلته يفعلهما معاً ، ولو قلت يضر ينفع ، من غير واو ، لم يجب ذلك ، بل قد يجوز أن يكون قولك «ينفع» رجوعاً عن قولك «يضر» وإبطالا له ، وإذا وقع الفعلان في مثل

---

(١) البقرة ٢٤٥ .

هذا فى الصلة، ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور تقدير إفراد فى أحدهما عن الآخر (١).

وكقوله تعالى : «فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء»(٢).

فجملة : لا تسمع الموتى «فى محل رفع لأنها خبر «إن» وجملة «لاتسمع الصم الدعاء» معطوفة عليها، لأنه قصد إشراكها فى الحكم الإعرابى.

وقولك : وقف محمد يتكلم ويشرح، فجملة يشرح فى محل نصب حال لأنها معطوفة على جملة يتكلم.

هذا ويشترط فى قبول العطف بالواو ، وجوب التناسب بين الجملتين.

ومـــن ثم عيب على أبى تمام قوله فى مدح أبى الحسين بن الهيثم :

لَا والّذِى هُـوَ عَالِـمٌ أَنَّ النَّـوَى

صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَـا الحسـينِ كَـرِيمٌ(٣)

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٩ - الاشتباك : الاتصال.

(٢) الروم ٥٢ - المراد : إنك لا تسمع الموتى الذين ألفوا تقليد أسلافهم حتى ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم، ولا تسمع أولئك الصم عن الحق الذين صموا آذانهم وأصروا واستكبروا استكبارا.

(٣) النوى : بالقصر : الفراق، والصبر : بكسر الباء : عصارة شجر مر، وأبو الحسين هو محمد بن الهيثم.

يقول الإمام عبد القاهر : وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ، ومرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر وليس يقتضى الحديث بهذا ، الحديث بذاك[١] .

كما يقول صاحب المطول : إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، سواء كان نواه ، أو نوى غيره ، فهذا العطف غير مقبول ، سواء جعل عطف مفرد على مفرد ، كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة ، باعتبار وقوعه ، موقع مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما جميعا[٢] .

هـــذا . وقد أجيب عن أبى تمام بأن الجامع بين الأمرين شبة التضاد ، لأن مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم ، وهو إلى هذا تحيل للتخلص من النسيب إلى المدح .

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٨ .

(٢) المطول ٢٤٨

فى عطف المفرد على المفرد يكون التقدير : عالم مرارة الفراق وكرم أبى الحسين وفي عطف الجملة على الجملة باعتبار وقوعه موقع المفعولين لعالم الذين أصلهما المبتدأ والخبر .

الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز لغة : الاختصار والتقصير والتقليل .

يقال : أوجز فى كلامه : قلله واختصره .

جاء فى اللسان : كلام وجيز : أى خفيف مختصر .

وأوجزت الكلام قصرته، وأوجز القول والعطاء : قلله(١) .

واصطلاحاً : أداء المعنى المقصود، بعبارة أقل من المتعارف، مع الوفاء بالمعنى . بمعنى زيادة المعنى على اللفظ .

والإيجاز، جم المحاسن، كثير الفوائد، منزلته عالية، ومقامه رفيع فى البلاغة العربية، أشاد به العلماء، وأثنى عليه أرباب البيان .

فقد قيل لبعضهم : ما البلاغة ، فقال : الإيجاز وقيل : وما الإيجاز؟ قال : حذف الفضول(٢)، وتقريب البعيد .

وقيل لبعضهم : لم لا تطيل الشعر؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وقيل للفرزدق : ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال، فقال : لأنى رأيتها فى الصدور أوقع، وفى المحافل أجول(٣) .

وقالت بنت الحطيئة لأبيها : ما بال قصارك أكثر من طوالك؟

---

(١) لسان العرب ، مادة : وجز .

(٢) مازاد عن الحاجة .

(٣) أحسن وأيسر لأنها تسرى بين الناس بسرعة .

فقال : لأنها فى الآذان أولج، وبالأفواه أعلق.

وقيـل لبعض المحدثين : مالك لا تزيد على أربعة واثنين[١]؟ قال : هن بالقلوب أوقع، وإلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق، وللمعانى أجمع، وصاحبها أبلغ وأوجز[٢].

هذا. والإيجاز نوعان : إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

(١) والمراد بإيجاز القصر : ما تزيد فيه المعانى على الألفاظ بدون حذف.

كقوله تعالى : «ولكم فى القصاص حياة»[٣].

فإن معناه كثير، ولفظه قليل، لأن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل، امتنع عن القتل، وفى ذلك سلامته وسلامة غيره.

وفى هذه الآية من بلاغة الإيجاز، ما يقف دونه، قولهم المأثور فى الجاهلية : «القتل أنفى للقتل» من وجوه كثيرة، منها.

١- النص الكريم، أقل حروفاً من القول المأثور، وما كان أقل حروفاً مع الوفاء بالمعنى فهو أبلغ.

٢- تنكير «حياة» يفيد تعظيما، وليس كذلك المثل.

٣- الآية خالية من تكرار لفظ «القتل» الواقع فى المثل، والخالى من التكرار أفضل من المشتمل عليه، وإن لم يكن مخلا بالفصاحة.

---

(١) من الأبيات. (٢) الصناعتين ١٧٩.

(٣) البقرة ١٧٩.

٤- في الآية ، طباق . لأن القصاص يشعر بضد الحياة ، بخلاف المثل .

٥- اشتمال الآية على حروف متلائمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد . بخلاف الخروج من القاف إلى التاء ، فهو غير ملائم ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعد مادون طرف اللسان وأقصى الحلق .

٦- سلامتها من لفظ «القتل» المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ الحياة .

٧- لفظ القصاص مشعر بالمساواة ، فهو منبئ عن العدل ، بخلاف مطلق قتل .

٨- الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما وليس كذلك المثل(١) .

وكقوله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»(٢) .

فإنها جامعة لمكارم الأخلاق ، ففي أخذ العفو ، الصفح عمن أساء والتسامح والرفق ، وفي الأمر بالمعروف ، كف الأذى ، وغض البصر ، وما شاكلهما من المحرمات ، وفي الإعراض عن الجاهلين ، الصبر والأناه ، والحلم ، وغير ذلك من الشيم الطيبة .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن جـ٣ / ٥٤ ، ٥٥ وانظر النكت في إعجاز القرآن ٧٨ .
(٢) الأعراف ١٩٩ .

يقول أبو هلال : جمع جميع مكارم الأخلاق بأسرها، لأن فى العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين.

وفى الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الرحم، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن المحرمات، والتبرؤ من كل قبيح، لأنه لا يجوز أن يأمر بالمعروف، وهو يلابس شيئاً من المنكر.

وفى الإعراض عن الجاهلين، الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه، بما يفسد الدين(١).

وكقوله تعالى : «أولئك لهم الأمن»(٢).

فقد دخل تحت الأمن جميع المحبوبات، لأنه نفى أن يخافوا شيئاً أصلا من الفقر والموت وزوال النعمة، والجور، وغير ذلك من أصناف المكاره.

وكقوله تعالى : «ألا له الخلق والأمر» (٣).

فهما كلمتان استوعبتا جميع الأشياء، على غاية الاستقصاء، وروى أن ابن عمر رحمه الله قرأها، فقال : من بقى له شئ فليطلبه.

وكقوله تعالى : «أخرج منها ماءها ومرعاها» (٤).

فدل بشيئين، على جميع ما أخرجه من الأرض، قوتاً ومتاعاً للناس، من العشب والشجر، والحطب واللباس، والنار والملح والماء لأن النار من العيدان والملح من الماء .

---

(١) الصناعتين ١٨٣ .
(٢) الأنعام ٨٢ .
(٣) الأعراف ٥٤ .
(٤) النازعات ٣١

وكقوله تعالى : «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين» (١).

فقد جمع فيه من نعم الجنة مالا تحصره الأفهام ، ولا تبلغه الأوهام (٢).

وكقوله ﷺ : «الضعيف أمير الركب».

فقد جمع الحديث الشريف من آداب السفر والعطف على الضعيف مالا يسع البليغ إلا الإسهاب فى القول.

وكقول الإمام على كرم الله وجهه «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ وقوله «الناس أعداء لما جهلوا، وقوله : آله(٣) الرياسة سعة الصدر، والمثل العربى «لم يذهب من مالك ما وعظك».

والمراد أنه إذا ضاع من مالك شئ، فحذرك أن يحل بك مثله، فتنبيهه لك، عوض عن ذهابه.

والحكمة المشهورة : «المعدة بيت الداء»(٤).

وكقول السموءل :

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ(٥)

(١) الزخرف ٧١ . (٢) أنظر الصناعتين ١٨٣ . (٣) أساس .
(٤) أى يكمن الداء فى المعدة بسبب ما يوضع فيها من طعام وشراب.
(٥)الضيم : الظلم : وهنا بمعنى المكروة .

يريد الشاعر : أن من طلب حسن الثناء، فعليه أن يتحلى بالصفات الطيبة والخلال الحميدة، من سماحة وشجاعة، وتواضع وحلم، وصبر على الشدائد واحتمال المكاره.

(ب) والمراد بإيجاز الحذف : ما قصد فيه إلى إكثار المعنى، مع حذف شئ من التركيب.

والمحذوف أنواع ، فقد يكون :

حرفاً : كقوله تعالى : «ولم أك بغيا»(١) ، والأصل : ولم أكن حذفت النون تخفيفا.

أو مضافاً . كقوله تعالى : «وجاهدوا فى الله حق جهاده» (٢).

أى فى سبيل الله .

وقوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة» (٣).

أى تناولها، لأن الحكم الشرعى، يتعلق بالأفعال دون الأجرام.

وكقوله تعالى : «لمن كان يرجو الله» (٤)، أى رحمة الله.

وكقوله تعالى : «يخافون ربهم»(٥) ، أى عذابه.

أو مضافاً إليه . كقوله تعالى : «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر»(٦) ، أى بعشر ليالى.

---

(١) مريم ٢٠ .
(٢) الحج ٧٨ .
(٣) المائدة ٣ .
(٤) الأحزاب ٢١ .
(٥) النحل ٥٠ .
(٦) الأعراف ١٤٢ .

وكقوله تعالى : «للّه الأمر من قبل ومن بعد»(١) أى من قبل ذلك ومن بعده.

أو صفة : كقوله تعالى : «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا»(٢).

أى سليمة أو صالحة ، بدليل ما قبله ، وهو قوله تعالى : «فأردت أن أعيبها».

وكقوله تعالى : «يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب»(٣) .

أى وشراب كثير ، فحذف الدلالة عليه(٤) .

أو موصوفا : كقوله تعالى : «وعندهم قاصرات الطرف أتراب»(٥).

أى حور قاصرات الطرف ، لا يتطلعن الى الغير متساوين.

وكقوله تعالى : «ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى اللّه متابا»(٦).

والمراد : وعمل عملا صالحاً .

أو فاعلاً : كقوله تعالى : «فلولا إذا بلغت الحلقوم»(٧).

والمراد : إذا بلغت الروح الحلقوم .

---

(١) الروم ٤ . (٢) الكهف ٧٩ . (٣) ص ٥١ .

(٤) تفسير القرطبى ٥٦٦٣ طبعة الشعب .

(٥) ص ٥٢ . (٦) الفرقان ٧١ .

(٧) الواقعة ٨٣ .

وكقوله تعالى : «كلا إذا بلغت التراقى ، وقيل من راق»(١) .

يقول القرطبى : أى بلغت النفس أو الروح التراقى فأخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به(٢) ، وكقوله تعالى : «حتى توارت بالحجاب»(٣) . يعنى الشمس وتقول العرب : هاجت باردة : أى هاجت الريح باردة .

أو مفعولاً : كقوله تعالى : «وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا»(٤) .

والمراد : هو الذى منه الإحياء والإماتة(٥) .

أو جملة : كقوله تعالى : «وإذ استسقى موسى لقومه، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا(٦)، والتقدير : فضرب فانفجرت .

يقول الشيخ الدسوقى : إنما حذفت إشارة الى سرعة الامتثال، حتى إن أثره، وهو الانفجار، لم يتأخر عن الأمر(٧) .

وكقول المتنبى :

أَتَى الزمانَ بَنوهُ فى شَبيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وأَتَيْنَاهُ علَى الكبرِ(٨)

---

(١) القيامة ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) تفسير القرطبى ٦٩٠٢ .

(٣) ص ٣٢ .

(٤) النجم ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) انظر لباب المعانى القسم الأول ص ٢٤٣ .

(٦) البقرة ٦٠ .

(٧) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ١٩٨ .

(٨) الضمير فى «بنوه» للزمان وأضافهم إليه، لإقباله عليهم ، وشبيبته : أوله وهو مقبل، وهرمه : آخره وهو مدبر .

أى فساءنا

يريد المتنبى : أن الأمم السابقة، كانوا فى جدة الدهر فسرهم، وأتاهم بما يفرحون، ونحن أتيناه، وقد كبر، فلم نجد عنده ما يسرنا ويسعدنا.

أو جواب الشرط: كقوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها»(١).

كأنه قيل : حصلوا على النعيم المقيم، الذى لا يشوبه التنغيص والتكدير، وإنما صار الحذف ، فى مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب، لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان. فحذف الجواب فى قولك، لو رأيت عليا بين الصفين ، أبلغ من الذكر(٢).

وكقوله تعالى : «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» (٣).

فجواب الشرط محذوف، وتقديره : لكان هذا القرآن(٤) .

وقد يكون المحذوف جملا : كقوله تعالى : «اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون، قالت يأيها الملآ إنى لقى إلى كتاب كريم» (٥).

---

(١) الزمر ٧٣ .
(٢) النكت فى إعجاز القرآن.
(٣) الرعد ٣١ .
(٤) تفسير القرطبى ٣٥٤٨ طبعة الشعب.
(٥) النمل ٢٨ ، ٢٩ .

فالمحذوف عدة جمل ، تقديرها : فأخذ الكتاب ، وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته . قالت : يأيها الملآ .

يقول صاحب الإيضاح أى ففعل ذلك ، فأخذت الكتاب ، فقرأته ثم كأن سائلا قال : فماذ قالت ؟ فقيل : قالت يأيها الملأ(١) .

وكقوله تعالى حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز إلى يوسف عليه السلام : «أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون» (٢) ، والتقدير : فأرسلوه إليه ، فأتاه ، وقال له يايوسف .

يقول ابن يعقوب : دليل المحذوف ظاهر ، لأن نداء يوسف يقتضى أنه وصل إليه ، وحذف كل ذلك للاختصار ، للعلم بالمحذوف ، لئلا يكون ذكره تطويلا لعدم ظهور الفائدة فى ذكره مع العلم به(٣) .

والإطناب لغة : مصدر أطنب فى كلامه : بالغ فيه .

يقول ابن الأنبارى : أطنب فى الوصف ، إذا بالغ واجتهد ، وأطنب فى عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة (٤) .

وإصطلاحا : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

وإذا كانت الزيادة بدون فائدة ، سمى تطويلا- إن كانت الزيادة غير معينة- كقول الحطيئة :

---

(١) الإيضاح جـ٣/١٩٣ . (٢) يوسف ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣/٢٠٠ .

(٤) لسان العرب مادة «طنب» .

أَلاَ حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْــــدُ
وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ والبُعْدُ

فقوله «النأى والبعد» تطويل، لأن اللفظين بمعنى واحد، ولا فائدة فى الجمع بينهما، ولم يتعين أحدهما للزيادة.

وكقول عنترة :

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْــدُهُ
أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ (١)

فقد ذكر كلمتين بمعنى واحد، وهما «أقوى، وأقفر» إذ المعنى لكل منهما «خلا» وإحدى الكلمتين زائدة.

وكقول عدى بن زيد العبادى :

وألفـــى قَوْلَهَـــا كَذِبًا وَمَيْنَـــا (٢)

فالمين والكذب بمعنى واحد، ولم يتعين الزائد منهما، ولا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

---

(١) حييت من التحية - تقادم عهده : قدم العهد به وطال- أقوى خلا، أقفر : معناه كمعنى أقوى، فالقواء : فقر الأرض ، ومنه قولهم «أقوت الدار، أى خلت من ساكنيها، فصارت قفرا والطلل ما بقى من آثار الديار، وأم الهيثم : كناية عن عبله- وقيل إن الجمع بين أقوى وأقفر للتأكيد كقول طرفه بن العبد : متى أدن منه ينأ عنى ويبعد.

(٢) الشطر الأول : وَقَدَّدَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشيه ، وقددت : قطعت، والضمير فيه يعود على الزباء، وهى امرأة ورثت الملك عن أبيها، والأديم : الجلد، والراهشان : عرقان فى باطن الذراعين. إذ فصد منهما إنسان مات لساعته .

فالشاعر يريد : أنها قطعت الجلد، حتى وصل القطع إلى الراهشين، وأنه وجد، ما وعدت به، من زواجها منه، كذبا ومينا.

– وكما ترى – ففيه تطويل، لأن الكذب والمين واحد، ولا فائدة في الجمع بينهما.

وإن كان الزائد متعينا، سمى «حشواً»، وهو نوعان : مفسد للمعنى، وغير مفسد له.

فالحشو المفسد كلفظ «الندى» في قول أبي الطيب يرثي غلاما :

وَلَافَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ والنَّدَى

وَصَبْرِ الفتى لولا لقاءُ شَعُوبِ(١)

يقول : إنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر لولا «الموت» وهو حسن جميل لأنهما إنما عدا من الفضائل لما فيهما من الإقدام على الموت، واحتمال المكروه، ولو علم الإنسان أنه لن يموت لم يبال بالمغامرات، وهان عليه اقتحام المخاطر – كما أنه لو أيقن بالخلود وزوال المكروه، لهان عليه الاحتمال والصبر لوثوقه بالخلاص.

أما الندى فعلى العكس من ذلك إذ لو أيقن الإنسان أنه لن يفنى اشتد حرصه على المال مخافة أنه ينفذ، فيصبح صفر اليدين فإذا بذل ماله – والحالة هذه – ثبت له فضل الكرم – بخلاف مالو علم أنه سيموت، ويترك ماله، فإنه حينئذ يستخف به ويهون بذله، ومن

---

(١) الندى : الكرم، شعوب : بفتح الشين : المنية.

ثم لا يظهر لهذا البذل فضل، وحينئذ فنظم «الندى» في سياق الحديث عن الشجاعة والصبر لا يستقيم لفساد المعنى فهو حشو مفسد.

والحشو غير المفسد كلفظ «قبله» من قول زهير بن أبي سلمى من قصيدة في إصلاح ذات البين بين قبيلتي عبس وذبيان :

وَأعلمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنني عَنْ عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِي

يقول إني محيط علما بما مضى، وبما هو حاضر، ولكني جاهل بما استكن في ضمير المستقبل فلا أدرى ماذا عسى أن يكون في الغد، والشاهد في قوله «قبله» فهو حشو ولكنه غير مفسد، أما إنه حشو فلأنه زيادة متعينة لا لفائدة، لأن الأمس مفيد للقبلية إذ هو اليوم الذى قبل يومك، وأما أنه غير مفسد فلأن المعنى لا يفسد بذكره(١).

وكقول الشاعر :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرأسِ والْوَصَبُ

فذكر «الرأس» مع الصداع حشو و لأن الصداع، لا يكون في غير الرأس، بيد أنه غير مفسد، لأن المعنى لا يفسد به.

هذا . وقولهم رأيته بعيني، وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي، وذقته بفمي، وكل هذا يظن الظن أنه زيادة لا حاجة إليها، ويقول إن

---

(١) المنهاج الواضح ١٧٦ .

الرؤية لا تكون إلا بالعين، والقبض لا يكون إلا باليد «والوطء» لا يكون إلا بالقدم والذوق لا يكون إلا بالفم.

وليس الأمر كذلك، بل هذا يقال في كل شئ يعظم مناله، ويعز الوصول اليه، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه، دلالة على نيله، والحصول عليه. كقول البحترى :

تَأَمَّلْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ وانْظُرْ بِعَيْنِكَ مَا شَرِبْتُ وَمَنْ سَقَانِى

تَجِدْ شَمْسَ الضُّحَى تَدْنُو بِشَمْسٍ إِلَىَّ مِنَ الرَّحِيقِ الخُسْرَوَانِى(١)

ولما كان الساقى فى هذا المجلس، على هذه الصفة من الحسن، قال انظر بعينيك.

وعلى هذا ورد قوله تعالى : «ذلكم قولكم بأفواهكم»(٢).

فإن هذا القول لما كان فيه افتراء، عظم الله تعالى الأمر على قائله.

يقول ابن الأثير : ألا ترى الى قوله تعالى فى قصة الإفك «إذ

---

(١) السجف : بفتح السين وكسرها : الستر، والستران بينهما فرجة والخسروانى : نسبة الى شراب منسوب الى خسرو «كسرى» بين أنو شروان، يريد البحترى : تأمل من خلال الستاره وانظر بعينك تجد إنسانا جميلا يشبه شمس الضحى يأتى إلينا بشراب مشرق مثل الشمس.

(٢) الأحزاب ٤ .

تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم، وتحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم(١).

فصرح فى هذه الآية بما أشرت إليه من تعظيم الأمر المقول .

وفى مساق الآية المشار إليها، جاء قوله تعالى : «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل(٢) .

- ألا ترى - أن مساق الكلام أن الإنسان يقول لزوجته :« أنت على كظهر أمى» ويقول لمملوكه «يابنى فضرب الله لذلك مثالا فقال : كيف تكون الزوجة أما؟ وكيف يكون المملوك ابنا؟ والجمع بين الزوجية والأمومة، وبين العبودية والبنوة، فى حالة واحدة كالجمع بين القلبين، فى الجوف، وهذا تعظيم لما قالوه، وإنكار له.

ولما كان الكلام فى حالة الإنكار والتعظيم، أتى بذكر الجوف، ووإلا فقد علم أن القلب لا يكون إلا فى الجوف... لكن فى ذكر الجوف فائدة وهى ما أشرت إليها، وفيها- أيضا- زيادة تصوير للمعنى المقصود، لأنه إذا سمعه المخاطب به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان ذلك أسرع الى إنكاره.

---

(١) النور ١٥ .
(٢) الأحزاب
(٣) النحل ٢٦ .

وعليه ورد قوله تعالى : «فخر عليهم السقف من فوقهم» .

فكما أن القلب، لا يكون إلا فى الجوف، فكذلك السقف لا يكون إلا من فوق، وهذا مقام ترهيب وتخويف، كما أن ذاك مقام إنكار وتعظيم .

ألا ترى الى هذه الآية بكمالها وهى قوله تعالى :« قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد ، فخر عليم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون»(١) .

ولذكر لفظة «فوقهم» فائدة، لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام، وأنت تحس هذا من نفسك، فإنك إذا تلوت هذه الآية ، يخيل إليك أن سقفاً خر على أولئك من فوقهم، وحصل فى نفسك من الرعب، مالا يحصل مع إسقاطه تلك اللفظة، وفى القرآن من هذا النوع كثير(٢) .

هذا . ومن البين أن الحشو والتطويل، يخرجان عن نطاق البلاغة أما الإطناب، فهو لون رفيع القدر من الكلام البليغ، له حسنه وبهاؤه،

وقد أشاد به الرمانى، فى حين عاب التطويل، إذ يقول :

الإطناب بلاغة ، والتطويل عى (٣)، فالإطناب إنما يكون فى

(١) النحل ٢٦ .

(٢) انظر المثل السائر جـ ٢ / ٣٤٦ .

(٣) عى فى منطقة : عيا وعياء : عجز عنه، فلم يستطع بيان مراده منه، يقال : هو عى.

تفصيل المعنى وما يتعلق به فى المواضع التى يحسن فيها ذكر التفصيل.

أما التطويل فعيب وعى، لأنه تكلف فيه الكثير، فيما يكفى منه القليل، فكان كالسالك طريقا بعيدا جهلا منه بالطريق القريب.

وأما الإطناب فليس كذلك، لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً، لما فيه من النزهة الكثيرة، والفوائد العظيمة(١).

كما أثنى على الإطناب أبو هلال، إذا استدعاه المقام، واقتضاه الحال.

قال أصحاب الإطناب: المنطق إنما هو بيان، والبيان، لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه. وأبينه أشده إحاطة بالمعانى، ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة، والعامة، والغبى والفطن.

والقول القصد أن الإيجاز والإطناب، يحتاج إليهما فى جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة الى الإيجاز فى موضعه، كالحاجة الى الإطناب فى مكانه، فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب فى موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز فى موضع الإطناب أخطأ(٢).

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ٧٨.

(٢) الصناعتين ١٩٦.

هذا . وللإطناب طرق كثيرة منها :

١- الإيضاح بعد الإبهام ، أو التفصيل بعد الإجمال .

والمراد به أن يذكر المعنى مجملا مبهما ، ثم يعاد ذكره مفصلا موضحا كقوله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم(١) .

فقد أبهمت التجارة إبهاما يدعو الى الشوق الى معرفتها ، ثم بينت ووضحت بالإيمان والجهاد.

وكقوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال يآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» (٢) .

فالوسوسة مبهمة مجملة ، فصلت بالجملة بعدها قال يأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» توضيحا وبيانا ، أزالا الإبهام».

وكقوله تعالى : «وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين»(٣) .

فإن قوله تعالى : أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، إيضاح للإبهام الذى تضمنه لفظ الأمر تهويلا لشأن عذابهم.

---

(١) الصف ١٠ ، ١١ .

(٢) طه ١٢٠ .

(٣) الحجر ٦٦ .

وكقول النابغة الجعدى :

المرءُ يرغبُ فى الحيا ةِ وطولِ عيشٍ قد يَضُرُّهْ

تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْـ ـقَى بعدَ حُلْوِ العيشِ مُرُّهْ

وَتَسوؤه الأيامُ حتـ ـى مَا يَرى شيئاً يَسُرُّهْ

- وكما ترى - ففى البيت الأول . أجمل ما يناله الإنسان من الضرر، إذا امتد به العمر، وطالت به الحياة، ثم بين ذلك ووضحه فى البيتين التاليين، فزاد المعنى حسناً وبهاء.

هذا . ومن الإيضاح بعد الإبهام أمران :-

الأول أسلوب نعم وبئس، كقولك : نعم صديقاً العلم، وبئس عدواً الجهل، على رأى من يجعل المخصوص «العلم» و ««الجهل» خبرا لمبتدأ محذوف، أى الممدوح العلم، والمذموم الجهل، أو مبتدأ محذوف الخبر، لأن الكلام يكون - حينئذ - جملتين : إحداهما مبهمة، وهى جملة الفعل الدال على المدح أو الذم، والثانية : موضحة ومبينة لها، وهى جملة المخصوص بالمدح أو الذم(١).

ووجه حسن هذا الأسلوب- إلى جانب ما يفيده من الإيضاح بعد الإبهام- أنه يبرز الكلام فى معرض التوسط بين الإيجاز والإطناب، نظراً الى إطنابه من وجه لوجود الإيضاح بعد الإبهام ،

---

(١) أما على قول من يجعل المخصوص مبتدأ، والجملة قبله خبر، فليس مما نحن فيه، لأن التقدير حينئذ : العلم نعم الصديق، والجهل بئس العدو، فليس ثم إبهام، لأن المخصوص مقدم فى التقدير.

وإلى إيجازه من وجه آخر، وهو حذف جزء من جملة المخصوص فليس فيه إطناب محض ولا إيجاز محض.

كما أنه يوهم الجمع بين المتنافين «الإيجاز والإطناب».

يقول ابن يعقوب : وهذان الوجهان : أعنى بروز الكلام فى معوض الاعتدال، وإيهامه أن فيه الجمع بين متنافيين، مفهومهمامختلف، لا شك أن كلا الوجهين مما يستطزب وتستلذه النفس(١).

الثانى : التوشيع : والمراد به : أن يؤتى- فى عجز الكلام غالباً- بمثنى مفسر باسمين. ثانيهما معطوف على الأول- أو يجمع مفسر بأسماء معطوف بعضها على بعض.

مثل : يشيب ابن آدم، ويشب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل.

وقولهم : العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان.

وقولهم : عليك بالشفاءين : القرآن والعسل.

وقولهم : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال.

وكقول البحترى :

لَمَّا مَشَيْنَ بِـذِى الأَرَاكِ تَشَابَهَتْ
أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وقُدُودِ(٢)

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢١٥ .

(٢) الأعطاف : جمع عطف، وهو الجانب ، والقضبان : جمع قضيب ، وهو الغصن والقدود جمع قد، وهو القامة، وذو الأراك، واد قرب مكة .

فــى حُلَّتَىْ حِبَــرٍ وَرَوْضٍ فالتقى

وَشْيَانِ : وشىُ رُبىً وَوَشْىُ بُرُودِ(١)

وَســـفَرْنَ فَامْتَلأتْ عُيُونٌ رَاقَهَــا

وَرْدَانِ : وردُ جَنــىً وورد خُدُودِ(٢)

وكقول ابن الرومى :

إذا أَبــو قَــاسِمٍ جَــادَتْ لَنَا يَــدُهُ

لَمْ يُحْمَدِ الأَجْوَدَانِ : البحرُ والمطرُ

وإنْ أضَاءَت لَنَــا أَنْــوارُ غُرَّتِــهِ

تَضَاءَلَ النيِّرَانِ : الشمسُ والقمرُ

وكقولك : محمد يتحلى بثلاث خلال حميدة، الخلق الكريم، والأدب الجم، والذوق الرفيع.

هذا – وكما ترى – رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة والأخرى موضحة مبينة، أمر مستحسن، لأنه كرؤية الحسناء فى لباسين، كما أن إدراك الشئ مجملا ثم إدراكه مفصلا علمان،

---

(١) الحبر : على زنه «عنب» جمع حبره، وهى ضرب من برود اليمن، والوشى النقش والربا : جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض، والبرود جمع برد، وهو كساء مخطط.

(٢) سفرن : أظهرن الوجوه، والجنى مصدر : جنى الثمر : تناولة من شجرة، وورد خدود : من إضافة المشبه به المشبه.

وعلمان خير من علم واحد ، كذلك فإن الإيضاح والإبهام، يمكن المعنى في النفس، لأن المعنى إذا ألقى مجملا، تشوقت النفس الى معرفته، على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه الى ما يرد بعد ذلك، فإذا جاء تمكن فيها وكان شعورها به أتم وأوفى .

يقول ابن يعقوب : إحدى الصورتين ما أوجب فهمه على وجه الإبهام والأخرى ما أوجب فهمه على وجه الوضوح، وإدراك الشئ من جهة الإبهام، ثم إدراكه من جهة التفصيل إدراكان، والإدراكان علمان ، وعلمان خير من علم واحد.

وأصل هذا الكلام أن رجلا نبه ابنه على شأن الطريق، لما سلك به طريقاً غير ما ينبغي، فقال له ابنه : إني عالم، فقال ذلك الرجل : علمان خير من علم واحد ، أى إضافة علم الى علمك(١) .

٢- ذكر الخاص بعد العام : كقوله تعالى :«حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»(٢) .

فقد خص الصلاة الوسطى بالذكر لزيادة فضلها .

وكقوله تعالى : «تنزل الملائكة والروح فيها» (٣) .

فالروح جبريل عليه السلام، وقد خص بالذكر ، بعد أن ذكر في جملة الملائكة، لأنه واحد منهم ؛ لشرفه وعلو منزلته.

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٧ .

(٢) البقرة ٢٣٨ .

(٣) القدر ٤ .

وكقوله تعالى :« من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين »(١) .

فجبريل وميكال ، داخلان فى ضمن الملائكة ولكنهما خصا بالذكر لفضلهما وشرفهما .

وكقوله تعالى : «ولتكن منكم أمه يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٢) .

فإن الدعاء إلى الخير أعم من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، داخلان فى عموم الدعوة إلى الخير بيد أنهما خصا بالذكر ، لمكانهما السامى من الشرف والفضل .

هذا . والنكتة البلاغية- فى ذكر الخاص بعد العام- التنبيه على فضل الخاص ومزيته .

يقول ابن يعقوب : لأن ذكره منفردا ، بعد دخوله فيما قبله ، إنما يكون لمزية فيه ، حتى كأنه ليس من جنسه(٣) .

٣- ذكر العام بعد الخاص : كقوله تعالى : رب أغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات »(٤) .

فنوح عليه السلام ، طلب المغفرة له ولوالدية ، ولمن دخل بيته

---

(١) البقرة ٩٨ . (٢) آل عمران ١٠٤ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢١٧ .

(٤) نوح ٢٨ .

مؤمناً وبهذا يكون قد ذكر مرتين، مرة منفرداً، ومرة ضمن المؤمنين والمؤمنات وذلك للعناية به والاهتمام بذكره.

- وكما ترى - فالنكتة البلاغية : إفادة العموم ، مع العناية بشأن الخاص.

٤- التكرير : وهو : ذكر الشئ مرتين، أو أكثر، لأغراض بلاغيه منها :

(أ) تأكيد المعنى، وتقريره في نفس السامع :

كقوله تعالى : « كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون»(١).

فقد أكد الإنذار بتكريره، ليكون تأثيره أشد، وتخويفه أقوى.

يقول ابن يعقوب : كلا للردع والزجر وهى هنا للردع والزجر عن الانهماك في الدنيا، والتنبيه على الخطأ فى الشغل بها عن الآخرة، وقوله تعالى : «سوف تعلمون ، إنذار وتخويف، أى ستعلمون ما أنتم عليه من الخطأ، إذا عانيتم ما أمامكم من لقاء الله تعالى ، وأهوال المحشر ، وتكراره بالعطف إنما هو لتأكيد هذا الإنذار، المناسب تأكيده إذ لعل الانزجار والشغل بالآخرة الدائمة، يقع به قبل الفوات(٢).

هــذا. وقد تكررت في بعض سور القرآن الكريم، آيات في

---

(١) التكاثر ٣ ، ٤ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢١٨ .

التحذير، كما فى سورة «المرسلات»، فقد تكررت فيها آية «فويل يومئذ للمكذبين».

كذلك كررت آية «فكيف كان عذابى ونذر» فى مواضع مختلفة من سورة القمر للإنذار والتحذير.

وكررت آية «فبأى آلاء ربكما تكذبان» كثيراً فى سورة الرحمن، للتذكير بنعم الله التى لا تحصى.

فإن قيل: قد عقب بهذا القول ماليس بنعمة، كما فى قوله تعالى: يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران(١).

وقوله تعالى: «هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن»(٢).

قلنا: العذاب وجهنم، وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى، فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصى، والترغيب فى الطاعات من آلائه تعالى(٣).

(ب) والترغيب فى قبول النصح:

كقوله تعالى: وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد. ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار»(٤).

---

(١) الرحمن ٣٥.
(٢) الرحمن ٤٣ - ٤٤.
(٣) الإيضاح جـ ٢ / ١٥٤.
(٤) غافر ٣٨، ٣٩.

فقد كرر «ياقوم» ترغيبا لهم فى قبول النصح وحملهم على قبول الرشاد.

(جـ) وقد يكرر اللفظ لطول الكلام: كقوله تعالى «ثم إن ربك الذين هاجروا بعد ما فتنوا، ثم جاهدوا وصبروا، إن ربك من بعدها لغفور رحيم»(١).

فقد كررت «إن واسمها» لطول الفصل، خشية أن يكون الذهن قد غفل عما ذكر أولاً.

(د) وقصد الاستيعاب: كقولك: قرأت الكتاب باباً باباً، وسطرا سطراً وفهمته كلمة كلمة، وحرفا حرفا، فالغرض من التكرار، إفادة المخاطب أن الكتاب استوعب قراءة وفهما.

(هـ) والغبطة بذكره: **كقول الشاعر**:

سَقَى اللهُ نَجْداً والسلامُ على نَجْـدِ

وَيَاحَبَّذَا نَجْدٌ على القربِ والبعدِ

٥- الاحتراس: وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم- ويسمى أيضا «التكميل» لتكمليه المعنى بدفع إيهام خلاف المقصود. كقوله تعالى: «اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء»(٢).

---

(١) النحل ١١٩.

(٢) القصص ٣٢. - من غير سوء أى من غير مرض- فكانت تخرج وفيها إشعاع كشعاع الشمس.

فقوله تعالى : «من غير سوء» احتراس ليبين أن هذا البياض ليس لمرض.

وكقوله تعالى : « فسوف يأتى اللّه يقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »(١).

فقوله تعالى : « أعزة على الكافرين أى أشداء أقوياء على الكافرين وهى «احتراس» دفع به توهم أن وصفهم بالذلة، لضعفهم وهوانهم من حيث إن شأن المتذلل، أن يكون ضعيفا مهينا، فاللّه سبحانه، بين أن تذللهم للمؤمنين، ليس ضعفا ومسكنه، وإنما هو تواضع منهم للمؤمنين، وعطف عليهم، وشفقة بهم ، بدليل أنهم على الكافرين أعزة .

يقول ابن يعقوب : إن الوصف بالذل للمؤمنين، ولو كان القصد به المدح بما يدل على موالاة المؤمنين ، ومعاملتهم بما يرضيهم، ولكن ربما يتوهم نظراً إلى ظاهر لفظ الذل. من غير مراعاه قرينة المدح، أن ذلك لضعفهم وانتفاء قوتهم، فدفع ذلك التوهم بقوله «أعزة على الكافرين» فأفاد لهم القوة والعزة، وذلك بستلزم أن ذلتهم للمؤمنين، لتواضع منهم لهم وليس ذلك من ضعفهم ونفى قوتهم، والتواضع إنما يكون من رفعه، وإنما يكون بدونها الضعة، لا للتواضع، وإذا كان التواضع عن رفعه، فالذلة التى وصفوا بها، ناشئة عن العطف والرحمة(٢) .

---

(١) المائدة ٥٤ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٣٤ . - المتواضع من كان ذا درجة عالية ومنزلة رفيعه- فالتواضع يكون من رفعه والذلة تكون من مهانة .

وكقول طرفة بن العبد :

فَسَقَى دِيَارَكَ - غيْرَ مُفْسِدِهَا -

صوبُ الربيعِ وديمةٌ تَهْمِي(١)

فقول طرفة - غير مفسدها - احتراس ، لأن المطر المسترسل، قد يخرب الديار، ويقضي على العمران.

يقول ابن يعقوب : لما كان نزول المطر قد يؤدى الى الفساد بدوامه، كما يومىء، لذلك قوله «ديمة» لأنها هى المطر الدائم، زاد قوله «غير مفسدها» دفعاً لذلك(٢).

وكقول ابن المعتز :

صَبَبْنَا عليها- ظالمينَ - سِيَاطَنَا

فَطَارتْ بها أيدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

فقد احترس ابن المعتز بقوله «ظالمين» عما يوهمه الكلام من أن هذه الفرس بليدة ، فقوله «صبينا عليها سياطنا» يوهم أنها فى حاجة الى هذه السياط، التى تصب عليها، بيد أن ابن المعتز رفع هذا التوهم بقوله ظالمين، أى أنها مظلومة فى ضربها بالسياط لأنها فرس نجيبة(٣)

---

(١) المراد بالربيع : المطر وصوبه : انصبابه، والديمة المطر المسترسل الدائم ، وتهمى بفتح التاء : من همى الدمع أو الماء إذا سال، وغير مفسدها حال من فاعل سقى، وهو صوب الربيع .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٣٢ .

(٣) الضمير فى «عليها» للفرس، وفى «بها» للسياط، على معنى السببية .

وكقول المتنبى فى وصف الحمى :

أُرَاقِبُ وقتها- مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ-
مُرَاقَبَةَ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ(١)

يريد : انتظر وقت مجيئها ، كما ينتظر المشوق مجئ حبيبه ، بيد أنى أراقب وقتها خوفا لا شوقا ، ورهبة لا رغبة .

فقوله : من غير شوق- احتراس حسن .

وكقول كثير عزة :

لو أَنَّ عزةَ خاصمتْ شمسَ الضُّحَى
فى الحسنِ- عند مُوَفَّقٍ- لَقَضَى لَها(٢)

يريد : عند حاكم موفق ، فقوله : « عند موفق - احتراس ، لدفع توهم أن الحكم غير صحيح .

وكقول السموءل :

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ
وَلَا طُلَّ مِنَّا حيثُ كَانَ قتيلُ(٣)

فالشاعر يصف قومه بالبسالة والإقدام ، وأنهم لا يموتون إلا فى

---

(١) المشوق : المشتاق - المستهام : الذى تغير لونه .

(٢) لقضى لها حكم .

(٣) طل القتيل : أهدر دمه ، ولم يقتص له .

ميادين القتال، وأنهم لا يتركون دماً يراق، دون أن يثأروا به وينتقموا له أشد الانتقام.

– وكما ترى – فلو اقتصر الشاعر، على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم ، فأزال هذا الوهم، بوصفهم بالانتصار عن قاتلهم ، في قوله : «ولا طل منا حيث كان قتيل».

وكقول المتنبي :

أَشَدَّ من الرِّيَاحِ الهُـــوجِ بَطْشاً

وَأَسرعُ في النَّدَى منها هُبُوبًا(١)

يريد المتنبي أن الممدوح، في بطشه أشد من الرياح الشديدة، كما أنه أسرع منها في البذل والعطاء.

وقوله : – وأسرع في الندى في هبوبها– احتراس لدفع توهم أنه عنف كله، لا لطف فيه ولا وداعة .

وكقول كعب بن سعد الغنوي "

حَلِيمٌ – إذَا ما الحلمُ زَيَّنَ أَهلَــهُ–

مَعَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ(٢)

---

(١) الندى : الكرم، والهوج جمع هوجاء ، وهي الريح العاصفة التي تقتلع الأشجار وتهدم البيوت لشدتها.

(٢) حليم : خبر مبتدأ تقديره هو .

يريد الشاعر أنه لا يحلم إلا فى موطن الحلم، وأنه مهيب مع الحلم فى عين العدو.

فلو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز، فلم يكن صفة مدح، ومن ثم قال: إذا ما الحلم زين أهله- فأزال هذا الوهم.

هذا. وبقية البيت تأكيد لما فهم من قوله: «إذا ما الحلم زين أهله» من كونه غير حليم، حين لا يكون الحلم زينا لأهله، فإن من لا يكون حليما حين لا يحسن الحلم لأهله،، يكون مهيباً فى عين العدو لا محالة(١).

وكقول المتنبى :

غَيْرَ اختيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِى

والجوعُ يُرْضِى الأسوَدَ بِالجِيَفِ

يريد: قبلت برك اضطراراً لا اختيارا، فالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها دفعا لألم الجوع، وهذا لا يقدح فى كبريائه.

فقوله « غير اختيار» احتراس لدفع توهم أن قبول البر كان عن رضا.

٦- التذييل: تعقيب الجملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها التأكيد.

---

(٢) الإيضاح جـ٢/ ١٦١.

يقول أبو هلال العسكرى : التذييل هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه.

وللتذميل فى الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحا، والمقصد اتضاحا(١).

وهو نوعان :

الأول : ضرب يجرى مجرى المثل، وذلك بأن يقصد بالجملة الثانية حكم مستقل عما قبله، جار مجرى الأمثال فى الاستقلال وفشو الأستعمال.

كقوله تعالى : «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»(٢)، فقوله تعالى «إن الباطل كان زهوقا» تذييل أتى به لتأكيد الجملة فبله، وهو جار مجرى المثل لاستقلاله عما قبله، وقد أكدت الجملة الثانية «بإن» لما فى التأكيد من مزيد الزجر عن الأخذ بالباطل.

يقول ابن يعقوب : لا يخفى أن الجملة الثانية، إن الباطل كان زهوقا، لا توقف لمعناها على الأولى، وقد تضمنت معنى الأولى، وهو «زهوق الباطل» أى اضمحلاله وذهابه(٣).

---

(١) الصناعتين ٣٨٧.

(٢) الإسراء ٨١ - زهق الباطل : بطل الكفر - زهوقا : مضمحلا ذائلا.

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢٨.

وكقول النابغة الذبياني ، يخاطب النعمان بن المنذر :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ

عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المهذبُ(١)

يريد النابغة : إذا لم تصاحب أخاك على ما فيه من عيب ، لم يبق لك صديق إذ لا تجد المهذب الخالص من كل عيب .

فمفهوم قوله : «ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، نفى الكمال عن الرجال ، إذ ليس فيهم المبرأ من العيوب ، المنزة عن الخطأ .

وقوله : «أى الرجال المهذب ، تذييل جاء تأكيدا لذلك المفهوم ، لأنه فى معنى قولك : ليس فى الرجال مهذب كامل

يقول صاحب المطول : فصدر البيت دل بمفهومة على نفى الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك ، وتقرير ، لأن الاستفهام فيه للإنكار ، أى لا مهذب فى الرجال(٢) .

وكقول الحطيئة :

تَزُورُ فَتًى يُعطِى عَلَى الحمدِ مالَهُ

وَمَنْ يُعْطِ أثمانَ المكارمِ يُحْمَدِ(٣)

---

(١) لا تلمه : لا تضمه أو لا تصلحه- استبقاء : عفى عن زلله فبقيت مودته ، الشعث : انتشار الشعر لقلة تعهده بالتسريح ، والمراد هنا : العيب والاستفهام انكارى ، بمعنى النفى .

(٢) المطول ٢٩٥ .

(٣) الضمير فى تزور لناقته ، والمراد بالحمد : الثناء عليه ، وبالمكارم : المحامد من الشعراء له.

يريد : تزور رجلا سخياً ، يعطى الجزيل لمن استجداه مثنياً عليه ، ومن لا يرد ذا حاجة ، يكون موضع الحمد والثناء .

فالشطر الثانى : تذييل أكد به ما فهم من الشطر الأول .

هذا . وكما رأيت فالتذييل إما لتأكيد منطوق الجملة الأولى كأن تشترك ألفاظ الجملتين فى مادة واحدة ، مع اختلاف نسبتهما[١] كأن تكون مثلا ، إحداهما فعلية ، والأخرى اسمية ، كالآية الكريمة «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»[٢] ، فإن قوله تعالى «إن الباطل كان زهوقا» تذييل مؤكد لمنطوق قوله : «وزهق الباطل ، فألفاظ الجملتين مشتركة فى مادة واحدة .

وإما لتأكيد مفهوم الأولى . بمعنى ألا تشترك ألفاظ الجملتين فى مادة واحدة ، كقول النابغة : ولست بمستبق ... »البيت .

فقوله : أى الرجال المهذب ، تأكيد لما فهم من الكلام قبله .

وقول الحطيئة : تزور فتى ... »البيت فإن عجزه مؤكد لمفهوم صدره ، .

الثانى مالا يجرى مجرى المثل ، بمعنى أنه لا يستقل بمعناه ، وإنما يتوقف عما قبله .

كقوله تعالى : «فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم

---

(١) فإن كانت ألفاظ الأولى هى بذاتها ألفاظ الثانية ، لم يكن تذييلا ، كقوله تعالى : «كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ، التكاثر ٣,٤ وإنما يكون تكررا .

(٢) الإسراء ٨١

بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور»(١).

فقوله تعالى : وهل نجازى إلا الكفور، تذييل، غير جار مجرى المثل، لأنه غير مستغن فى معناه، عما قبله، فالمراد : وهل نجازى ذلك الجزاء الذى ذكرناه إلا الكفور.

يقول ابن يعقوب : إنما يكون هذا المثال، من هذا الضرب، على وجه، وهو أن يجعل المعنى: وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص، وهو إرسال سيل العرم، وتبديل الجنتين إلا الكفور، مثل آل سبأ، لأنه إن تؤول على هذا الوجه، ارتبط معنى، وهل يجازى إلا الكفور، حيث أريد الجزاء المعين، بما قبله، فلا يجرى مجرى المثل فى الاستقلال(٢).

وكقول ابن نباته السعدى :

---

(١) سبأ ١٦، ١٧.

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢٦ . هذا. ويقول الزمخشرى: إن فى الآية وجها آخر: وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة، يستعمل تارة فى معنى المعاقبة، وأخرى فى معنى الإثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قولهم- جزيناهم بما كفروا- بمعنى عاقبناهم بكفرهم، قيل : وهل يجازى إلا الكفور، بمعنى : هل يعاقب، الكشاف جـ٣ / ٢٨٥ .

ويرى الشيخ الدسوقى : أن كلا من الإطلاقين يصح، أن يكون التذييل فى الآية معه، من الضرب الأول، وأن يكون من الضرب الثانى - حاشية الدسوقى جـ ٣ / ٢٢٧ .

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَـيْئاً أُؤَمِّلُـهُ

تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدنيَا بِلَا أَمَلِ(١)

يريد : قد غمرنى عطاؤك الكثير ، فلم أعد أشعر بشى ينقصنى فى هذه الحياة .

- وكما ترى- فالشطر الثانى ، تذييل للشطر الأول ، مؤكد لما فهم منه ، ولم يجر التذييل مجرى المثل ، لارتباطه بما قبله .

وكقول ربيعة بن مقروم الضبى

فَدَعَوْا نزالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَـازِلٍ

وَعَـلَامَ أَرْكَـبُـهُ إِذَا لَـمْ أَنْـزِلِ(٢)

والتذييل فى قوله : «وعلام أركبه إذا لم أنزل ، فهو لا يستغنى عما قبله فى إفادة المعنى- يريد طلبوا النزول الى ميدان الحرب فلبيت النداء وقد ركبت الفرس لخوض غمار الحرب .

وكقول المتنبى :

وَمَا حَاجَةُ الأظعانِ حولكَ فى الدُّجَى

إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِمُهُ(٣)

---

(١) أصحب الدنيا : أعيش فيها .

(٢) نزال : اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، والمراد : النزول الى الحرب ، والضمير فى «أركبه» يعود على فرسه .

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج ، والدجى : جمع دجية وعى الظلمة ، وعادمة : فاقده : وما : نافية .

يريد : أن المسافرين لا يحتاجون الى ضوء القمر بالليل، وأنت معهم، فإن من وجدك لم يعدم القمر، فأنت تقومين مقام البدر إذا غاب.

والتذييل في قوله : ما واجد لك عادمه، وهو مرتبط بما قبله وكقوله أيضاً :

تُمْسِي الأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِه

فَمَا يَقُولُ لشيءٍ : لَيْتَ ذَلِكَ لِي(١)

يريد المتنبى : لا تصل الأماني الى قلبه فتستميله، ولا الى لسانه فتجرى عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً، فلا يرى نفيسا إلا وله خير منه، أو صار له ذلك الشئ فالأماني تقصر عن بلوغ قدره، وتصغر عند جلالة أمره، وتمسى صرعى دون إدراك مجده، فما يتمنى في الرفعة أكثر مما قد بلغه (٢).

والتذييل في قوله : «فما يقول لشئ ليت ذلك لي» وهو لا يستقل بمعناه، ويحتاج الى ماقبله.

وإنما كان المتوقف على ما قبله ، لا يخرج مخرج المثل، لأن المثل من شأنه أن يكون مستقلا، إذ هو كلام تام، نقل عن أصل استعماله، إلى كل ما يشبه حال الاستعمال.

---

(١) الأماني :: جمع أمنية، وهي ما يتمنى ويطلب ، وصرعى جمع صريع من صرعه- بمعنى طرحه على الأرض، ودون مبلغه : أى دون بلوغه لها، بمعنى قبل بلوغه لها.

(٢) ديوان المتنبى : بشرح أبي البقاء العكبرى.

هذا وقد اجتمع النوعان فى قوله تعالى : «وما جعل لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت»(١) .

فجملة «أفإن مت فهو الخالدون ، تذييل غير جار مجرى المثل ، وجملة «كل نفس ذائقة الموت» تذييل جار مجرى المثل .

يقول ابن يعقوب : فجملة «كل نفس ذائقة الموت» مما يجرى مجرى المثل لاستقلالها ، وذلك ظاهر .

وجملة «أفإن مت فهم الخالدون» «تذييل غير جا ر مجرى المثل» ، لارتباطها بما قبلهـــا ، لأن الفاء للترتيب على ما تقضيه الأولى ، إذ كأنه يقال أينتفى ذلك الحكم الذى هو أن لا خلود لبشر ، بالنسبة إليهم فيترتب أنك إن مت فهم الخالدون ، والاستفهام لإنكار ، أى لا ينتفى ذلك الحكم ، فلا يترتب أنك إن مت فهم الخالدون»(٢) .

٧- الإيغال : هو ختم الكلام بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها مفردا كان أو جملة .

يقول الشيخ الدسوقى : تسمية المعنى الاصطلاحى إيغالا ، لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى المراد ، وبلغ زيادة عنه ، ويحتمل أنه مأخوذ من توغل فى الأرض ، سافر فيها ، وعلى هذا فيكون تسمية المعنى الاصطلاحى إيغالا ، لكون المتكلم أو الشاعر توغل فى الفكر ، حتى

---

(١) الأنبياء ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢٨ .

استخرج سجعة أو قافية، تفيد معنى زائدا على أصل معنى الكلام(١).

وهذه الفائدة، تتنوع الى أمور، منها :

(١) زيادة الحث والترغيب : كقوله تعالى :« قال ياقوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»(٢).

فقوله تعالى : «وهم مهتدون» إيغال، لأن المعنى يتم بدونه فالرسل عليهم السلام مهتدون قطعا، فذكره تصريح بما هو معلوم.

بيد أن التصريح بوصف الاهتداء يحفزهم إلى اتباعهم والترغيب فيهم.

يقول الشيخ الدسوقى : فالنكتة فى الإيغال الكائن فى هذه الآية، زيادة الحث على الاتباع، وأما أصل الحث والترغيب، فقد حصل بقوله :«اتبعوا المرسلين، لدلالته على اهتدائهم، وطلب اتباعهم، وإنما كان قوله «وهم مهتدون» مفيد الزيادة الحث على الاتباع من جهة التصريح بوصفهم الذى هو الاهتداء، فإن التصريح بالوصف المقتضى للاتباع فيه مزيد التأثير على ذكره ضمنا(٣).

---

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢٠ .

(٢) يس ٢٠، ٢١ .

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢٤ .

(ب) والمبالغة فى التشبيه : كقول الخنساء :

وَإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بِــــهِ   كأنــهُ عَلَمٌ فى رأسِهِ نارُ(١)

فقول الخنساء : «فى رأسه نار» إيغال، لأن قولها، «كأنه علم» واف بالمقصود، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، فزيد عليه «فى رأسه نار» لزيادة المبالغة فى التشبيه.

يقول الشيخ الدسوقى : إن فى تشبيهها صخراً بالجبل المرتفع الذى هو أظهر المحسوسات فى الاهتداء به مبالغة فى ظهوره، والاهتداء به، ثم زادت فى المبالغة بوصفها العلم، بكونه فى رأسه نار، فإن وصف العلم المهتدى به، بوجود نار على رأسه، أبلغ فى ظهوره على الاهتداء(٢).

كما يقول المبرد : جعلت المهتدى يأتم به، وجعلته كنار فى رأس علم(٣).

وكقول ذى الرمة :

قِفْ العيسَ فى اطلالِ مَيَّــةَ واسألْ

رُسُومًا كَأخلاقِ الرداءِ المسلسلِ

---

(١) تأتم ، تقتدى ، والهداة : الدين يهدون الناس ، وإذا اقتدى الهداة به فالمهتدون بهم من باب أولى، والعلم ، الجبل، رأسه، قمته، والضمير فى رأسه يعود على العلم.

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٢١ .

(٣) الكامل جـ٣ / ٤٦ .

أَظنُّ الذى يُجْدِى عليك سؤالُها

دموعاً كتبذيرِ الجمانِ المفصَّلِ(١)

يريد : أنها لا تجيب سؤاله، ولا يجد ما يخف عنه سوى ذرف الدموع.

وكما ترى : فقد تم التشبيه عند الرداء فى البيت الأول، والجمان فى البيت الثانى، بيد أن الشاعر أتى بالمسلسل والمفصل، لزيادة المبالغة فى التشبيه.

(جـ) وتحقيق التشبيه : والتساوى بين الطرفين فى وجه الشبة.

كقول امرئ القيس :

حملتُ رُدَيْنِيّاً كأنَّ سِنَانَهُ

سَنَا لَهَبٍ لم يَتَّصِلْ بِدُخَانِ(٢)

فقوله : «لم يتصل بدخان» إيغال ، أتى الشاعر به، ليسوى بين الطرفين فى وجه الشبه، لأن بريق سنان الريح لا لهب فيه.

---

(١) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف، الأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار، المسلسل : الردئ النسج، يجدى : يعطى ، التبذير : التفريق، الجمان المفصل ، اللؤلؤ المنظم.

(٢) الردينى : رمح منسوب الى رديئه، وهى امرأة مشهورة بتقويم الرماح، سنا اللهب، ضوؤه، فالشاعر يشبه بريق سنانه بضوء اللهب.

وكما ترى ، فقد لاحظ الشاعر فى نفسه أوصاف المشبه به وهو «شعلة النار» من ناحية الشكل واللون واللمعان والاضطراب ، فإذا بها كفيلة بتحقيق الشبه بين الطرفين ، ثم رأى بعد التروى ، أن فى المشبه به شيئاً يقدح فى تحقيق وجه الشبه ، وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة ، وأن ليس فى رأس السنان ما يشبه ذلك ، فكان مقتضى التحقيق والدقة أن يستثنى الدخان ، وينفى اتصاله باللهب ويقصر التشبيه على مجرد السنا ، مقطوعا عن الدخان(١) .

وكقول امرئ القيس أيضاً :

كأنَّ عُيونَ الوحشِ حــولَ خِبائِنا

وأرحُلِنا الجزعُ الذى لم يُثقَّبِ(٢)

فامرؤ القيس : يريد أنهم يصطادون الوحوش ، ويأكلونها ، ويطرحون عيونها حول أخبيتهم ، وهى أشبه بشئ بالجزع غير المثقب .

فقوله : لم يثقب ، إيغال ، وقد اتى به الشاعر تحقيقا للتشبيه وبيانا لتساوى الطرفين فى وجه الشبه ، فإن تشبيه عيون الوحش بعد موتها بالجزع ظاهر ، فإذا كان الجزع مثقبا ، كان هناك بعض المخالفة لأن عيون الوحش ليست مثقبة ، فزاد «لم يثقب» لتحقق التشبيه .

---

(١) البلاغة التطبيقية ٨٠ .

٢) الوحش : يريد به بقر الوحش أو الظباء ، والخباء : خيمة تصنع من وبر أو صوف ، وتقام على عمودين أو ثلاثة ، فإذا زادت الأعمدة على ذلك سمى الخباء بيتا والجزع : خرز يمانى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش ، والأرحل : جمع رحل ، وهو المنزل والمأوى.

يقول قدامة بن جعفر : أتى أمرؤ القيس على التشبية كاملا قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش، شبيهة به، ثم لما جاء بالقافية، أوغل بها في الوصف ووكده، وهو قوله «الذى لم يثقب» فإن عيون الوحش غير مثقبة، وهي بالجزع الذى لم يثقب أدخل في التشبيه(١).

وكقول زهير بن أبى سلمى :

كَأَنَّ فُتَاتَ العهنِ فى كُلِّ منزلٍ

نزلتُ به حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ(٢)

فقد شبه الشاعر فتات الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج بحب الفنا في حمرته قبل تحطيمه، لأنه إذا حطم تزول حمرته.

يقول قدامه : قال «لم يحطم» فكأنه وكد التشبيه بإيغاله في المعنى(٣).

كما يقول الخطيب القزوينى فإن حب الفنا : أحمر الظاهر، أبيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الأحمر، إلا ما لم يحطم(٤).

هذا. والفرق بين الإيغال والتذييل :

---

(١) نقد الشعر ١٦٨ .

(٢) الفتات : اسم لما انفت وتقطع، والعهن : الصوف الأحمر، والفنا شجر يثمر ثمر أحمر، ثم يتفوق في هيئة النبق الصفار.

(٣) نقد الشعر ١٦٩ .

(٤) الإيضاح جـ ٢ / ١٥٦ .

أن الإيغال : قد يكون بغير جملة ، أما التذييل فلا يكون إلا بجملة .

كما أن الإيغال يأتى للتوكيد وغيره ، أما التذييل فلا يكون إلا للتأكيد .

كذلك فالإيغال يكون فى ختم الكلام لا غير ، أما التذييل فيكون فى ختم الكلام وفى أثنائه[١] .

٨- الاعـتـراض : أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر- لا محل لها من الإعراب- لفائدة سوى دفع الإيهام لأغراض بلاغية منها .

(١) التنزية : كقوله تعالى :« ويجعلون لله البنات - سبحانه- ولهم ما يشتهون» (٢) .

فقوله : «سبحانه » اعتراض وقع أثناء الكلام ، وقد أتى به تنزيها له ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وهو جملة لأنه مصدر على تقدير فعل من معناه ، أى أنزهه «سبحانه» فسبحانه واقع موقع المصدر الذى هو التنزية ، فكأنه قيل : أنزهه تنزيها .

يقول صاحب المطول : فإن قوله سبحانه ، جملة لكونه بتقدير

---

(١) أما الفرق بين الاحتراس والتذييل فهو أن التذييل لا يكون إلا بجملة- أما الاحتراس فيكون بجملة وغير جملة ، والتذييل يكون لمجرد التأكيد الخالى من دفع الإيهام- أما الاحتراس فلدفع الإيهام .

(٢) النحل ٥٧ .

الفعل وقعت فى أثناء الكلام، لأن قوله تعالى : «ولهم ما يشتهون» عطف على قوله «للّه البنات» والنكتة فيه تنزيه اللّه سبحانه وتقديسه عما ينسبون إليه(١).

(ب) والدعاء : كقول المتنبى : يمدح كافورا :

وتحتقرُ الدنيا احتقارَ مجـــرِّبٍ

يرى كُلَّ ما فيها- وحاشاكَ- فَانِيَا(٢)

يريد الشاعر : أنت عظيم القدر، فلهذا تحتقر الدنيا احتقار من جربهـا وعرفهـا وعلم أنها فانية، ولا يبقى إلا ذكر الجميل بين الناس.

وقوله : «وحاشاك» اعتراض بين المفعولين، قصد به الدعاء ببقاء الممدوح، باستثنائه مما يفنى إشارة الى أن ذكره باق على مر الزمن.

يقول أبو البقاء العكبرى : «وحاشاك» من أحسن ما خوطب به فى هذا الموضع، والأدباء يقولون : هذه اللفظة حشوة، ولكنها حشوة فستق وسكر(٣).

وكقول عوف بن محلم الشيبانى يخاطب عبد الله بـن طاهر :

---

(١) المطول ٢٩٦ .

(٢) التحقير : التصغير ، والمجرب الذى جرب الأمور وحنكته التجارب.

(٣) ديوان المتنبى شرح العكبرى جـ ٤ / ٢٩٠ .

إنَّ الثمانينَ - وبُلِّغْتَهَا - قَدْ أحوجتْ سمعِى إلى تَرْجُمَانِ(٤)

يشكو الشاعر ضعف سمعه بسبب كبر سنه، حتى صار الى حالة يحتاج معها الى من يكرر له القول.

وقوله « وبلغتها » - اعتراض، أتى به أثناء الكلام، بقصد الدعاء للمخاطب بطول العمر.

هذا. ولا يقال فى هذا الدعاء، دعاء على المخاطب بالصمم وضعف السمع، فلا يناسب ما سبق من أجله، وهو إدخال السرور على المخاطب. لأنا نقول: إن الغبطة فى طوال العمر، يغتفر معها ذلك الضعف، لعدم إمكانه إلا به(٢).

(جـ) التنبيه : بمعنى تنبيه المخاطب على أمر يؤكد إقباله على ما أمر به : **كقول الشاعر :**

واعلمْ - فعلمُ المرء ينفعُه- أَنْ سوفَ يأتِي كلُّ ما قُدِرَا(٣)

يريد : أن ما قدر آت لا محالة، وإن وقع فيه تأخير، وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر. وقوله : «فعلم المرء ينفعه، اعتراض بين «اعلم» ومعموله ينبه على فضيلة العلم المطلوب من المخاطب.

يقول الشيخ الدسوقى : إن هذا الاعتراض، أفاد أن علم

---

(١) المراد بالثمانين : عدد السنين التى عاشها، والترجمان الذى يفسر لغة بلغة أخرى، ولكن المراد به هنا : المكرر لصوت خافت، بصوت جهور ليبلغ السمع.

(٢) أنظر شروح التلخيص جـ٣ / ٢٤٠.

(٣) «أن» هنا مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف.

الإنسان بالشئ ينفعه، وهذا مما يزيد المخاطب إقبالا على طلب العلم، والفاء في قوله : فعلم المرء ينفعه اعتراضية، ومع ذلك لا تخلو هنا من شائبة السببية، إذ كأنه يقول وإنما أمرتك بالعلم، بسبب أن علم المرء ينفعه(١).

أو التنبيه على سبب أمر فيه غرابة : **كقول الرماح المعروف بابن ميادة :**

فَلاَ هجرهُ يبدُو وفي اليأسِ راحةٌ

ولا وصلهُ يبدُو لَنا فَنُكَارِمُه(٢)

يريد : لا هجره يبدو فنيأس من لقائه ونرتاح ولا وصلة يبدو فنبادله الكرم بالوصل والود.

فإن قوله « فلا هجره يبدو ، يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب، فقال - وفي اليأس راحه- لينبه على سببه.

(د) الاستعطاف : كقول المتنبي :

وَخُفُوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبَهُ

- يَاجَنَّتِي- لَرأيتِ فيه جَهَنَّمَا

يريد : اضطراب قلبي، وما فيه من حرارة الوجد، لو رأيت لهيبه ياجنتي لظننت فيه جهنم، من شدة لهيبه واحتراقه.

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٢٤١ .

(٢) الحقوق والخفقان : اضطراب القلب ، واللهب : ما يلتهب من النار.

فقوله : «ياجنتى اعتراض بين الشرط وجزائه، قصد به استعطاف محبوبته بتسميتها «جنة» .

وفى البيت «أيضاً» مطابقة زادته جمالا، فقد طابق بين «جنتى» و «جهنم» وأضاف «جنة» الى نفسه، لترق له، فتنجيه من جهنم التى فى قلبه، وكنى بها عما يحسه من لوعة الهوى.

(هـ) تخصيص أحد المذكورين، بزيادة التأكيد فى أمر مشترك بينهما.

كقوله تعالى : «ووصينا الإنسان بوالديه- حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين- أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير»(١) .

فقوله تعالى :«أن أشكر لى ولوالديك» تفسير وبيان لقوله تعالى : «ووصينا الإنسان بوالديه» وقوله «حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين» اعتراض دل على تأكيد الوصية للأم.

(و) التعظيم والتفخيم : كقوله تعالى : «فلا أقسم بمواقع النجوم - وإنه لقسم- لوتعلمون- عظيم- إنه لقرآن كريم»(٢) .

يقول السيوطى : اعتراض فى اعتراض، اعتراض بين القسم وجوابه بقوله :«وإنه لقسم »الآية وبين القسم وصفته بقوله ، لو تعلمون، تعظيما للقسم به، وتحقيقا لإجلاله، وإعلاما لهم بأن له عظمة لا يعلمونها(٣) .

---

(١) لقمان ١٤ .
(٢) الواقعة ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الإتقان فى علوم القرآن جـ٢ / ٧٥ .

(ز) اللوم والذم : كقول كثير عزة :

لو أنَّ الباخِلينَ - وأنتِ منهمْ- رَأَوْكِ تعلموا مِنْكِ المِطَالاَ(١)

فجملة «وأنت منهم» معترضة ، للإسراع الى ذم المخاطب .

(ح) التبرك : كقوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام- إن شاء الله- آمنين » (٢) .

فجملة الاستثناء ، اعتراض للتبرك(٣) .

هـــذا . وقد جاء الاعتراض ، بأكثر من جملة ، كقوله تعالى : «قالت ربى إنى وضعتها أنثى- والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى- وإنى سميتها مريم» (٤) ، أى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها .

فقوله تعالى :«والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، ليس من قول أم مريم وهو اعتراض ، بأكثر من جملة ، وقع بين قوليها تسلية لها ، وتسريه عنها ، وتطييبا لخاطرها .

يقول صاحب المطول : إنه اعتراض بين قوله : «إنى وضعتها أنثى» وبين قوله :«وإنى سميتها مريم» ، ومثل هذا الاعتراض ، كثيرا ما يلتبس بالحال ، والفرق دقيق(٥) .

---

(١) معاهد التنصيص جـ١ / ٣٧١ .

(٢) الفتح ٢٧ .

(٣) الإنفاق فى علوم القرآن جـ٢ / ٧٥ .

(٤) آل عمران ٣٦ .

(٥) المطول ٢٩٧ .

وكقوله تعالى : «فأتوهن من حيث أمركم الله- إن الله يحب المتوابين ويحب المتطهرين- نساؤكم حرث لكم»(١) .

فقوله : «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» اعتراض بأكثر من جملة، بين كلامين متصلين، معنى فإن قوله تعالى : «نساؤكم حرث لكم» بيان لقوله «فأتوهن من حيث أمركم الله» يعني أن المأتى الذى أمركم به، هو مكان الحرث، لأن الغرض الأصلى للإنسان للإتيان طلب النسل لاقضاء الشهوة، فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى منه هذا الغرض.

فالنكتة فى هذا الاعتراض، الترغيب فيما أمروا به، والتنفير عما نهوا عنه(٢) .

- وكما ترى - وجه حسن الاعتراض : حسن الإفادة ، مع أن مجيئه مجئ، مالا يترقب فيكون كالحسنة، تأتيك من حيث لا تحتسب(٣) .

٩- **التميم** : أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة . كالمدح والفخر.

كقوله تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً»(٤) .

---

(١) البقرة ٢٢٢ ، ٢٢٣ . (٢) المطول ٢٩٧ .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن جـ٢ / ٧٥ - والفرق بين الاعتراض والإيغال - أن الإيغال لا يكون إلا فى ختام الكلام - أما الاعتراض فيكون فى أثنائه .

(٤) الإنسان ٨ .

فقوله تعالى : «على حبه» تتميم ، لأن المعنى يتم بدونه.

هذا. على أن يكون الضمير في «حبه» عائدا على الطعام، أي يطعمونه مع حبهم له، واحتياجهم إليه(١).

يقول الشيخ الدسوقي : القصد من الآية، مجرد مدح الأبرار بالسخاء والكرم، ولا شك أن هذا يكفي فيه مجرد الإخبار عنهم، بأنهم يطعمون الطعام سواء كانوا يحبونه أولا، ولا يتوقف ذلك على بيان كون الطعام محبوباً لهم، وحينئذ فقوله، على حبه إطناب، نكتته إفادة المبالغة في المدح(٢).

وكقول الشاعر :

إِنِّي - عَلَى مَا تَرَيْنَ مِن كِبَرِي

أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ(٣)

يريد الشاعر : أنه يحسن تناول الأمور، ويجيد مزاولتها، ويعرف أسرارها وخباياها، لأنه إذا كان يحسن مزاولة الأشياء وهو مسن فما بالك يوم أن كان شابا يافعا.

---

(١) فإن أجريت الآية على وجه آخر، وهو أن يكون الضمير عائدا على الله تعالى، ويكون «على» للتعليل، فيكون التقدير، وتطعمون الطعام، لأجل حب الله تعالى، فلا يكون المجرور مما يفيد نكته المبالغة، بل الأصل المراد إذ لا مدح بإطعام الطعام إلا أن يكون لله تعالى، وحينئذ يكون مساواة لا إطنابا- انظر شروح التلخيص جـ٣ / ٣٢٧.

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ٣٢٧.

(٣) الكتف تؤكل من أسفلها، ويشق أكلها من أعلاها.

فقوله : «على ما ترين من كبرى، تتميم، قصد به المبالغة فى إتقانه للأمور وفهمه لدقائقها.

وكقول زهير بن أبى سلمى :

مَنْ يَلْقَ يوماً عَلَى عِلَّاتِه هَرِمًا
يَلْقَ السماحةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقًا[١]

يريد : أن هرم بن سنان كريم بطبعه، ومن يلقه وهو معسر، يجده - أيضاً- سمحاً كريماً ، فما ظنك به وهو موسر.

فقوله : «على علاته» تتميم يراد به المبالغة فى مدحة بالكرم.

هذا . وقد يكون الإطناب بزيادة حرف على أصل المعنى، لغرض من الأغراض .

كقوله تعالى :«فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا»[٢].

فزيادة «أن فيه للدلالة على أن الفعل بعدها، لم يكن على الفور، بل كان فيه تراخ وبطء، لبعد ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام[٣].

---

(١) العلات جمع علة، وَهى ما ينوبه من قلة المال والعوز، عطف الندى للتفسير ومن ينكر عطف التفسير يجعله حشوا.

(٢) يوسف ٩٦ .

(٣) فكلمة «أن» تصور البعد الزمنى الذى كان يحس به يعقوب عليه السلام حتى جاء البشير.

يقول بن الأثير : إنه إذا نظر فى قصة يوسف عليه السلام، مع إخوته منذ ألقوه فى الجب، إلى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام، وجد أنه كان ثم إبطاء بعيد، وقد اختلف المفسرون فى طول تلك المدة، ولو لم يكن ثم مدة بعيدة، وأمد متطاول ، لما جئ بأن بعد «لما» وقبل الفعل ، بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه(١) .

وكقوله تعالى : فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس(٢) .

فقد زيد فيه «أن» بعد «لما» للدلالة على أنه لم يسارع الى قتل الثانى، كما سارع إلى قتل الأول .

يقول ابن الأثير : لم تكن مسارعته الى قتل الثانى، كما كانت مسارعته الى قتل الأول، بل كان عنه إبطاء فى بسط يده إليه، فعبر القرآن عن ذلك(٣) ، فى قوله تعالى : «فلما أن أراد أن يبطش» .

وكقوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم»(٤) .

فإن «ما» جاءت لتأكيد معنى اللين وتفخيمه .

يقول الرافعى : المراد : تصوير لين النبى ﷺ لقومه ، وأن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد فى «ما» وصفا لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه وفوق ذلك، فإن لهجة النطق به، تشعر بانعطاف وعناية، لا

---

(١) المثل السائر جـ٣ / ١٤ .
(٢) القصص ١٩ .
(٣) المثل السائر جـ٣ / ١٣ .
(٤) آل عمران ١٥٩ .

يبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما فى بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها وهى لفظ «رحمة» مما يلفت النفس الى تدبر المعنى، ويتنبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعى فى بلاغة الآية(١).

هذا. وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب، باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة الى كلام آخر، مساوله فى أصل المعنى.

كقول أبى تمام يرثى أبا الحسين محمد بن الهيثم:

يَصُدُّ عنِ الدنيَا إذا عَنَّ سُؤْدَدٌ

وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيِّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ(٢)

يريد فى الشطر الأول أن يقول: إنه يعرض عن الدنيا، وما فيها من جاه وثراء، إذا كانت السيادة والشرف فى البعد عنها وعن مظاهرها.

وقد عبر عن هذا المعنى المعذل بن غيلان بقوله:

وَلَسْتَ بِنَظَّارٍ إلى جَانِبِ الغِنَى

إذَا كَانَتْ العلياءُ فِي جَانِبِ الفقرِ(٣)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٦٢.

(٢) يصد: يعرض: عن: ظهر، السؤدد: السيادة والشرف، الزى: الهيئة، العذراء: البكر، الناهد: بارزة الثدى، برزت ظهرت.

(٣) روى صاحب الدر الفريد أنه لأبى سعيد المخزونى، يخاطب به امرأته.

وهذا البيت إطناب، بالنسبة للشطر الأول من بيت أبي تمام، كما أن هذا الشطر إيجاز بالنسبه إليه، لأنهما وإن اتفقا في أصل المعنى، وهو أن السيادة مع التعب والمشقة أحب إليه، من الراحة ورغد العيش بدونها، فقد عبر هنه أبو تمام، بنصف بيت، بينما عبر عنه المعذل ببيت كامل.

يقول صاحب المطول : مصراع أبي تمام إيجاز بالنسبة الى هذا البيت لمساواته له في أصل المعنى، مع قلة حروفه، والبيت إطناب بالنسبة إليه.

وهذا الإيجاز، يجوز أن يكون إيجازاً بالتفسير السابق، وأن يكون مساواة وأن يكون إطناباً، وكذا مثل هذا الإطناب(١).

وكقول الشماخ في مدح عرابة الأوس :

إذَا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقّاهَا عَرَابَةُ باليمين(٢)

فالشاعر يريد : أن عرابة إنسان طموح، وأنه يتطلع دائما الى معالي الأمور وأنه لا يرى طريقاً من طرق المجد إلا سلكه.

وهذا المعنى عبر عنه بشر بن حازم، **في قوله يمدح أوس بن حارثة :**

إذَا مَا المكرُمَاتُ رُفِعْنَ يومًا
وقَصَّرَ مُبْتَغُوهَا عن مَدَاهَا

(١) المطول ٣٠٠ - بمعنى أنه أمر نسبي.

(٢) المراد بالراية : راية الحرب، وتلقاها عرابة باليمين تمثيل لأخذه لها بالقوة.

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ المُثْرِينَ عنها

سَمَا أَوْسٌ إليها فَاحْتَوَاهَا[١]

فبيت الشماخ إيجاز، بالنسبة لبيتى بشر، وبيتا بشر بالنسبة لبيت الشماخ إطناب.

*****

والمساواة : تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له.

يقول أبو هلال العسكرى: المساواة : أن تكون المعانى بقدر الألفاظ. والألفاظ بقدر المعانى، لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه أى لا يزيد بعضها على بعض[٢].

كما يقول قدامه بن جعفر : المساواة : أن يكون اللفظ مساويا للمعنى، حتى لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، وهذه هى البلاغة التى وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أى هى مساوية لها ، لا يفضل أحدهما على الآخر[٣].

كقوله تعالى : «ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله» [٤].

---

(١) مبتغوها : طالبوهما، ومداها : غايتها ، والمثرون الموسرون. واحتواها : بمعنى اشتمل عليها- يريد إذا ظهرت معالى الأمور وقصر البعض عن الوصول إليها ، فإن أوس يصل إليها ويحققها .

(٢) الصناعتين ١٨٥ ، قوالب : أوعية .

(٣) نقد الشعر ١٥٣ .

(٤) فاطر ٤٣ .

يقول ابن يعقوب : فهذا الكلام مساواة. لأن المعنى قد أدى بما يستحقه في التركيب الأصلي، والمقام يقتضي ذلك، لأنه لا يقتضي العدول عنه إلى الإيجاز والإطناب(١).

وكقول النابغة الذبياني : يمدح النعمان بن المنذر :

فَإِنَّكَ كالليلِ الذى هُوَ مُدْرِكِي

وَإِنْ خِلْتُ أن المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ(٢)

المعنى : أنه لا يفوت الممدوح، وإن أبعد فى الهرب، فصار الى أقصى الأرض لسعة ملكه، وطول يده ولأن له فى جميع الآفاق مطيعاً لأوامره، يرد الهارب إليه(٣).

بيد أنه قيل : إن فى الآية الكريمة ، خذف المستثنى منه، لأن المعنى لا يحيق المكر السئ بأحد إلا بأهله.

وفى البيت كذلك ، حذف جواب الشرط- على مذهب البصريين- والتقدير : وإن خلت أن المنتأى عنك واسع، فأنت مدركى فيه وحينئذ يكون كل منهما من قبيل الإيجاز، لا المساواة.

وأجيب : أن الذى دعا الى اعتبار هذا الحذف، فى الموضعين، إنما هو رعاية أمر لفظى، لا تتوقف عليه إفادة المعنى فى الاستعمال

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ / ١٨١ - والمراد لا ينزل المكر السئ إلا بمن يستحقه بعصيانه وكفره.

(٢) المتنأى موضع البعد، واسع : ذو سعة.

(٣) المطول ٢٨٦- وكما ترى : المعانى فى البيت مفرغة فى قوالب مطابقة لها.

لأن معنى المستثنى منه مفهوم من الكلام- كما أن معنى الجزاء مفهوم من المصراع الأول فى البيت وحينئذ فلا نقص فى الآية، والبيت عن أصل المعنى(١)،(٢).

هذا . ومن المساواة .

قــول ﷺ : لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والزكاة مغرماً.

وقوله ﷺ : الحلال بين الحرام بين.

وقول طرفة :

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقول زهير بن أبى سلمى :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امرئٍ من خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى الناسِ تُعْلَمِ(٣)

---

(١) المطول ٢٨٦ .

(٢) شروح التلخيص ١٨٢ والمنهاج الواضح ١٥٨ .

(٣) الخليقة : الطبيعة - من لم تزود : لم تعطه زادا ، والزاد طعام السفر يريد : إن عشت فستعلمك الأيام مالم تكن تعلم ويأتيك بالأخبار من لم توجهه فى طلبها.

وقول الشاعر :

تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ مَا صَلُحَتْ

فَإنْ تَـأبَّتْ فَبِـالأشـرارِ تَـنْـقَـادُ(١)

- وكما ترى- فالألفاظ فى الأمثلة السابقة، جاءت على قدر المعانى، وطبقاً لها، فإذا حاولت أن تزيد فيها لفظا كانت الزيادة فضولا، وإذا حذفت لفظا كان الحذف إخلالا، وكلاهما عيب فى الكلام.

هذا. وقد اختلف النقاد، فى أى الثلاثة أبلغ؟

فذهب قوم الى ترجيح الإيجاز، محتجين له، بأنه صورة البلاغة، وأن ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام، فضلة داخلة فى حيز اللغو.

وذهبت طائفة الى أن الإطناب أرجح، لأن البيان لا يحصل إلا بإيضاح العبارة، وهو لا يتهيأ، إلا بأن يزاد فى الألفاظ، ما يحيط بالمعنى إحاطة يؤمن معها من اللبس والإبهام، والكلام الوجيز لا يؤمن وقوع الإشكال فيه.

وذهبت فرقة الى ترجيح المساواة لاعتدالها، فى عرض الموضوع، بين الإيجاز والإطناب، وأنه لا شفاء مع الاختصار المخل، ولا راحة مع التطويل الممل، ولكن خير الأمور أوساطها.

ورأى بعض النقاد، وهو الرأى الراجح، أن لكل من الإيجاز

(١) يرى : أن الأمور تتحقق بمساعدة أهل الرأى الثاقب، وإذا استعصى ذلك فإنها تنقاد بالعنف والقوة.

والإطناب والمساواة، موضعا، لا يخلفه فيه غيره، فليس ثمة فضيلة في لون منها لذاته، بل لأنه وافق الحال، وطابق المقام.

ورأوا أن الكلام الموجز، يصلح لمخاطبة الرؤساء ، وذوى المناصب الرفيعة.

ويصلح الإطناب للكتب التي تصف الفتوح ومواقف النصر، مما يقرأ في المحافل.

والمساواة تصلح لمخاطبة الأكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء.

والواقع أن الموضوع نفسه، ومن كتب لهم هما اللذان يحددان المقام الواحد من هذه الثلاثة[١] .

يقول ابن قتيبة و في معرض الحديث عن الإيجاز : واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول :

وهذا ليس بمحمود كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال.

ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال، لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، ، وكرر تارة للإفهام. وليس يجوز لمن قام مقاما، في تحضيض على حرب، أو حمالة دم[٢]، أو صلح بين عشائر، أن يقلل الكلام

---

١) أسس النقد الأدبي عند العرب ٦٠٧ .

(٢) التحضيض والحض : الإغراء بالشئ والترغيب فيه، والحمالة - بفتح الحاء- الكفالة، والحميل : الكفيل وزنا ومعنى ، والعشائر جمع عشيرة .

ويختصره، ولا لمن كتب الى عامة كتابا فى فتح أو استصلاح أن يوجز .

ولو كتب كاتب الى أهل بلد فى الدعاء الى الطاعة، والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد الى مروان، حين بلغه عنه تلكؤه فى بيعته «أما بعد، فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فاعتمد على أيتهما شئت والسلام» لم يعمل هذا الكلام فى أنفسها عمله فى نفس مروان، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر، ويعيد ويبدى، ويحذر وينذر(١) .

كما يقول أبو هلال العسكرى : الإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبى والفطن .. ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية فى إفهام الرعايا(٢) .

والقول القصد، أن الإيجاز والإطناب، يحتاج إليهما فى جميع الكلام ولكل واحد منهما موضع .

فالحاجة الى الإيجاز فى موضعه كالحاجة إلى الإطناب فى مكانة، فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب فى موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز فى موضه الإطناب أخطأ .

كما روى عن جعفر بن يحيى أنه قال – مع عجبه بالإيجاز– متى كان الإيجاز أبلغ، كان الإكثار عيا، ومتى كانت الكناية فى موضع الإكثار، كان الإيجاز تقصيراً(٣) .

---

(١) أدب الكاتب ١٥، ١٦ .

(٢) لأن الرعية فيها كثير من العوام.

(٣) المراد بالكناية هنا : الإيجاز.

وأمر يحيى بن خالد بن برمك إثنين أن يكتبا فى معنى واحد، فأطال أحدهما، واختصر الآخر، فقال للمختصر - وقد نظر فى كتابه: ما أرى موضع مزيد، وقال للمطيل ما أرى موضع نقصان.

ولا شك فى أن الكتب الصادرة عن السلاطين، فى الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة، وتفخيم النعم الحادثة، والترغيب فى الطاعة، والنهى عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاه، تملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب.

وقيل لأبى عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال نعم، كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها.

وقيل لبعضهم: متى يحتاج إلى الإكثار؟ قال: إذا عظم الخطب.

وقد رأينا الله تعالى: إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى، وإذا خاطب بنى إسرائيل، أو حكى عنهم، جعل الكلام مبسوطاً (١).

ومن ثم فإن الكلام لا يعد بليغاً فى أية صورة من الصور «الإيجاز والإطناب والمساواة» إلا إذا استدعاء الحال، واقتضاه المقام.

---

(١) الصناعتين ١٩٦ - العرب جيل من الناس وهم سكان الأمصار والمدن أما الأعراب فهم سكان البادية والتشبه إلى العرب عربى والأعراب أعرابى.

فإذا كان المقام للإيجاز ، وعدل عنه الى الإطناب أو المساواة لم يكن بليغاً .

وما أحسن قول الرماني إذ يقول : إنما البلاغة إيصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ (١) .

ولن يصل الكلام الى القلب ، إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى الحال .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

*****

(١) النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن ٧٦٠ .

اهم المصادر والمراجع

١- أدب الكاتب . لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

٢- أسرار البلاغة . للإمام عبد القاهر الجرجانى .

٣- أسس النقد الأدبى عند العربى. للدكتور أحمد بدوى .

٤- الإيضاح . للخطيب القزوينى .

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . للأستاذ مصطفى صادق الرافعى .

٦- الإتقان فى علوم القرآن . لجلال الدين السيوطى.

٧- البيان والتبيين . لأبى عثمان بن بحر الجاحظ .

٨- البرهان فى علوم القرآن . للإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشى .

٩- بغية الأيضاح . للشيخ عبد المتعال الصعيدى .

١٠- البلاغة فى ثوبها الجديد . للدكتور بكرى شيخ أمين .

١١- البلاغة «علم المعانى» . للدكتور أحمد شعلة .

١٢- البلاغة الواضحة. للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين.

١٣- تأويل مشكل القرآن . لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

١٤- تفسير القرطبى . للأمام أبى عبد الله القرطبى .

١٥- توضيح المعانى . للدكتور على العمارى .

١٦- تحقيق الإيضاح . للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .
١٧- جواهر البلاغة . للأستاذ أحمد الهاشمي .
١٨- حاشية الدسوقي . للشيخ محمد بن عرفه الدسوقي .
١٩- خصائص التراكيب . للدكتور محمد أبو موسى .
٢٠- دلائل الإعجاز . للإمام عبد القاهر الجرجاني .
٢١- ديوان المتنبي . شرح أبي البقاء العكبري .
٢٢- دلالات التراكيب . للدكتور محمد أبو موسى .
٢٣- ديوان البحتري . شرح الأستاذ حسن كامل الصيرفي .
٢٤- ديوان الحطيئة . تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه .
٢٥- سر الفصاحة . لابن سنان الخفاجي .
٢٦- شروح التلخيص .
٢٧- الصناعتين . لأبي هلال العسكري .
٢٨- العمدة . لأبي على الحسن بن رشيق القيراني .
٢٩- عروس الأفراح . لبهاء الدين السبكي .
٣٠- علم المعاني . للدكتور درويش الجندي .
٣١- فن البلاغة . للدكتور عبد القادر حسين .
٣٢- في علم المعاني . للدكتور حمزة الدمرداش زغلول .
٣٣- الكامل . لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد .
٣٤- الكشاف . للزمخشري .

٣٥- لسان العرب . لابن المنظور .

٣٦- لباب المعانى . للدكتور محمد حسن شرشر .

٣٧- الموازنة . للآمدى .

٣٨- مواهب الفتاح . لابن يعقوب المغربى .

٣٩- المنهاج الواضح . للأستاذ حامد عونى .

٤٠- المطول . لسعد الدين التفتازانى .

٤١- مفتاح العلوم . لأبى يعقوب يوسف السكاكى .

٤٢- المعانى فى ضوء أساليب القرآن . للدكتور عبد الفتاح لاشين .

٤٣- من بلاغة النظم العربى . للدكتور عبد العزيز عرفه.

٤٤- معاهد التخصيص . للدكتور عبد الرحيم العباسى .

٤٥- مختصر السعد . لسعد الدين التفتازانى .

٤٦- المثل السائر . لابن الأثير .

٤٧- نقد الشعر . لقدامة بن جعفر .

٤٨- النكت فى إعجاز القرآن . لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى .

٤٩- النقد الأدبى . للأستاذ أحمد أمين .

٥٠- الوساطة بين المتنبى وخصومه . لعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

دليل الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب المؤلف

١- البناء الصوتى فى البيان القرآنى، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٢- دراسات بلاغية فى القرآن الكريم والحديث الشريف، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٣- قبس من البيان القرآنى . دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٤- قطوف من النصوص الأدبية الرفيعة فى الجاهلية وصدر الإسلام دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٥- لباب المعانى «القسم الأول» دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٦- لباب المعانى «القسم الثانى» دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٧- لباب البيان، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٨- لباب البديع، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٩- من وجوه إعجاز القرآن الكريم والبيان النبوى الشريف، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

١٠- نصوص مختارة من الأدب العباسى، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .